

مصر العثمانية

المَنَين

obeykandi.com

obeikandi.com

[ص/١] مصر العثمانية

أو

تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية

من الفتح العربي سنة ٩٢٣هـ - أو ١٥١٧

إلى الحملة الفرنسية سنة ١٢١٣هـ - أو ١٧٩٨م

ألفه

جرجى زيدان

منشئ الهلال

لدرس التاريخ الإسلامى فى الجامعة المصرية

سنة ١٩١١

## [ص/٢] مقدمات تمهيدية

## التاريخ الإسلامى بالنظر إلى سائر القواريخ

## التاريخ العلم

التاريخ العلم، عبارة عن الحوادث التي رافقت الإنسان في أول وجوده إلى الآن. أو ذكر ما لفتب الأمم من التقدم أو التأخر والصعود أو الهبوط في السياسة والاجتماع، أو هو بيان تدرج البشر في المدنية. ولذلك فهو مقصور على الأمم التي كان لها شأن في ترقية الهيئة الاجتماعية.

وقد عبر بعضهم عن التاريخ بقوله: إنه الفلسفة مشروحة بالأمثال حتى تكون حوادث المقدمين عبرة للمتأخرين.

والتاريخ العلم يقتضى معرفة أخبار الناس من أول عهد الإنسان إلى الآن، وهذا غير ميسور لأن ما وصل إلينا من حوادث البشر إنما هو جزء صغير جدا في تاريخهم، والإنسان لم يدون تاريخه إلا بعد أن وفق لاختراع الكتابة، وهو لم يوفق إليها إلا بعد التدرج في الرقى أدهارا، ظهرت في أثنائها دول وأمم انتشبت بينها الحروب، وعقدت المعاهدات، وذهب العقلاء في أثنائها مذاهب في الفلسفة. فهذه كلها ذهبت أخبارها فلم يصلنا منها شيء، حتى أسماء تلك الأمم، فإنها ضاعت، وإنما استدلنا على وجودها من ثمار أعمالها، أو بما خلفته من الأدوات أو الأحافير أو الخرائب.

وعلماء التاريخ لا يعدون تلك المعرفة تاريخا. ولذلك سموا [ص/٣] للمدة التي قضاهما الإنسان قبل تدوين أخباره " الزمن قبل التاريخ" وهو أطول كثيرا في زمن التاريخ تقدم فيها الإنسان شوطا بعيدا في سلم المدنية والارتقاء العقلي، وفيها تألفت الهيئة الاجتماعية ووضعت سنن الزواج والإرث، وانتظمت العائلة، وفيها شكلت الحكومات، ولُنشئت الأديان. وفيها حدثت أهم الاختراعات والاكتشافات التي بني عليها البشر رفيعهم في زمن التاريخ، لأن في تلك الفترة المظلمة، اخترعت الكتابة، واستتبط الطبخ والعجن والخبز والغزل والنسيج والخياطة والبناء، واكتشفت النار والملح، وهما من أهم الاكتشافات.

من لنا بمن يخبرنا عن مخترع الكتابة الصورية، لنشيد له تذكارا، أو مخترع الإبرة للنصب له تمثالا، بل لو عرفنا مكتشف النار، أي أول من ولد النار

بالفرك، لحق له علينا الإكرام للجزيل، إن ذلك وأمثاله من أعمال الإنسان قبل زمن التاريخ لا يدخل في علم للتاريخ ولا إلى معرفته سبيل إلا بالتخمين.

أما زمن التاريخ فهو الذي عرفنا أممه وقبائله ودوله وبعض حوادثه، إما من الكتب التي وصلت إلينا أو من النقوش التي قرأناها في الآثار أو من أحوال أخرى، وهو لا يتجاوز في محته ستة آلاف سنة، نصفها الأول ناقص، وأكثره مبني على الحسن، والنصف الآخر محشو في أوائله بالمبالغات أو الخرافات، ولكن لكثرة ثابت، لرجوعه إلى النصوص التاريخية بعد شيوع الكتابة.

### ما معنى لفظ تاريخ؟

وقبل التعم إلى ذكر أقسام التاريخ، نتكلم عن أصل هذا اللفظ [ص/4] في العربية. وقد اختلفت الأقوال؛ فذهب جماعة إلى أنه فارسي، وقال آخرون: إنه يوناني: إنه يوناني، وتكلموا في تخريجه تكلفا نحن في غنى عنه لأن اللفظ عربي، وفي القاموس <sup>(1)</sup> "أرخ للكتاب يأرخه أرخا، وقته" أي عرف وقته، ثم تفرع المعنى فصاروا يدلون بها عن علم للتاريخ أي ذكر الوقائع والحوادث، ولعل سبب الشك في كون هذا اللفظ عربيا أن العرب أخذوا للتاريخ عن الفرس. وقيل لهم إن اسمه عند الفرس "ماه روز" <sup>(2)</sup> فعبروها "مؤرخ" ثم اشتقوا منها مصدرا "تاريخ" وهو تكلف لا حاجة بنا إليه، فنفعا لكل شك في كون هذا اللفظ عربيا نأتي بأشباهه من أخوات اللغة العربية.

فهو في العبرانية "يرخ" ومعناه: القمر، ومثلها "يرحا" في السريانية لنفس هذا المعنى ونحو ذلك في الكلدانية والآشورية. وهي تدل عندهم على الشهر؛ لأن حسابهم كان قمريا، وكذلك الشهر والقمر في العربية بمعنى واحد، ولا عبرة في يدال الخاء، حاء، بين العربية وأخوتها، فإنه عادي فيها، ومن بقايا دلالة "يوح" أو "أرخ" على القمر في العربية، قول العرب "راح" أي ذهب أو جاء في العشي، أي في نور القمر، والمعنى راجع إلى العشي بدون تقييد بالذهاب أو للمجيء، مثل قولهم أصبح وأمسى، ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي ثم صارت تدل على مطلق الذهاب، وقد يكون اللفظ الواحد معناه القمر في إحدى هذه اللغات، والشهر في اللغة الأخرى، فإن "سير" هي تسريانية [ص/5] معناها قمر في العربية وهو "الشهر"

بإبدال السين شيئا، وقد بقى في معناها الأصلي في العربية "الساهور" وهو القمر أو غلافه، والخلاصة أن لفظ التاريخ، عربي الأصل والاشتقاق.

### أقسام التاريخ العام

اختلف المؤرخون في تقسيم زمن التاريخ وتبويبه، والأكثر يرون قسمته إلى ثلاثة أقسام: الأول، التاريخ القديم ويبدأ بأقدم الأزمان، وينتهي عند سقوط روميه سنة ٤٧٦ للميلاد، والقسم الثاني، القرون الوسطى أو المظلمة، وهي تمتد من هذا التاريخ إلى اكتشاف أميركا سنة ١٤٩٢ مسيحية، والثالث، التاريخ الحديث، من اكتشاف أميركا ولا يزال.

ذلك هو تقسيم التاريخ العام عند كتاب الإفرنج، وهو في اعتبارنا تقسيم ناقص، مبني على الأحوال التي توالفت في أوربا وأمريكا، ولا يدخل فيها من تاريخ الشرق إلا الدول القديمة في مصر وبابل وفينيقية وغيرها من التمدن القديم، ولم يراعوا فيه الانقلابات السياسية العظيمة التي توالفت في الشرق بعد ذهاب تلك الدول، وكان لها تأثير كبير في تاريخ العمران في سائر أنحاء العالم المتمدن.

أما أقسام التاريخ العام بالنظر إلى الشرق وأممه ودوله، فإنه في نظرنا يقسم إلى قسمين كبيرين، أو هما شطران: شرقي وغربي، نعبّر عنهما بتاريخ الشرق، وتاريخ الغرب، ونقصد بالشرق آسيا على الإجمال ومعها وادي النيل وما يليه من البلاد التي تمدنت قديما في أفريقيا. ونعني [ص/٦] بالغرب أوروبا وأميركا وما يلحقهما.

ولكل من هذين الشطرين ثلاثة أطوار أو أعصر تتشابه في التقسيم ولكنها تختلف في الزمن، لكل منها عصر قديم وعصر متوسط وعصر حديث، لكن للشرق متقدم فيها على الغرب وسابق منه في عوامل المدنية.

فتاريخ الشرق القديم يمتد من أقدم الأزمنة إلى فتح الإسكندر المكنوني بلاد فارس سنة ٣٣١ قبل الميلاد.

وتاريخه الأوسط أو قرونه الوسطى أو المظلمة تمتد من فتح الإسكندر إلى ظهور الإسلام سنة ٦٢٢ للميلاد أو لسنة الأولى للهجرة.

أما تاريخ الغرب القديم فيبدأ من أول تمدنه نحو القرن للخامس عشر قبل الميلاد في بلاد اليونان، وقد لقتبس أصول تمدنه من أمم للشرق للقديمة في مصر وفينيقية وبابل وغيرها، وينتهي بسقوط روميه سنة ٤٧٦م، وسبب لنقضته، هجوم البربر، بدو شمال أوربا" قبائل للجرمان" على للمملكة للرومانية، وفي لثقته دخل للشرق في أجياله للوسطى بسقوط دولة للفرس، كما تقدم.

وتاريخ للغرب الأوسط هو عصر للظلمة لو للقرن للوسطى في أوربا، يبدأ بسقوط روميه، وتسلط للبربر إلى بزوغ نور للتمدن للحديث بعد لكشف أميركا سنة ١٤٩٢م، وقد أغفل فيه للغربيون علوم أسلافهم لليونان. ونهض للشرق في لثقته من عصوره للظلمة [ص/٧] بظهور الإسلام وقيام دولة للعرب، فأخذوا تلك العلوم وترجموها.

فتاريخ الإسلام هو تاريخ للشرق للحديث، وبه نهض للشرق من غفاته واستعاد رونقه ومجده، وامتد سلطان المسلمين على أضعاف ممالك أسلافهم للشرقيين، وخفقت أعلامهم على ممالك للفراعة وللفينيقيين والأشوريين والبابليين والفرس والأرمن والهند ولترك وللمغول والمغاربة وسائر بلاد للشرق، وقسم من أوربا؛ في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، مما لم يسبق له مثيل.

### لقسام تاريخ الإسلام

يقسم تاريخ الإسلام إلى خمسة أعصر:

أولاً: عصر التكوين والنمو: من ظهور الإسلام إلى آخر للدولة الأموية بالشام وهو عصر للفتوح في الدولتين، أو العصر العربي.

ثانياً: عصر البلوغ: من أول الدولة للعباسية ١٣٢هـ إلى تغلب للجنود التركي سنة ٢٣٢ للهجرة، وهو يشتمل على أبان للدولة للعباسية. وفيه نشأ الأدب، ونقلت علوم للقدماء إلى العربية. وهو عصر الإسلام للذهبي، ويعرف بالعصر الفارسي، لأن الدولة فيه كانت بأيدي الوزراء للفرس.

[ص/٨] ثالثاً: عصر التفرع وللتشعب: من تسلط الأتراك إلى سقوط بغداد، وفيه تفرعت هذه الدولة إلى دول من أمم مختلفة، في أنحاء مختلفة. ونشأت دول

جديدة كدولة الفاطميين بمصر والأمويين بالأندلس والسلاجقة في الشام وغيرها، ونشأت سائر دول الأتراك والأكراد والفرس وغيرهم.

رابعاً: القرون الإسلامية: من سقوط بغداد إلى أوائل القرن التاسع عشر.

خامساً: النهضة الأخيرة: من أوائل القرن الماضي، ولا تزال، وهي مقتبسة

من تمدن الغرب الحديث.

ويقسم للتاريخ على الإجمال أيضا إلى عام وخاص. والعام يتضمن تاريخ البشر عموماً، والخاص يشمل التاريخ الخاص المتعلقة بموضوع واحد، كتاريخ أمة، أو مملكة، أو ولاية أو مدينة أو دولة أو عائلة أو شخص، والمتعلق بشخص واحد يسمى ترجمة، أو سيرة، أو حادثة ماثورة، كتاريخ الإخلاص، ومنحة المماليك، وحادثة عرابي، وظهور المهدي، ونحو ذلك.

ويسمى التاريخ الخصوصي بأسماء تختلف باختلاف موضوع، كتاريخ الكنيسة والتاريخ السياسي والشرعي والقضائي والتجاري والأدبي والعلمي ونحو ذلك.

### مزايا التاريخ الإسلامي

#### على سائر التواريخ

فتاريخ الإسلام من التواريخ الخاصة المتعلقة بالأمم أو الدول؛ لأن المراد بها كروايات الأمة الإسلامية أو الدولة الإسلامية، ومقابلة تاريخ الرومان أو اليونان أو الفرس ونحوهم لكنه يمتاز عنها بأمر جدير [ص/٩] بالاعتبار أهمها:

١- إن تاريخ الإسلام حلقة موصلة بين الشرق والغرب؛ لأنه بامتداد أصحابه إلى أقصى الشرق وإلى أقصى الغرب تمكنوا من الوصل بينهما. وهو أيضا حلقة موصلة بين التمدن الغربي القديم، والتمدن الغربي الحديث؛ لأنه حفظ ما توالى على عوامل التمدن الغربي القديم من التغيير أو التحوير في العلوم الفلسفية والطب مما اشتغل به المسلمون في أثناء تمدنهم، ولا سبيل إلى معرفة بذلك إلا بتاريخ الإسلام.

٢- يمتاز تاريخ الإسلام عن سائر تواريخ الأمم والدول بما يدخل تحته من تواريخ العناصر المختلفة التي أنقذها الإسلام في أواسط آسيا وغيرها، وكانت في

حال البداوة أو الهمجية، فساقها إلى المدنية، أو العلم حتى نبغ منها العلماء والفلاسفة ورجال السياسة والإدارة. وأشهرهم الأتراك والمغول والبربر والزنوج. وهنا نقطة يحسن بنا الوقوف عندها لحظة؛ لنذكر شيئاً عن كل من تلك الأمم:

### الأتراك

كان الأتراك قبل الإسلام، أهل بادية يقيمون في أواسط آسيا؛ بين الهند والصين وسبيريا.

ولم يعرفوا عن أهل الغرب من اليونان أو الرومان إلا قليلاً. فكان للفرس يقتونهم للرق والخمة، ويتهلونهم كما المتاع. فلما جاء العرب وفتحوا بلادهم وجندوهم؛ نهضوا في جملة لناهضين، وتولوا الإمارات، ثم أنشأوا الدول العظمى في فارس والعراق والشام ومصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وأفغانستان وتركستان، وأشهرها الدولة الطولونية والإيلكية والإخشيدية والفرنوية (ص/١٠) والسلجوقية بفروعها ودول الأتابكة التي تخلفت عنها. ويزيد عدد الدول التشريعية الإسلامية على ثلاثين دولة، واتسع سلطنتهم حتى وطئت خيولهم أواسط أوروبا، ونبغ منهم القواد والساسة والفقهاء والكتّاب وشادوا للقصور والمساجد والمعاهد، وأنشأوا المدارس والتكنيات.

ولكثر ما بقي من آثار الإسلام في مصر والشام والعراق من بناتهم، فهؤلاء لا سبيل إلى معرفة أحوالهم إلا بتاريخ الإسلام.

### المغول

والمغول طوائف رحل، كانوا يقيمون حوالي بحيرة " بيكال" (٣) في جنوبي سبيريا، ولم يظهروا للعالم إلا بعد الإسلام، وكانوا قبل ذلك قبائل يعيشون بالفزرو والنهب والصيد والقتل.

فلما احتكوا بالمسلمين في تركستان ورأوا دولهم وجيوشهم، عملوا على الاقتداء بهم، حتى عمدوا إلى فتح مملكتهم ففتحوها ببداوتهم وخشونتهم، وأمعنوا فيها قتلًا ونهبًا وإحراقًا على يد جنكيز خان (٤)، لكنهم ما لبثوا أن تحضروا، لمعاشرتهم

المسلمين في فارس والعراق، وأنشأوا دولا عظمى حكمت للشرق خمسة قرون ونصف قرن، أشهرها أربع دول كبرى هي دول لقطاي وطلوي وجوجي وجنطاي<sup>(٩)</sup>.

وتفرعت منها دول أخرى امتدت سطوتها وخفقت أعلامها على زنفاريا<sup>(١٠)</sup> وبلاد المغول والقبچاق وتركستان، وفتحوا المملكة الإسلامية، وأمعنوا في بلاد فارس والعراق والشام.

ونبغ منهم الساسة والقواد، وبعد أن كانوا أهل لوثان، أسلموا وشادوا المساجد والمدارس والمعاهد، وعمروا المدن في أقصى للشرق وأقاموا فيها الأبنية البانخة، والقصور الشامخة، وعرسوا الحدائق والبساتين وهذه الدول [ص/١١] لا سبيل إلى معرفة أخبارها إلا بتاريخ الإسلام.

### البربر

ويراد بهم بدو أفريقيا الشمالية، وهم قبائل رحل، كانوا قبل الإسلام من الهمجية والجهالة على جانب عظيم، وكانوا أصحاب لوثان، يعتصمون الجبال ويتقاضون إلى الكهان، يكرهون المدنية وأهلها، وقد قاسى اليونان والرومان من غزوم ونهبهم عذابا شديدا، ولم يكن لهم شغل غير ذلك، ولاقى العرب أيام الفتح مشقة كبرى في إخضاعهم، فلما خضعوا وأسلموا تجندوا للخفاء والأمراء، وافتتحوا البلاد، ولاسيما في الغرب فاكتسحوا الأندلس بقيادة طارق بن زياد، وكانوا عونا كبيرا في قيام دولة الأدارسة<sup>(٧)</sup> والدولة الفاطمية<sup>(٨)</sup>، وأنشأوا دولة الملمين<sup>(١)</sup> والمرابطين<sup>(١٠)</sup> والموحدين<sup>(١١)</sup> والمصامدة وآل زيري<sup>(١٢)</sup> وغيرهم مما لا يحصى. وقد جنّدوا الجنود وبنوا المعازل وأخذوا بأسباب المدنية ولا وسيلة لمعرفة أخبارهم إلا بتاريخ الإسلام.

### الزنوج

كان للزنوج ولا يزال، السواد الأعظم منهم، يحملون إلى الأفاق كما تحمل الأغنام يباعون ببيع السلع؛ فكانوا يرضخون تحت نير المتمدنين، وكانوا يعبدون

للحجارة أو الشجر. وبعضهم لا يفهم معنى الدين أو للعبادة. وكان للمعروف في مواطنهم عند ظهور الإسلام شمالي [ص/١٢] إفريقيا وبعض غربها وشرقها.

فلما انساح العرب في الأرض للفتح أو المهاجرة ، ذهبت قبائل منهم إلى أواسط إفريقيا، فضلا عن شواطئها، فاكسب الزنوج منهم أخلاق الأمم المتمدنة، وأسلموا، ثم انتظموا في الجندية، وتآلفت منهم فرق حاربت تحت ريات الخلفاء في بلاط الخلفاء، حتى صاروا من أهل الحل والعقد.

وتولى بعضهم الحكومة، ثم تجندوا لأنفسهم، ونهضوا كما تنهض الأمم الراقية ، فألفوا جيشا حاربوا به الدولة العباسية عدة سنين، حتى ألقوا راحتها. وفتحوا المدن، وكادوا يؤسسون دولة إسلامية كبرى.

على أنهم أنشأوا دولا صغرى في أواسط إفريقيا وغربها. ونبغ منهم للحكام وللقواد. وأشهرهم: كافور الإخشيدي<sup>(١٣)</sup> صاحب مصر ، وظهر غير واحد من الشعراء ونظموا القصائد الحسنة، ونبغ منهم جماعة من القراء والفقهاء، وتدخل أخبارهم في تاريخ الإسلام.

وقس على ذلك أخبار أمم للشمال: كالكرج والأرمن والأكراد والخزر والصقالبة وغيرهم.

ناهيك بالعرب أنفسهم وتاريخهم قبل الإسلام وبعده، لولا الإسلام لذهبت أخبارهم وأخبار الأمم الإسلامية الأخرى، وأكثر ما يعرفه المتمدنون في هذه الأمم، أخذوه من تاريخ الإسلام.

٣- أرخ المسلمون فترة من الدهر، لم يعرف تاريخها، لولاهم، لأن حواشي ظهور الإسلام وما تلاه من أخبار الفتح وما عقب ذلك من إنشاء التمدن ونشر لواء العلم ونقل الفلسفة وغيرها من علوم القداماء، وما اقتضاه ذلك من التغيير والتبديل، فلما عرف عنه الإفرنج شيئا لولا تاريخ الإسلام.

[ص/١٣] ٤- إن مدة هذا التاريخ أطول من مدد سائر التواريخ، لأن الإسلام يشمل دولا شتى إسلامية، إذا انقضت دولة قامت أخرى، ونحن في القرن الرابع عشر من تاريخ الهجرة<sup>(١٤)</sup>، وقد توالى في الإسلام مئات من الدول من أمم مختلفة في آسيا وإفريقيا وأوربا، ولا يزال من هذه الدول كثير حتى الآن في هذه

القارات، منها الدول الكبرى كالدولة العثمانية والفارسية والدول الصغرى في الهند وجزيرة العرب وإفريقيا.

ولا نعرف أمة طال سلطانها في الأرض مثل هذه المدة، ولا يزال عمر الإسلام طويلا، بل هو في نهضة إصلاحية تساعده على طول بقائه، فهو لذلك يحتوى على تاريخ أطول من سائر التواريخ الأخرى.

٥- يمتاز تاريخ الإسلام عن سواه أنه يشتمل على تاريخ السياسة والدين والعلم والشريعة، وهذا قلما يجتمع في التواريخ الأخرى.

وتاريخ الفقه الإسلامي لا يدانيه تاريخ فقه لأمة من أمم الأرض بما يدخل فيه من أعمال الفكر واستنباط العقل، وقس عليه تاريخ العلم؛ لأن المسلمين أتوا في نهضتهم العلمية في العصر العباسي بما لم يأت غيرهم في نهضة، فقد اشتغلوا بعلوم اليونان والفرس والهنود والسرمان وغيرهم ونقلوها إلى لسانهم وذكرها أخبارها وأحوالها فضلا عما في اختلاف أجناس المؤرخين من جوامع الفوائد، فإن بينهم العربي والفارسي والتركي والرومي والمصري والسرياني والهندي وغيرهم، ولكل أمة مزية، فاجتمعت هذه المزايا في تاريخ الإسلام.

٦- يشتمل تاريخ الإسلام على عبر تاريخية لا يتيسر اجتماع مثلها في تاريخ أمة أخرى؛ لكثرة العناصر والأجناس الداخلة في الإسلام، ولكل منها عادات وأخلاق.

وكان في كتاب المسلمين ميل إلى ذكر الحوادث [ص/١٤] والإشارة إلى العبرة والوفاء فيها، على أننا لا ننكر ما في تواريخ الأمم الأخرى من المزايا التي قد تمتاز بها على تاريخ الإسلام.

### تاريخ مصر بالنظر إلى سواه

إن تاريخ مصر من قبيل التواريخ الخاصة؛ لأنه يختص بمصر دون سواها من البلاد، وهو تاريخ طويل، لأن مصر من البلاد التي تمدنت قديما، ولعلها أقدم الممالك المتمدنة التي وصل إلينا خبرها، ويقسم تاريخها إلى قسمين كبيرين: قديم وحديث، فالتاريخ القديم: يشتمل على تاريخها من أول عهدنا إلى الفتح الإسلامي، ويدخل فيه تاريخ دول الفراعنة، وينتهي هذا بفتح الإسكندر الإسكندرية سنة

٣٣٢ق.م. ودولة البطالسة تبدأ بفتح الإسكندر وتنتهي بالفتح للروماني سنة ٣٠ق.م. والدولة الرومانية تبدأ بهذا الفتح وتنتهي بفتح الإسلام سنة ٦٤٠م، ولا يزال ، وهو تاريخها الإسلامي.

ويقسم تاريخها الحديث الإسلامي إلى ١٢ دولة كلها إسلامية، يتخللها الفتح

(١٥) الفرنساوي على يد " بونابرت" ثلاث سنوات، ونعدها دولة ثالثة عشرة وهي:

- ١- دولة الخلفاء الراشدين: من سنة ١٨ (١٦) - ٤١هـ أو من ٦٤٠ - ٦٦١م.
- ٢- الدولة الأموية: من ٤١-١٣٢هـ أو من ٦٦١ - ٧٥٠م.
- ٣- الدولة العباسية: للمرة الأولى من ١٣٢-٢٥٧هـ أو من ٧٥٠ - ٨٧٠م.
- ٤- الدولة الطولونية: من ٢٥٧-٢٩٢هـ أو من ٧٨٠-٩٠٥م.
- [ص/١٥] ٥- الدولة العباسية: للمرة الثانية من ٢٩٢-٣٢٣هـ أو ٩٠٥-٩٣٤م.

- ٦- الدولة الإخشيدية: من ٣٢٣-٣٥٨هـ أو من ٩٣٤ (١٧) - ٩٦٩م.
- ٧- الدولة الفاطمية : من ٣٥٨-٥٦٧هـ أو من ٩٦٩-١١٧١م.
- ٨- الدولة الأيوبية: من ٥٦٧-٦٤٨هـ أو من ١١٧١-١٢٥٠م.
- ٩- دولة المماليك الأولى : من ٦٨٤ (١٨) - ٧٨٤هـ أو من ١٢٥٠-١٣٨٢م.
- ١٠- دولة المماليك الثانية: من ٧٨٤-٩٢٣هـ أو من ١٣٨٢-١٥١٧م.
- ١١- الدولة العثمانية : من ٩٢٣-١٢١٣هـ أو من ١٥١٧-١٧٩٨م.
- ١٢- الحملة للفرنساوية: من ١٢١٣-١٢١٦هـ أو من ١٧٩٨-١٨٠١م.
- ١٣- الدولة للمحمدية العلوية: من ١٢١٦هـ أو ١٨٠١م ولا تزال.

### موضوع هذا الكتاب

فموضوع هذا الكتاب يقتصر على الدولة الحادية عشرة من الدول الإسلامية التي دخلت مصر في حوزتها، نعني للدولة العثمانية بعد إخراج العدة التي كانت مصر في أثنائها تحت سيطرة<sup>(١٩)</sup> الفرنساوي، على أثر الحملة للفرنساوية من سنة ١٧٩٨-١٨٠١ فيكون موضوع هذا الكتاب، تاريخ مصر العثمانية من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ-١٢١٣هـ أو من ١٥١٧-١٧٩٨م وهو أظلم<sup>(٢٠)</sup> أقسام التاريخ المصري الحديث، لأن مصر كانت في أثنائها مضطربة، وقد استبد بها للمماليك

وفسدت حكومتها، وقل من كتب في تاريخها من المحققين، على أننا سنبدل الجهد في إيضاح ذلك التاريخ.

ولابد لنا قبل التقدم إلى الكلام فيه من أن نقدم القول [ص/١٦] بمقدمات تمهيدية لزيادة الإيضاح فنقول:

### ما كانت عليه مصر عند الفتح العثماني

ويقتضى بيان بذلك أن نأتي بفذلكة تاريخ السلاطين المماليك الذين انتقلت مصر من أيديهم إلى العثمانيين على يد السلطان سليم الفاتح<sup>(٢١)</sup>.

### السلاطين المماليك

ويراد بالسلاطين المماليك، الدولة التي أنشأها ممالك الدولة الأيوبية بعد انقضائها.

حكمت الدولة الأيوبية من سنة ٥٦٧-٦٤٨هـ — (١١٧١-١٢٥٠م) وهي كردية، لأن مؤسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي<sup>(٢٢)</sup> كردي، وهو من أعظم رجال الإسلام تعقلا وسياسة وبسالة وتدبيراً، أنشأ دولته على أنقاض الدولة الفاطمية بمصر، وباع فيها للخلفاء العباسيين، وحارب الصليبيين وردهم عن سوريا، وأنقذ بيت المقدس من أيديهم، ومآثره أشهر من أن تذكر، وارتفع شأن الأكراد في أيام دولته، وتولوا الإمارات والولايات في مصر والشام وكردستان واليمن وخراسان. ولما مات اقتسم مملكته، إخوته وأولاد إخوته<sup>(٢٣)</sup>، ولذلك لم يطل حكمها، فغلبهم على معظمها مماليكهم الأتراك، كما غلبت الأتابكة ملوكهم السلاجقة قبلهم، فكان للمماليك في مصر دولتان تعرفان بالسلاطين المماليك.

### أصل السلاطين المماليك

يدل اسم المماليك على أصلهم فقد كانوا أرقاء مملوكين، ثم صار الحكم إليهم، وهم من الأتراك، كانوا في الأصل جنداً مأجوراً أو مبتاعاً<sup>(٢٤)</sup>. بدأ استخدام الأتراك في الجندية على هذه الصورة في أيام المعتصم<sup>(٢٥)</sup> العباسي [ص/١٧] في أوائل القرن الثالث للهجرة، فإنه استقدم منهم جماعة من تركستان ابتاعهم أو

استرضاهم أو استأجرهم لتعزيز حاشيته خوفا من تغلب أحد الحزبين اللذين استقطب شأنهما يومئذ في أثناء الفتنة بين أخويه الأمين والمأمون. إذ قام العرب مع الأمين<sup>(٢٦)</sup> والفرس مع للمأمون<sup>(٢٧)</sup> وكان الشأن الأكبر في أول للدولة العباسية للجدد الخراساني ( للفرس) وهم اللذين نقلوا الدولة الإسلامية من بني أمية إلى العباسيين. وكان العيوب أقباء لأنهم قوام للدولة ، ومنهم للخلفاء وهم مادة الإسلام وأصله وكان للفرس من حزب البرامكة، وكان الرشيد ذا عصبية للعرب ويخاف الفرس، لأنهم أنصار للشيعة العلوية فنكب البرامكة خوفا منهم.

ولما اختلف الأمين والمأمون وتنازعا على الخلافة بعد الرشيد، كان العيوب مع الأمين، والفرس مع للمأمون، لأن أمه فارسية، والأمين أمه عربية هاشمية " زبيدة" ، وكان الفوز للمأمون وقتل الأمين، فانحط شأن العرب، وصارت السيادة إلى الفارسيين أنصار المأمون واستبدوا في الدولة.

وكانت الحضارة قد أضرت بالمسلمين وأذهبت منهم قوة للتغلب والفتح<sup>(٢٨)</sup>. ففكر المعتصم أخو المأمون في ذلك قبل أن تفضى للخلافة إليه. وكانت أمه تركية ، وفيه كثير من طبائع الأتراك مع الميل إليهم، لأنهم أخواله. كما كان يميل للمأمون إلى الفرس لنفس هذا السبب.

وشاهد المعتصم من جرأة الفرس وتطولهم بعد قتل أخيه الأمين حتى أصبح يخافهم على نفسه، ولم تكن له ثقة بالعرب وقد ذهبت عصبيتهم وأخذوا إلى الحضارة والترف وانكسرت [ص/١٨] شوكتهم فرأى أن يتقوى بالأتراك وهم لا يزالون إلى ذلك العهد أهل بدادة وبطش مع الجرأة على الجر<sup>(٢٩)</sup> والصبر على شظف للعيش فجعل يتخير منهم الأشداء يبتاعهم بالمال من مولدهم في العراق، أو يبعث في طلبهم من تركستان وغيرها، فاجتمع عنده عدة آلاف منهم وفيهم جمال وصحة، فألبسهم أثواب اللدياج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة، وميزهم بالزى عن سائر الجنود.

### دولة المماليك الأولى

وصار تجنيد الأتراك من ذلك الحين قاعدة في الدول الإسلامية<sup>(٣٠)</sup>، ومن جملتها الدولة الأيوبية بمصر، فإن الملك للصالح ابن الكامل (٦٣٧-٦٤٧هـ) ١٢٤٠-١٢٤٩م استكثر من لقتلتهم حتى جعل منهم بطلته وأمراء دولته والمحيطين

بدهليزه وصارت مناصب للدولة إليهم، وأمنح حصون البلاد في قبضتهم قد اتخذوها مستقرا لهم حتى إذا ضاقت ذرعا من الإحاطة بهم ابتنوا - بأمر الملك الصالح- قصورا عظيمة متقنة البناء منيعة الجانب من جزيرة الروضة بضواحي القاهرة قرب المقياس. وقد زادها مركزها الطبيعي مناعة وجمالا<sup>(٣١)</sup> ، لأن النيل يتفرع هناك إلى فرعين، وكان يدعى نقطة تفرعه، بالبحر<sup>(٣٢)</sup> لعظم اتساعه، فسمي هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية، ومنها اسم دولتهم تميزا لها عن دولة المماليك الشراكسة، الأتبي ذكرها.

وكانت سطوة المماليك البحرية تنتشر يوما فيوم إلى أن طمعوا بخلع السلطان وتولى الملك مكانه<sup>(٣٣)</sup>، فلما تولى الملك المعظم آخر سلاطين بني أيوب، وكان على ما كان عليه من الاستبداد، أنفت نفوسهم من أعماله فسعوا فيه إلى أن قتلوه.

ولما قتل الملك المعظم اختلفت الأحزاب فيمن يبایعون بعده [ص/١٩] وكلى فئة تحاول استبقاء الحكم في يدها وتعاضم الخصام فتداركت الأمر شجرة الدر وهي محظية كانت لها منزلة عند الملك المعظم<sup>(٣٤)</sup> وسائر رجال الدولة فرأت حزب المماليك أعز جانبها من الجميع. وكانت قبلا قد تواطأت مع أيبك عز الدين وهو من أعظم الأمراء المماليك نفوذا وبينهما علاقات ودية من أيام الملك الصالح فتمكننت بهذه الصداقة من مبايعة الجميع لها مما لم يسبق له مثيل في الإسلام لكنها لم تستطع استبقاء الحكم في قبضتها أكثر من سنة فخلعها المماليك وولوا أيبك عز الدين المذكور سنة ٦٤٨ (١٢٥٠م) وله منازعون ومناظرون، وزاد الأمر إشكالا تعدي الصليبيين على دمياط في تلك الأثناء.

وما زالت السيادة تنتقل من واحد إلى آخر منهم<sup>(٣٥)</sup> حتى أفضت إلى الظاهر بيبرس البندقداري<sup>(٣٦)</sup> أعظم سلاطينهم (٦٥٨-٦٧٦هـ) ١٢٦٠-١٢٧٧م.

#### الملك الظاهر بيبرس

وكان الملك الظاهر ملكا حازما، شديد البطش كثير الغزوات، خفيف الركاب يحب السفر، وكان مشهورا بالفروسية في الحرب ، وله إقدام وعزم على القتال،

وثبات عند التقاء الجيوش حتى لقبوه بأبي الفتوح، وكان شعاره الأسود، إشارة إلى شجاعته<sup>(٣٧)</sup>.

ومن أعماله الماثورة أنه عمر الحرم النبوي، وقبة الصخرة في بيت المقدس، وزاد في أوقاف الخليل، وعمر قناطر شبرلمنت بالجيزة وسور الإسكندرية ومنار رشيد، وروم فم بحر نديماط ووعر طريقه، وعمر للشوناني، وعمر قلعة دمشق وقلعا عديدة في أنحاء سورية، وعمر المدرسة بين القصرين في القاهرة والجامع الكبير بالصينية [ص/٢٠] وهو المعروف الآن بالجامع الظاهر، وحفر خليج الإسكندرية القديم وباشره بنفسه، وبنى هناك قرية سماها الظاهرية، وحفر بحر أشمون طنناح، وجدد الجامع الأزهر بالقاهرة وأعاد إليه الخطبة، وعمر بلاد الصعيد من الشرقية بمصر وبنى القصر الأبلق في دمشق، وغير ذلك من الآثار الباقية إلى اليوم.

واشتهر الملك الظاهر بحروبه مع الصليبيين، فاستولى على بلاد كثيرة من سوريا وفلسطين وحلب، وفتح بلاد النوبة وبرقة.

وفي أيامه جاء العباسيون إلى مصر على أثر فرارهم من بغداد بعد سقوطها بأيدي التتر وقتل الخليفة المستعصم سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) فجاء منهم إلى مصر الإمام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله، فوصل مصر سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) فاستقبله الملك للظاهر أحسن استقبال، وبايعه، وأثبت نسبه في مجلس من القضاة والعلماء، وأراد أن يسترجع لهم بغداد، فأرسل جندا لاستخراجها من سلطة التتر فلم يفلح<sup>(٣٨)</sup> في حديث يطول شرحه، لكنه أفلح في جعل مصر مقر الخلفاء العباسيين، وصاروا لا يثبت سلطان منهم على كرسى مصر إلا إذا بايعه الخليفة العباسي بماله من السيادة الدينية<sup>(٣٩)</sup>.

### [ص/٢١] بقية دولة المماليك الأولى أو البحرية

مات الملك الظاهر سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) وخلفه على الملك ولده بركه خان<sup>(٤٠)</sup> ثم سلامش. ولم يكونا أهلا للرئاسة، فتغلب عليهما وصى كان على سلامش<sup>(٤١)</sup> اسمه سيف الدين قلاوون الألفي، فخلع سلامش، وتسلم زمام الأحكام، فبويع ولقب بالملك المنصور.

وكان مدة حكمه بضع عشرة سنة من ٦٧٨-٦٨٩هـ (١٢٧٩-١٢٩٠م) ، وكان حسن الشكل ، ربع القامة ، قليل الكلام بالعربية، وكان شجاعا بطلا مقداما فى الحرب، مغرما بشراء المماليك حتى قيل إنه تكامل عنده ١٢,٠٠٠ ملوك أكثرهم من الشركاسة، وحارب الصليبيين وغيرهم ، وخلف آثارا بنائية لا يزال بعضها قائما إلى اليوم، منها المارستان المنصوري، وجامع قلاوون فى شارع النحاسين بمصر.

وبلغ من عنايته بالمماليك أنه غير ملابسهم، وأبسهم المخمل الأحمر والأخضر والسمور والفرو، وكان استنكاره من الممالك الشركاسة سببا فى خروج السلطة من نسله، كما أصاب الملك الصالح باستنكاره من المماليك الأتراك. فتوالى على الملك بعده بعض أولاده وبعض مماليكه الأتراك<sup>(٤٢)</sup> ولم يثبت الملك طويلا إلا لابنه الناصر بن قلاوون من سنة ٧٠٩-٧٤١هـ (١٣١٠-١٣٤١م) فخلف آثارا كثيرة، وحارب حروبا جمّة ، ومن جملة آثاره مجرة الماء، والسقايات السبع على حدود مصر القديمة فى القاهرة.

وتكاثرت مماليك الملك الناصر المذكور فى أواخر أيامه، وانتقل الحكم بعده إلى أبنائه الواحد بعد الآخر، وهم ثمانية، من سنة ٧٤١-٧٦٢هـ (١٣٤١-١٣٦١م) ومنهم السلطان حسن صاحب الجامع المعروف باسمه فى مصر ، وانتقل<sup>(٤٣)</sup> [ص/٢٢] بعدهم إلى جماعة من أهلهم حكموا ٢٢ سنة أخرى<sup>(٤٤)</sup> حتى انتقل سنة ٧٨٤هـ إلى دولة المماليك الشركاسة أو " دولة المماليك الثانية".

### دولة المماليك الثانية، أو الشركاسة

والمماليك الشركاسة هم مماليك السلطان قلاوون المتقدم ذكره، وهم جنس من أهل آسيا يخالف الأتراك، أصلهم من جهات سيبيريا ونواحي بحيرة " بيكسال"، وهاجروا فى القرن السادس للميلاد إلى غربى بحر قزوين يحملون من بلادهم للتجار بهم فى أنحاء العالم، فاقتنى منهم سلطان المماليك البحرية الأخير عددا وافوا فضلا عن المماليك البحرية اقتداء بأسلافه، وكانوا يستخدمونهم فى صالح الدولة فارتقوا فيها تبعا لما خصتهم به الطبيعة من الجمال والذكاء حتى صارت إليهم حماية الحصون والقلاع فجعلوا سكانهم فى الأبراج فلقبوا " بالبرجية" وما زالوا يزددون عددا وقوة ومنعة حتى تآقت نفوسهم إلى تسلق كرسي الملك يجعلونه إرثا فى نسلهم.

فتمكنوا من ذلك على يد مملوك منهم حازم اسمه برقوق<sup>(٤٥)</sup>، وهو ابن مرتد شركسي اسمه أنس، تدرج في مصالح للدولة من أنداها إلى أعلاها بحزمه ودهائمه حتى تمكن من تسلق كرسي الملك سنة ٧٨٣هـ<sup>(٤٦)</sup>، ومازال حاكما نافذ الكلمة إلى سنة ٨٠١هـ (١٣٩٩م).

وفي أيامه حمل " تيمورلنك"<sup>(٤٧)</sup> القائد التتري على العالم الإسلامي حتى هد حدود سوريا فحمل عليه برقوق في صفد وأوقفه عند حده.

### أول عاقلق العثمانيين بمصر

وفي أثناء ذلك أفضت سلطنة آل عثمان إلى السلطان بايزيد<sup>(٤٨)</sup> [ص/٢٣] في آسيا الصغرى، وقد طمع بمصر فجاء تيمورلنك لينازعه عليها وعلى مصر، فبعث كل منهما وفدا إلى القاهرة. فطلب وفد بايزيد إلى برقوق أن يعاهده على ١٠م، وإلى الخليفة للعباسي المقيم في القاهرة أن يقر بايزيد رسميا على سلطنة الأناضول، فأجابهم إلى ما طلبوه.

أما وفد تيمورلنك فاتخذوا خطة أخرى لأنهم استعملوا الخسونة والفضاطة في أقوالهم ومطالبهم، فطلبوا منه أن يسام لهم قرا يوسف، وأحمد بن ويس اللذين قد انتجا إليه<sup>(٤٩)</sup>، فطيب برقوق خاطرهم وأخذهم بالملاينة فزادوا فجورا، فأمر بقتلهم، فشق ذلك على تيمورلنك، فساق جيشه وقدم للانتقام فمر بالرها، وقتل من فيها ثم جاء حلب فأنكى فيها، ثم توقف عن مسيره لغرض في نفسه يسهل عليه افتتاح مصر، فلم يغفل برقوق عن ذلك فكثر من الجند والسلاح، وتأهب للدفاع أو الهجوم لكنه لم يكد يتم هذه التأهبات حتى كركته للوفاء<sup>(٥٠)</sup>.

[ص/٢٤] والسلطان برقوق أعظم سلاطين دولة المماليك للشراسة أو الثانية وله آثار منها جامع لا يزال يعرف باسمه وكان له ولع خاص باقتناء الأسلحة، ونظم الجند، وعين رتبة، وجعل مناصب الدولة إلى تسعة من كبار الموظفين أكبرهم أتاك العساكر، فرأس نوبة الأمراء فأمرير السلاح، فأمرير المجلس، فأمرير الأياخور، فالودار، فرأس النوبة الثاني، فحاجب الحجاب<sup>(٥١)</sup>، وهو أول من عقد مع العثمانيين صلحا أو عهدا، كما رأيت.

وتولى الملك بعده اثنان من أولاده، الواحد بعد الآخر<sup>(٥٢)</sup> ثم تنازع السيادة مماليك آخرون<sup>(٥٣)</sup> يطول بنا ذكر مدد حكمهم، أهمهم فيما نحن فيه : الملك الأشرف قايتباي من سنة ٨٧٢-٩٠١ هـ (١٤٦٨-١٤٩٦ م).

تولى الملك والمملكة المصرية في اضطراب، وفي أيامه اقتضت الأحوال أن تتدخل الدولة العثمانية بمصر، وتعاديها وذلك أن السلطان محمد الثاني حارب ملك الفرس "أوزون" وتغلب عليه<sup>(٥٤)</sup> وكان بين المصريين والفرس تحالف. ثم ما لبث قايتباي بك أن سمع بعزم السلطان المذكور على فتح "سوريا" سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) ولكن لم يخرج من بر الأناضول حتى داهمته المنية في مدينة "طيفور جاير" وتخلص ابنه "بايازيد"، و"جم" أو "زيزم" على الملك، فشفغلا عن الفتح، فاغتم قايتباي باي تلك الفرصة وانسحب بجيشه إلى مصر.

وما زال الخصام يتعاطم بين ابني محمد حتى كانت بينهما<sup>(٥٥)</sup> واقعة "يكي شهر"<sup>(٥٦)</sup> فانهزم جم حتى أتى مصر، والتجأ إلى قايتباي بك، فأكرم وفادته، ثم علم أن ذلك الإكرام يهيج حاسة الانتقام في بايازيد "الثاني" فقال في نفسه: "إذا كان لابد من محاربة العثمانيين لنكن [ص/٢٥] مهاجمين أولى من أن نكون مدافعين" فجعل بناوى الأتراك ويقطع السبل على قوافلهم الناقلة الحجاج إلى الحرمين حتى قبض على وفد هندي مرسل في مهمة سياسية إلى بايازيد، واستولى على "أدنة" و"ترسوس" وكانتا في حوزة العثمانيين.

أما بايازيد فكان واقفا بالمرصاد ينتحل حجة لمهاجمة المصريين فجاءت تلك الإجراءات طينة على عجيبة، إلا أنه رأى أن يأتيهم من باب الحزم فأنفذ إليهم رسلا في طلب التعويض عما سببوه من الخسائر والأضرار، فأرجع قايتباي "باي" الرسل وبعث يهاجم الجيوش العثمانية، فقاومته أشد المقاومة، وأرجعت جيشه إلى ملاطية، فأنجدهم "قايتباي" بخمسة آلاف رجل فعادوا إلى العثمانيين وهم في مضايق الجبال، فهجموا عليهم بغتة، وذبحوا منهم عددا كبيرا، وفر الباقون وتحصنوا في "ترسوس" و"أدنة" فاتصل ذلك بقايتباي بك فأرسل الأمير الأربكي في نجدة لإخراج العثمانيين من تينك المدينتين، فسار وحارب وفاز فشق ذلك على بايازيد وآلى على نفسه إلا أن يسترجع ترسوس وأدنة، فأنفذ<sup>(٥٧)</sup> جيشا كبيرا تحت قيادة صهره أحمد، وهو ابن أمير البوسنة فلما وصل إلى معسكر الأربكي<sup>(٥٨)</sup> اقتتل الجيشان فهجم أحمد

هجمة قوية، لكن رجاله لم يستطيعوا للثبات، ففازت الجيوش المصرية، وأسر أحمد بعد أن جاهد جهادا حسنا، فعاد الأريكي بأسيره إلى مصر ظافرا، فبنى جامع المشهور المعروف بجامع الأريكية<sup>(٥٩)</sup> وكانت في أيامه بركة يتجمع إليها الماء أيام الفيضان وهي التي صارت الآن حديقة الأريكية.

فلما بلغ بايزيد ما كان من انكسار جيوشه، استشاط غضبا، وجند جندا كبيرا جعله تحت قيادة " على باشا" لمحاربة [ص/٢٦] للمصريين، فسارت تلك الحملة من الأستانة فعبرت البوسفور في ٣ ربيع آخر سنة ٨٩٣<sup>(٦٠)</sup>، ونزلت قرمان، فاتصل خبرها بقايت بك، فأوجس خيفة فعمد إلى المصالحة، فأنفذ إلى بايزيد صهره أحمد واسطة لعقد شروط الصلح، فرفض بايزيد ذلك رفضا باتا، وسار حتى التقى بالمصريين في " أذنة " و" ترسوس" فحاربهم وفاز عليهم، واسترجع للمدنيين الواحدة بعد الأخرى، بعد أن أهدر دماء غزيرة ثم سار إلى أرمنييا وأخضعها، وحاصر عاصمتها، فافتتحها بعد أن دافعت دفاعا قويا، وأسر حاكمها، وأرسله بعد ذلك إلى مصر بدلا من الأمير أحمد، فبعث قايت باي الأريكي ثانية لدفع للعثمانيين، فواقمهم في "ترسوس" فغلبوه أولا ثم عاد إليهم وفاز بهم وأعادهم للقهري وعاد إلى القاهرة ظافرا، فخلع عليه قايت باي، ثم رأى أن يغتم كونه ظافرا لمصالحة العثمانيين، فبعث إلى بايزيد في ذلك فأجابه وطلب إليه أن يتنازل له عن " ترسوس" و"أذنة" وأنه إذا لم يفعل يدعو الناس إلى الجهاد، فيجتمع تحت لوائه كل من يدعو لآل عثمان، فجيش مصر ويفتحها فتحا مبينا، فخاف قايت بك وتنازل عن المدينتين اكتفاء بأهون للشوشين وكان ذلك سنة ٨٩٦هـ (١٤٩١م) ، فقايت بك أول من حارب للعثمانيين، وكان عادلا محبوبا، وما زال العقلاء للذين عاصروا سائر دولة المماليك يضربون المثل بإيامه، ويطلبون الرجوع إلى مثلها.

### حرب أخرى مع العثمانيين

#### قتسوه<sup>(٦١)</sup> القوري

خلف قايت باي على مصر خمسة سلاطين<sup>(٦٢)</sup> لم يطل حكمهم أكثر من [ص/٢٧] من خمس سنين لاضطراب الأحوال فجاء بعدهم السلطان قتسو القوري

حكم من سنة ٩٠٦-٩٢٢هـ (١٥٠١-١٥١٦م) وكان مخلصا فى الحكم وهو صاحب الجامع المعروف باسمه فى القاهرة.

ويهمنا هنا أن فى أيامه حدث اختلاف آخر بين العثمانيين والمصريين. وذلك أن كركود أخا السلطان سليم بن بابايزيد جاء مصر سنة ٩١٨هـ (١٥١٢) فارا من أخيه، وكانا قد تخاصما على الملك كما حصل بجم وبيازيد قبلا، فرحب قنسو الغورى به ترحابا عظيما وجهزه بعشرين بارجة بحرية لافتتاح القسطنطينية، فذهبت العمارة غنيمة لمراكب "أورشليم" فى البحر المتوسط ولم تكن النتيجة إلا إثارة غضب السلطان سليم على مصر فجهز إليها، وابتدأ بفتح الحدود السورية وأرسل إلى مصر رسائل التهديد، فاتحد الغورى مع ملك الفرس إسماعيل شاه على قهر العثمانيين، وكان الفرس فى حرب معهم وسنعود إلى تفصيل ذلك إلا أن الجيوش العثمانية لم تبال بكثرة العدد فشنت الجيشين وأي تشتيت. فعمد قنسو الغورى إلى مخابرة العثمانيين بأمر الصلح على أي وجه كان، وبعث إلى السلطان سليم بذلك فسارت الرسل إلى السلطان سليم فخرروا ساجدين وخاطبوه بأمر الصلح فقال لهم وقد استنماط غيظا" لقد فات الأوان، انهضوا وارجعوا إلى سلطانكم وقولوا له، إن الرجل لا تعثر بحجر واحد مرتين ، وها إنى ذاهب إلى القاهرة فيستعد للدفاع إن كان له أهلا".

فعادوا وأخبروا بما كان، فجمع قنسو رجاله وزحف لملاكاة الجيوش العثمانية فالتقى بها فى "مرج دابق" قرب حلب فانتهت [ص/٢٨] الحرب هناك وأظهر الغورى بسالة وثباتا عظيمين حتى أوشكت رجاله أن تستظهر، فمنعتها مدافع العثمانيين من ذلك ولم يكن للمصريين، مثل ذلك السلاح<sup>(٦٣)</sup> فتشوش نظامهم ووقع الرعب فى قلوبهم، وانحاز قائدا جناحيهم إلى العثمانيين، وكان الغورى قائدا لقلب الجيش فاضطر إلى الفرار، فحول شكيمة جواده، فسقط عنه لشدة الازدحام وقتل تحت أرجل الخيل سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م).

## آخر السلاطين المماليك

فخلفه الملك " الأشراف طومان باي" ابن أخيه، وفي أيامه فتح السلطان سليم مصر وصارت عثمانية، ولم يتم طومان باي سنة في حكمه، وقبل للتقدم إلى تفصيل ذلك للفتح، نأتي بفلكة عن تاريخ الدولة العثمانية إلى سنة الفتح فنقول:

## لدولة العثمانية

هي دولة تركية لكنها تختلف عن دولة الممالك التركية ( الأولى) المتقدم نكرها أن أصحابها لم يكونوا من المماليك بل هم قوم أحرار أهل سيادة، جاءوا فاتحين - وقد نشأت في الإسلام عدة دول تركية منها أربع دول نشأت وانقرضت في أيام العباسيين قبل سقوط بغداد، وكان مؤسسوها في الغالب عمالا للعباسيين في بعض الولايات ثم استقلوا وهي: الدولة الطولونية والإيلكية<sup>(١٦)</sup> والإخشيدية والفرزونية<sup>(١٥)</sup>، وليس في الدولة التركية دولة كان أصحابها أهل سيادة في بلادهم وجاءوا [ص/٢٩] المملكة الإسلامية فاتحين إلا السلاجقة والعثمانيون.

أما دولة السلاجقة فمؤسسها أمير تركي كان في خدمة بعض خانات تركستان فعلم باختلال المملكة العباسية، فطمع بها وعلم أنه لا يبلغ ذلك وهو على غير دين الإسلام، فأسلم هو وقبيلته وسائر جنده ورجال عصبته دفعة واحدة<sup>(١٦)</sup>. ونهض بجميع هؤلاء من تركستان وساروا غربا فقطعوا نهر جيحون وتدرجوا في الفتح ونشر السيادة حتى اكتسحوا المملكة العباسية، وامتد سلطانهم من أفغانستان إلى البحر الأبيض وكانت لهم بعد ذلك دولة عريضة تفرعت إلى خمسة فروع<sup>(١٧)</sup> لا محل لنكرها هنا، ولما شاخت دولتهم، أفضت للملكة إلى ممالكهم، ويسمونهم الأتابكة، واحدهم " أتابك" ففرعت المملكة السلجوقية بهم عشر ممالك<sup>(١٨)</sup> ، وبقي من السلجقة فرع عرف بسلاجقة الروم في آسيا الصغرى، تفرع إلى ثماني إمارات<sup>(١٩)</sup> أخذها منهم العثمانيون، وأقاموا دولتهم على أنقاضها كما سيجيء.

العثمانيون شأنهم في تأسيس دولتهم مثل شأن السلاجقة، فإنهم جاءوا من تركستان وهم أهل دولة وأصلهم من التتر الذين يقطنون ما يجاور جبال ألتاي عند حدود الصين الشمالية، ويغلب على الظن أنهم الإسكتيون المعروفون قديما بالشجاعة وشدة لباس، ويقال إن جماعة منهم ينتسبون إلى جد يقال له " ترك" نزحوا غربا في

القرن الأول للميلاد، وأقاموا فيما هو الآن تركستان، وهي مشهورة بجودة الإقليم وخصب المرعى وجمال المكان وقوة الأبدان<sup>(٧٠)</sup>.

وما استتب لهم المقام هناك حتى أخذوا يمدون سلطنتهم [ص/٣٠] وهم لا يزالون في حال الجاهلية، ولم يعتنقوا الإسلام إلا في أواسط القرن الرابع للهجرة وأشهرهم طائفتان، إحداهما السلاجقة المتقدم ذكرهم، وقلنا إن منهم فرعا ظل سائدا في آسيا الصغرى إلى أواخر القرن السابع للهجرة، وسلطانه يومئذ علاء الدين كيخباد الثاني<sup>(٧١)</sup>، تولى الملك سنة ٦٩٦هـ (١٢٩٦ م).

أما الأوغوزية فما زالوا مقيمين في تركستان حتى ظهر جنكيز خان القائد المغولي وغزا قبائل تلك البلاد، فأذعنوا له إلا الأوغوزية فإنهم هاجروا بقيادة أمير يدعى سليمان يطلبون مقاما ومرعى لماشيتهما، وما زالوا يسبرون غربا حتى حدث وهم يعبرون الفرات أن أميرهم سقط بجواده في النهر ومات<sup>(٧٢)</sup>، فدفنوه هناك وهو جد السلطان عثمان مؤسس هذه الدولة فأصبحوا بعده جماعات متفرقة، فاتخذ ابنه أرطغرل قيادة جماعة منهم وسار بهم يخترق آسيا الصغرى، وهو في بعض السهول شاهد أرطغرل عن بعد غبارا متصاعدا وحربا قائمة، فتقدم على نية الانتصار لأضعف الفئتين المتحاربتين، ففعل، وهو لا يدري لمن ينتصر، فقبض الله النصر له ن وتقهقرت الفئة الأخرى ثم علم أنه انتصر للسلجوقيين وقهروا المغوليين<sup>(٧٣)</sup>، فشكر الله على ذلك.

فقال منزلة رفيعة لدى علاء الدين السلجوقي<sup>(٧٤)</sup>، فأقطعته بقعة كبيرة يقيم فيها برجاله على حدود فرجيا وبيثينيا<sup>(٧٥)</sup> فكانت أرضا خصيبة ذات مرعى حسن- وفي تلك البقعة نشأ ابنه عثمان وشب [ص/٣١] وترعرع وما زال أرطغرل تحت رعاية علاء الدين حتى توفي<sup>(٧٦)</sup> فخلفه ابنه عثمان<sup>(٧٧)</sup> ثم توفي علاء الدين فالتسم أمراؤه مملكته، فاستقل عثمان بما لديه سنة ١٣٠٠م وهو أول أمراء آل عثمان<sup>(٧٨)</sup>.

ومن التقاليد المأثورة بين العثمانيين، أن عثمان هذا عشق وهو شاب فتاة تدعى "مال خاتون" وكان والدها شيخا تقيا ورعا طاعنا في السن اسمه أدبالي، فلما شعر بمحبة عثمان لابنته، خاف العاقبة وصار يحاول إبعادها الواحد عن الآخر، وبالغ في حجاب ابنته لأنه لم يكن يطمع بمصاهرة ابن حاكمه<sup>(٧٩)</sup>.

فجاء عثمان ذات ليلة ليبيت في منزل أنبالي وقضى معظم الليل هاجسا بحبيته<sup>(٨٠)</sup> حتى غلب عليه للنعاس، فرأى في الحلم [ص/٣٢] كان القمر خارج من صدر أنبالي، ثم رآه يتسع بسرعة حتى غطى كل ما كان واقعا تحت نظره من الأرض، ثم أخذ في التقلص حتى عاد إلى حجمه الأول، وارتد إلى صدر أنبالي كما كان، ثم رأى شجرة عظيمة خارجة من صلب أنبالي، وأخذ ظلها يمتد حتى غطى الير والبحر وتراءى له أن أنهر دجلة والفرات والطنونة والنيل خارجة من أصل تلك الشجرة، وجبال قوقاس<sup>(٨١)</sup> وأطلس وطوروس وهيموس تستظل بأغصانها، ورأى أوراقها تستطيل وتسترق حتى صارت كالسيوف ورؤوسها مصوبة إلى أشهر عواصم العالم، خصوصا للقسطنطينية الواقعة في ملتقى القارتين ومجمع البحرين. وخيل له أنها جوهرة بين زمردتين وياقوتتين مصنعة في فص خاتم وأنه أهم أن يجعل ذلك الخاتم في اصبعه، فاستيقظ مبغوتا، فأخبر أنبالي في الصباح بما كان، فاستبشر بما سيكون من مستقبل ذلك الشاب، وأنه سيمتلك للقسطنطينية<sup>(٨٢)</sup>.

وما انفك خلفاء عثمان كلما اتسع سلطانهم يزدادون ثقة بمآل ذلك الحلم، وقد حاول بعضهم فتح القسطنطينية، فرجع ولم ينل وطره<sup>(٨٣)</sup>، حتى ظهر محمد الفاتح<sup>(٨٤)</sup> السابع من سلاطين آل عثمان، وبينه وبين صاحب اللحم نحو ٦٠ سنة، ففتحها بعد أن ينس المسلمون من فتحها. وحارب العثمانيون أعظم ملوك أوربا، وطاردهم إلى بلاد المجر، وحاصروا فيينا عاصمة النمسا، وأخذوا الجزيرة من الأرثوذكس فردينان<sup>(٨٥)</sup>، واكتسحوا البحر الأبيض إلى شواطئ آسيا، ووجهوا مطامعهم من الجهة الأخرى نحو للشرق [ص/٣٣] ففتحوا العراق والشام ومصر على يد السلطان سليم الفاتح الذي نحن في صدده<sup>(٨٦)</sup>.

### الإنكشارية

وقد تمكن العثمانيون من هذه الفتوح العظيمة بواسطة الإنكشارية<sup>(٨٧)</sup> وهم جند أنشأه العثمانيون على شكل خاص لم يسبق له مثيل، لخلوه من عصبية تبعته على التمرد، لأنه مؤلف من الغلمان الذين كان للعثمانيون يأسرونهم في الحرب وأكثرهم من أصل مسيحي، فكان للعثمانيون في أول دولتهم إذا فتحوا بلدا دخل في حوزتهم من أهله المأسورين، جماعة من غلمان للنصارى الذين قتل أبائهم وأصبحوا لا

نصير لهم، ولا مرجع لمآلهم فارتأى قره خليل وزير<sup>(٨٨)</sup> السلطان أورخان ثاني سلاطين آل عثمان (سنة ٧٢٦-٧٦١هـ) (١٣٢٦-١٣٦٠م) أن يربي أولئك الغلمان تربية إسلامية ويدربهم على الفنون الحربية، ويجعلهم جندا دائما لا يخشى منه التمرد، لأنه لا يعرف عصبية غير الدولة، ولا عملا غير الجندية، [ص/٣٤] ولا ديناً غير الإسلام، فجندهم وسار بهم إلى الحاج بكطاش<sup>(٨٩)</sup> شيخ طريقة البكطاشية بأماسيا، ليدعو لهم فدعا لهم وسامهم " يكي جري " أي التجند الجديد.

ولم يكن قره خليل هذا أول من فكر في تجنيد غلمان النصارى كما يظن أكثر مؤرخي الأتراك، فإن الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر الذي تقدم ذكره، فعل ذلك قبل تأسيس الدولة العثمانية وهو متوجه إلى دمشق سنة ٦٦٥هـ ( ١٢٦٧م) لملاقاة عساكره العائدة من غزوة بلاد سيس<sup>(٩٠)</sup>، فنزل بلدا اسمه قارا بين دمشق وحمص ، فأمر بنهب أهلها النصارى وقتل كبارهم لأنهم كانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم سرا للصليبيين وأخذ صبيانهم مماليك رباهم بين الأتراك في الديار المصرية، فنشأوا على الإسلام وتجنّدوا في الجيش التركي.

[ص/٣٥] على أن قره خليل جعل للإنكشارية شروطا لم يسبق لها مثيل<sup>(٩١)</sup> فقسّمهم إلى وجاقات واحدها وجاق<sup>(٩٢)</sup>، والوجاق يقسم إلى أورط إحداهما أورطة<sup>(٩٣)</sup> ، ولكل أورطة عدد تعرف به، ولبعضها أسماء خاصة، ويختلف عدد الجند في كل أورطة حسب الأعصر من ١٠٠ إلى ٥٠٠ ويختلف عدد الأورط في الوجاقات بمقتضى ذلك وأكبر ضباط الوجاق أو قائدها الأكبر يسمى " أغا " تحته سكبان<sup>(٩٤)</sup> باشي، تحته غيره فغيره على هذه الصورة.

الأغا: قائد الوجاق ويقابل اللواء في هذه الأيام<sup>(٩٥)</sup>، سكبان باشي: ينوب عن الأغا في الأستانة ويقابل القائمقام اليوم.<sup>(٩٦)</sup> قول كخيا أو كخيابك: نائب الأغا أو السكبان باشي. سمسونجي باشي: قائد أورطة نمر ٧١. زغرجي باشي<sup>(٩٧)</sup> : قائد الأورطة نمر ٦٤. محضر أغا<sup>(٩٨)</sup>: ينوب عن الإنكشارية عند الصدر الأعظم. خصكي<sup>(٩٩)</sup>: ينوب عن الأغا في القيادة على الحدود. باشجاويش<sup>(١٠٠)</sup>: قائد الأورطة الخامسة. كخيابري<sup>(١٠١)</sup>: ينوب عن الوجاق لدى الأغا. الأفندي: الكاتب.

ولكل أورطة ضباط يقتسمون قيادتها وإدارة شئونها على هذه الصورة:

١- الجوربجي: رئيس الأورطة يشبه الكولونيل.

- ٢- أوده باشي<sup>(١٠٢)</sup>: نائب الجوريجي في المناورات العسكرية.
- ٣- وكيل الخرج: يتولى أمر الطعام والشراب.
- ٤- بيرقدار: يتولى الأعلام والليبارق.
- ٥- باش اسكي<sup>(١٠٣)</sup>: يتولى قيادة القراقولات.
- ٦- لشجي: للطاهي<sup>(١٠٤)</sup>.

### [ص/٣٧] قوانين الإنكشارية

قد رأيت أن جند الإنكشارية تجند في زمن السلطان أورخان ولكن الفضل الأكبر في تنظيمه وترتيبه يرجع إلى السلطان مراد الأول (تولى سنة ٧٦١هـ) ١٣٥٩م وهذه خلاصة قوانينهم:

- ١- الطاعة للعمياء لقوادهم وضباطهم أو من ينوب عنهم.
- ٢- تبادل الاتحاد بين الفرق كأنها فرقة واحدة وتكون مساكنها متقاربة.
- ٣- التجافي عن كل مالا يليق بالجندي للباسل من الإسراف أو الاتفلس ويكون مسؤولهم<sup>(١٠٥)</sup> عن البسطة في كل شئ.
- ٤- الإخلاص في الانتماء إلى الحاج بكطاش من حيث للطريقة مع القيام بفروض الإسلام.
- ٥- لا يقبل في سلك الإنكشارية إلا الذين يشبون من غلمان الأسر على التربية الخاصة بين غلمان الأعاجم.
- ٦- إن الحكم عليهم بالإعدام ينفذ بشكل خاص.
- ٧- يكون للترقي في المراتب حسب الأقدمية.
- ٨- لا يجوز أن يوبخ الإنكشارية ولا يعاقبهم غير ضباطهم.
- ٩- إذا عجز أحدهم عن العمل يحال على المعاش.
- ١٠- لا يجوز لهم إرسال لحاهم.
- ١١- لا يجوز لهم أن يتزوجوا.
- ١٢- لا يجوز لهم الابتعاد عن نكثهم.
- ١٣- لا يجوز لهم أن يتعاطوا عملا غير الجندية.
- ١٤- يقضون أوقاتهم بالرياضة البدنية

والتمرين على الحركات العسكرية. (١٠٦)

[ص/٢٩] فإذا تدبرت هذه القوانين هان عليك تصور الأعمال العظيمة التي أتاها هذا الجند في مصلحة الدولة العثمانية من الفتوح العظام. وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ترفع الناس عن الانتظام في هذا الجند لأنه مجموع من لقطاع لا يعرف لأحد منهم أب ولا أم، ولكنك تفهم من البند الخامس من قوانينهم أنهم كانوا يحظرون على غير اللقيط أو المملوك الانتظام في جندهم، وكان السلاطين يشددون في تعظيم هذا الأمر في عيونهم.

### رواتب الانكشارية ( العلوقة )

الأصل في ترتيب العلوقة أن تدفع يوميا، لكنها لم تكن تدفع إلا مرة كل ثلاثة أشهر، تخفيفا للثقل، فكانوا يؤدونها أربع مرات في السنة، وتعرف كل مرة باسم مؤلف في ثلاثة أحرف مقطعة من أسماء أوائل شهورها، فالربع الأول من السنة مؤلف من ثلاثة أشهر محرم وصفر وربيع، فالأحرف الأولى من هذه الأشهر إذا جمعت من هذا الترتيب كانت " مصر " وعلى هذا النسق كانوا يسمون الربع الثاني رجب، وقد يقطعون من اسم الشهر غير حرفه الأول مراعاة للفظ، فالربع الثالث ( رجب، شعبان، رمضان) يسمونه رشن بإقطاع النون من رمضان بدل الراء، وقس على ذلك وكانت لهم رسوم في تفريق العلوقة لا محل لها.

أما مقدار العلوقة فقد كان في أول إنشاء هذا الجند درهما واحدا عن كل انكشاري في اليوم ثم ارتفعت إلى ثلاثة دراهم، وفي ختام سنة ١٠٠٠ (١٥٩٢م) صارت العلوقة خمسة دراهم، وكان للإنكشارية هدايا ينالونها في الأعياد، وعند تولية السلاطين (١٠٧) يسمى بخشش الجلوس (١٠٨) وكان هذا [ص/٤٠] البخشش يعطى لسائر الجند ولكبار الموظفين ، وله مقادير معينة (١٠٩).

### ملابس الانكشارية

وكان المعول عند العثمانيين في التفريق بين الرتب وتميز أصحابها بعضهم عن بعض بأشكال القلائس ( القاوق)، أو الأقبية (القطنان)، أو الأحزمة (الكرم) أو ألوانها فكان لكل طائفة من رجال الدولة قلنسوة شكلها خاص بهم وكذلك الأقبية

والأحزمة وغيرها على اختلاف في ألوانها وأشكال أزرارها فضلا عن الأعلام. واختلف المؤرخون في وصف هذه الألبسة، واختلفوا في أسمائها وأشكالها باختلاف العصور، وفي الرسوم المنشورة هنا مثال منها<sup>(١١٠)</sup>.

فالصورة الأولى من الانكشارية، التي عليها (ش ١) : هي صورة أعا الانكشارية وعليه القفطان والجبّة وحول وسطه الحزلم وفيه للخنجر، وفي قميه نعل مكشوفة، وإلى يمينه في الطرف نائبه المسمى قول كخيا، وقاوقه يختلف عن ذلك اختلافا كثيرا وفي قمته شبه المروحة من الريش، وبجانبه، بينه وبين الأعا خاتم الأعا وعلمته كالعمائم المعروفة. وإلى يسار الأعا الباشجاويش ويختلف لبلسه عن أولئك من كل جهة خصوصا قاوقه وبنطاله ونعاله.

وفي الصورة (ش ٢) أنفار الانكشارية، فإن نمره ٣ خوذة جندي واقف وعليه الجبة والقفطان والقاوق بشكل خاص مثني إلى الورا و نمره ٤ انكشاري واقف وقفة الاحترام و(١) ضرب آخر من الانكشارية يعرف بسلاق و(٥) نوع آخر جيولك وفتبه إلى نمره (٢) فإنها [ص/٤١] صورة أحد القلمان الأعاجم وهم الصبيان الذين يقيمون في التكنات للتمرن على المهمات العسكرية استعدادا للدخول في الوجقات و(٦) انكشاري مدرع. وكان للانكشارية سلاح خاص وموسيقى خاصة بهم وبهذا الجند ضمن السلطان سليم! على مصر وقهر دولة المماليك.

### السلطان سليم الفاتح

ولد سنة ٨٥٩هـ<sup>(١١١)</sup> وتولى ٩١٨هـ (١٥١٢م) وفتح مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وتوفي سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م).

هو السلطان التاسع من سلاطين آل عثمان<sup>(١١٢)</sup> وهو أول خليفة منهم لأن السلاطين بعده خلفاء أيضا أي أن كلا منهم سلطان وخليفة أي له السلطان السياسية والدينية، وبما أنه هو فاتح مصر حق علينا أن نذكر ترجمته.

هو ابن السلطان ببايزيد الثاني وقد تقدم في ترجمة قنسو الغوري أنه تخاصم مع أخيه كركود وفر هذا إلى مصر واحتفى بسلطانها قنصو، وسبب هذا الخصام أنه كان لببايزيد الثاني (سنة ٨٨٦هـ - ٩١٨هـ) ١٤٨١ - ١٥١٢م ثمانية أولاد ذكور ، توفي منهم خمسة وبقي ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم، وكان كركود يحسب الطم

ومجالس العلماء، فمقته الانكشارية لأنهم أهل حرب لا رزق لهم إلا بها، وكان أحمد محبوبا لدى أعيان الدولة والأمراء، أما سليم فكان رجلا حرب ويطش فأحبه الانكشارية ونصروه.

ولحظ والدهم اختلافهم في المشارب والمناقب فخاف تنازعهم ففرق بينهم فعين كركود واليا على إحدى الولايات [ص/٤٢] البعيدة<sup>(١١٣)</sup>، وولى أحمد على أماسيا وسليما<sup>(١١٤)</sup> على طرابزون وكان لسليم ولد اسمه سليمان ( صار بعد ذلك سليمان القانوني) فعينه جده بايزيد واليا على كافا<sup>(١١٥)</sup> في بلاد القرم فلم يرض سليم بمنصبه في طرابزون فتركه وسافر إلى كافا، وبعث إلى<sup>(١١٦)</sup> أبيه يطلب إليه أن يعينه على ولاية في أوربا، فلم يقبل السلطان بايزيد، وأصر على بقاءه فسي طرابزون، فجاهر سليم بالعصيان على والده، وزحف بجيش جمعه من قبائل التتر إلى بلاد الروملي، فبعث والده جيشا لإرهابه، فلم يتهيب، فلم ير بايزيد بدا من مرضاته حقتا للدماء، فعينه واليا على مدينتى سمندرية وودين في بلاد البلغار سنة ١٥١١.

فلما علم كركود بنجاح أخيه أحب أن يقتدي به، فانتقل إلى ولاية صاروخان، وتولاها بدون أمر أبيه، ليكون قريبا من القسطنطينية عند الحاجة، وخرج سليم على أترنة وأعلن نفسه سلطانا عليها، فجرد والده عليه جندا لمحاربتة، وجندا لمحاربة أخيه كركود في آسيا، ففر سليم إلى بلاد القرم، وفر كركود أيضا. فأخذ الانكشارية يناصرون سليما، وألجأوا السلطان إلى العفو عنه، وإعادته إلى ولايته في سمندرية، فلاقاه الانكشارية في أثناء الطريق وحملوه إلى القسطنطينية، وأدخلوه سراي السلطان باحتفال وطلبوا إلى بايزيد أن يتنازل عن الملك لابنه هذا فأطاع وترك القسطنطينية ليقضي باقي حياته في ديموتيقا<sup>(١١٧)</sup>، فتوفي في الطريق وبطن أن ابنه سليما<sup>(١١٨)</sup> [ص/٤٣] دس له السم خوفا منه.

تولى السلطان سليم العرش العثماني سنة ٩١٨هـ (١٥١٢م) بقوة الانكشارية فوزع فيهم الجوائز، وعين ابنه سليمان حاكما على القسطنطينية وخرج بجيوشه على أخويه<sup>(١١٩)</sup> وأولاده حتى يهدأ باله ويستقر له الملك بلا منازع، فاقفتى لثر أخيه أحمد إلى أنقرة، فلم يقدر عليه هناك، فذهب إلى " بورصة" فقبض فيها على خمسة من أولاد إخوته، وأمر بقتلهم، ثم شخص إلى " صاروخان" مقر أخيه " كركود

ففر " كركود" إلى الجبال. وما زال يطارده حتى قبض عليه وقتله وعاد إلى أحمد، فحاربه، فانهزم فطارده حتى قتل سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م).

فاطمأن بال سليم من جهته الداخلية، إذ استقر له الملك بذهاب منازعيه، ومال إلى المهادنة. فعاد<sup>(١٢٠)</sup> إلى أدرنة وكان في انتظاره هناك، سفراء البنديقية والمجر وموسكو ومصر، فأبرم معهم عهدا على المهادنة لمدة طويلة، لأن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس، لمحاربة الشيعة. وكان للفرس في عهد للدولة الصفوية. وقد أسسها شاه إسماعيل سنة ٩٠٧هـ<sup>(١٢١)</sup> وفتح شروان واستقر في تبريز، فجعلها عاصمة مملكته، ثم فتح العراق وخراسان وما وراءها إلى هرات، فغلب على حكامها التيموريين للتر، فامتدت سلطته من نهر الأكسوس إلى خارج فلرس، أي من أفغانستان إلى الفرات، فخافه العثمانيون، وهاجت فتوحه مطامعهم وتنبهت الضمائن بين السنة والشيعة، والعثمانيون حماة السنة كما كان الصفويون حماة الشيعة.

[ص/٤٤] وكان إسماعيل شاه، لما تمرد سليم وأخوه أحمد، على أبيهما، أخذ يناصر أحمد في عصيانه على أبيهما ثم على أخيه سليم، وكتب من الجهة الأخرى إلى مصر يطلب مخالفتها على العثمانيين عند الحاجة. فبلغ ذلك إلى السلطان سليم، وهو رجل حرب وبطش، فهاجت مطامعه، ولم يعد يقنع بغير الفتح والتغلب على الدولتين جميعا. وأمر بالقبض على من كان من الشيعة في حدود مملكته، وعددهم نحو ٤٠,٠٠٠ وقتلهم<sup>(١٢٢)</sup>، وأعلن شاه إسماعيل بالحرب وخرج بجيوشه من أدرنة في ٢٢ محرم سنة ٩٢٠ (١٩ مارس ١٥١٤م) وعددهم ٤٠,٠٠٠ ماش و٨٠,٠٠٠ ركاب، وجرت بينه وبين الشاه إسماعيل في أثناء مسيره مكاتبات مشوشة بالتهديد والوعيد، وجعل السلطان سليم وجهته مدينة تبريز عاصمة الشاه المذكور.

وكانت الجنود الفارسية في أثناء الطريق تتقهقر أمام العثمانيين خداعا حتى يتبعوهم، ثم ينقضون عليهم، حتى إذا وصلوا أرباض تبريز، جرت واقعة<sup>(١٢٣)</sup> انتصرت فيها الجنود العثمانية بقيادة " سنان باشا" وفر للشاه بمن بقي من جنده وخلف وراءه كثيرين من قواده وأهله في الأسر. وكان من جملة الأسرى إحدى زوجاته، فزوجها السلطان سليم من بعض كتابه، لانتقاما من الشاه. وفتحت تبريز أبوابها، فدخلها الفاتح العثماني ظفرا<sup>(١٢٤)</sup> واستولى على خزائنها ونخائرها ولرمد لها إلى القسطنطينية، وفي جملتها عرش مرصع بالملس والياقوت ومطرز باللؤلؤ هو الآن

من جملة ذخائر آل عثمان في سراي طوب قيو بالآستانة، وقد شاهدهه ووضعته في مجلة الهلال السنة ١٨ (١٢٥).

[ص/٤٥] وبعد ثمانية أيام اضطر لإخلاء تبريز لقلّة المؤونة اللازمة لجنده وأخذ في مطاردة الشتاء، ففتح ديار بكر وغيرها، وأراد الإيغال في بلاد فارس، فتوقف الانكشارية عن ذلك ، وقد ملوا الحرب، وتعبوا من الأسفار، فعاد إلى أماسيا للاستراحة في أثناء الشتاء والاستعداد للحرب في أوائل الربيع.

فلما كان الربيع، استأنف الحملة، ففتح بعض البلاد<sup>(١٢٦)</sup> ورجع إلى القسطنطينية، وخلف بعض قواده، لإتمام الفتح ، وحال وصوله إلى القسطنطينية، حاسب قواد الانكشارية على توقفهم عن السير في حملته المشار إليها، وقتل عددا كبيرا منهم، وقتل قاضي العسكر جعفر جلبي<sup>(١٢٧)</sup>، لأنه كان من أكبر المسيبين لذلك التمرد، وخاف تمردهم ثانية، فغير نظام تعيين الرئيس، وكانوا يعينونه من أكبر قوادهم، فجعل لنفسه الحق في تعيين ذلك الرئيس.

[ص/٤٦] وأما جنوده فإنها واصلت الحرب، ففتحت ماردين وأورفة والرقّة والموصل، فتم بذلك فتح ولاية ديار بكر، وخضعت قبائل الأكراد له. ولما تأتى له ذلك فكر في فتح مصر انتقاما من قنسو الغوري على تحالفه مع الشاه إسماعيل وجرت معركة مرج دابق، وقتل قنسو الغوري، كما تقدم، فحمل على مصر.

### كيف كانت مصر

#### لما جاءها السلطان سليم؟

كانت مصر يومئذ في غاية الاضطراب والتضعع، وقد فسدت النيات، واستفحل الظلم من عهد الغوري، لأن هذا السلطان ارتكب فظائع عديدة، غير قلوب الناس عليه، هذه شهادة مؤرخ معاصر له نفس ابن إياس صاحب كتاب بدائع الزهور، فقد قال في مساوئ قنصو الغوري ما نصه:

" إنه (قنسو) أحدث في أيام دولته من أنواع المظالم ما لم يحدث في سائر الدول من قبله، ومنها أن معاملته في الذهب والفضة والفلوس الجدد أنحس المعاملات جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا معاملة في ملة من الملل، ومنها ما قرره على الحسبة في كل شهر، وهو مبلغ ٢٧٠٠ دينار، وكانت السوق تباع البضائع

بما يختارونه من الأثمان، ولا يقدر أحد أن يكلمهم. فإن كلمهم أحد يقولون علينا مال السلطان فكانت سائر البضائع في أيامه غالية بسبب ذلك. وقرر على دار الضرب مالا له صورة في كل شهر فكانوا يضيفون [ص/٤٧] في الذهب والفضة للنحاس والرصاص جهارا فكان الأثرفي الذهبي<sup>(١٢٨)</sup> إذا صفى يظهر فيه ذهب يساوي اثني عشر نصفًا. وقد سلم السلطان دار الضرب إلى شخص يسمى جمال الدين ظلمب بأموال المسلمين وأتلف المعاملة وسبك ذهب السلطين المتقدمة حتى صار لا يلوح لأحد من الناس منها دينار ولا درهم، فلما شنق جمال الدين قرر في دار الضرب المعطم " يعقوب اليهودي" فمشى في طريقة جمال الدين، وقد استباح أموال المسلمين، فكان للنصف الفضة ينكشف في ليلته ويصير في جملة للفوس للحمر، فاستمر الغش في معاملته في مدد دولته إلى أن مات.

ومنها انه كان يولي للكشاف ومشايخ العربان على بلاد المقطعين والأوقاف فيأخذ منهم المثل أمثالا، فضعف أمر الجند يومئذ وتلاشي حال البلاد الشامية والحلبية، وكان يفرض عليهم الأموال الجزيلة في كل سنة، فيأخذونها من الرعية . وزيادة للظلم والعسف فكان كل واحد من الرعية أصحاب الإقطاع والأوقاف يتمنى الرحيل من بلاده إلى غيرها، من عظم الظلم الذي يصيبهم من النواب، ولاسيما ما حصل لعربان جبل نابلس بسبب المال الذي قرره عليهم لأجل المشاة عند خروج التجريدة<sup>(١٢٩)</sup> فما حصل لأهل البلاد الشامية بسبب بذلك خير ، وكان حسين نائب جده يأخذ العشر من تجار الهند، المثل عشرة أمثال، فامتعت لتجار من دخول بندر جده، وترك أمره إلى الخراب، وعز وجود الشاشات<sup>(١٣٠)</sup> بمصر، وعز وجود الأصناف التي كانت تجلب من بلاد الإفرنج [ص/٤٨] والأرز والأنطاع وخرب البندر، وكذلك بندر الإسكندرية، وبندر دمياط، فامتعت تجار الإفرنج من الدخول إلى تلك البنادر من كثرة للظلم وكان كل أحد من أراند الناس، يتقرب إلى خاطر السلطان بنوع من أنواع المظالم، فقرر على بيع الغلال قبرا معلوما يؤخذ على كل أردب، ثلاثة أصف من الباقع ومن المشتري، وكذلك على البطيخ والرومان حتى حرج على بيع الملح.

وجدد في أيامه عدة مكوس<sup>(١٣١)</sup> من هذا النمط.. ولم يفته من أعيان التجار أحدا لم يصادره، وصادر أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب، وأخذ منه مالا له صورة، ودخل في جملة ديون حتى أورد ما قرره عليه.

وأما من مات تحت عقوبته بسبب المال، فمنهم : " القاضى بدر الدين بن مزهر" كاتب السر، ومنهم : " شمس الدين بن عوض" ومعين الدين بن شمس الدين" ، و"علم الدين" كاتب الخزانة، وغير ذلك ، جماعة كثيرة من المباشرين والعمال، ملقوا في سجنه بسبب المال والصادرات.

ومن أفعاله الشنيعة، ما فعله مع أولاد الناس من خروج أقطيعهم، ورزقهم من غير سبب، وإعطاء ذلك إلى مماليكه الجلبان، ومنها قطع جوامك الضعفاء والأيتام من الرجال والنساء والصغار، وحصل لهم الضرر الشامل، بسبب ذلك.

ومنها أنه أرسل فك الرخام الذي بقاعة ناظر الخاص يوسف، التي تسمى نصف الدنيا، ووضع ذلك الرخام في قاعة البيسرية التي في القلعة.

ومنها أنه قطع معتاد الناس في الديوان المقرر من قديم الزمان، وجدد أخذ الحمايات من المقطعين من قبل أن يزيد النيل وتزرع الأراضي.

ثم تزايد حرصه على جمع الدنيا [ص/٤٩] حتى صار يحاسب السواقين، الذين في سواقي القلعة والخولة الذين في سواقي الميدان في الجلة وروث الأبقار، وما يتحصل كل يوم مما يبيعونه وقرر عليهم مبلغا يؤدونه للذخيرة الشريفة.

وكانت أبواب الوظائف من المباشرين والعمال منه في غاية الضيق، لا يغفل عنهم من المصادرات يوما واحدا، وكان من حين توفي الأمير خاير بك الخازندار يباشر ضبط الخزانة بنفسه، ما يدخل إليها، وما يخرج منها، وما يعرضون عليه من الأمور في ذلك جميعه، من الوصولات، وما يصرف من الخزائن في كل يوم.

وكانت هذه الأموال العظيمة التي تدخل له يصرفها في عمائر ليس بها نفع للمسلمين، ويزخرف الحيطان والسقوف بالذهب، وهذا عين الإسراف لبيت مال المسلمين.

وكان يهرب من المحاكمات، كما يهرب الصغير من للكتب، وما كانت له محاكمة تخرج على وجه مرض، بل على أمور مستبحة، وكان يتغافل عن أمر القتلى، ويدفعهم إلى الشرع، ويضيع حقوق الناس عليها.

وكان يكمل عن علامة المراسيم، فلا يعلم على المراسيم إلا قليلا، فتتعطل أشغال الناس بسبب ذلك، حتى كانت تشتري للعلامة للعتيقة بأشرفى حتى تلتصق على المرسوم، لأجل قضاء الحوائج، ولو شرحنا مساوئه كلها، لطلال للشرح<sup>(١٣٢)</sup>. انتهى.

### سلطنة الأشرف طومان باي

تلك حال مصر في زمن " قنمو الغوري" ثم أفضى عرشها إلى الأشرف طومان بايسنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م) وكانت سيادة المماليك منتشرة يومئذ على مصر ، وسوريا إلى حدود العراق.

وكانت الخلافة العباسية، قد أفضت إلى المتوكل على الله بن محمد بن المستمسك بالله يعقوب<sup>(١٣٣)</sup> [ص/٥٠] وكانت مناصب الدولة الكبرى التي تقدم نكرها يشغلها الأمراء الآتية أسماؤهم:

الأتابكي سودون العجمي<sup>(١٣٤)</sup>: أمير السلاح. الأمير أركماس بن طراباي: أمير للمجلس. المقر الناصر بن محمد: أمير ياخور<sup>(١٣٥)</sup>. الأمير سودون الدوادار: رأس النوبة. الأمير انسباي بن مصطفى: حاجب الحجاب. فضلا عن بضعة عشر أميرا من القواد، وناهيك بالأمراء اللنواب في البلاد الشامية والحلبية وهم عديدون.

وقد تقدم أن جند مصر معظمه من المماليك المبتاعين بالمال، فهم إنما يعملون طمعا بالكسب الشخصي، وليس لأحد منهم عائلة أو أسرة، يغار على وطنه من أجلها إلا نادرا<sup>(١٣٦)</sup>.

فلما قتل الغوري في معركة " مرج دابق" لفت أكبر رجاله حول السلطان سليم، وصاروا من أتباعه، وأخذوا يتقربون إليه بنكر مساوي مولاهم وأمرائه ويظهرون له معائبهم ووقائعهم، ولم يذكروا شيئا من إحسان الغوري إليهم. وبعضهم خانته في حياته، فإن نائب قلعة حلب<sup>(١٣٧)</sup> سلم للقلعة للعثمانيين من غير حرب.

أما سائر الجند والأمراء فهربوا إلى مصر، وحال وصولهم طلبوا تعيين " طومان باي" سلطانا محل عمه " الغوري"، فامتنع لأنه كان لا يعجبه تصرفهم في

الرعايا على نحو ما تقدم عن أعمال الغوري، ولم يكن " طومان باي" ممن يرضى بذلك، فألحوا عليه أن يقبل ذلك المنصب، فاصطحبهم إلى الشيخ أبي السعود، وهو من أهل للكرامة ليكون ذلك في [ص/٥١] شهد منه وعلى يده، فأحضر لهم مصحفا، وحلف الأمراء الذين حضروا بصحبة طومان باي، بأنهم إذا سلطوه، لا يخونونه، ولا يغدرون به، ولا يخامرون عليه، وأنهم يرضون بقوله وفعله، فحلف الجميع على ذلك ثم أن الشيخ حلفهم أن لا يعودوا إلى ما كانوا عليه من ظلم الرعايا، وأن لا يشوشوا على أحد بغير طريق شرعي، ولا يجددوا مظلمة، وأن يبطلوا جميع ما أحدثه الغوري من المظالم، ويبطلوا ما كانت على الدكاكين من المشاهدة والمجامعة، وأن يجرؤا الأمور كما كانت في أيام الأشرف قايدباي، فحلفوا له وانفض المجلس (١٣٨).

فتولى " طومان باي" سلطنة مصر رغم إرادته وهو يرى ما كانت عليه من الفساد والخلل، وما استولى على الرعايا من اليأس على أثر مظالم عمه الغوري التي ذكرناها، وكان من بين ما احتج عليهم به، أن بيت المال ليس فيه درهم ولا دينار، قال : " فإذا تسلطت من أين أنفق على الجند" وهو يخاف أن لا يطيعه الأمراء في محاربة العثمانيين، لكنهم ما زالوا عليه حتى بايعوه كما تقدم، ودفعوا له بخلعة السلطنة، وهي يومئذ الجبة السوداء والعمامة السوداء والسيوف البهاوي (١٣٩). ثم قنموا له فرس النوبة بغير كنوش (١٤٠) ولا سرج ذهب، ولا وجدوا آلة في الزردخانات (١٤١) لاقيمة (١٤٢) ولا طيرا، ولا الغواشي الذهب، ولكنهم أتموا الاحتفال بالبيعة تلك كانت حال المصريين لما جاءهم السلطان سليم لفتح بلادهم.

ولكن " طومان باي" كان حازما عاقلا، فلما حكم عليه أن يكون سلطانا لم ير بدا من الثبات والصبر وأخذ في رد المظالم [ص/٥٢] وإصلاح الأحوال، ولكن بعد فوات الفرصة، على أنه أخذ في إعداد حملة أخرى لمحاربة العثمانيين.

### فتح العثمانيين مصر سنة ٩٢٢هـ ( ١٥١٧م )

#### المعركة الفاصلة بين الجوشين

كان العثمانيون في سوريا قد توقفوا للاستراحة، فظن " طومان باي" أن الرمال المتراكمة بين سوريا ومصر، تحول بين العثمانيين وما يريدون، إلا أن الأمو

لم يكن كما ظن، لأنه لم يكد يتم إعداداته حتى أتاه كتاب السلطان سليم إلى القاهرة، وهذا نصه:

" من السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان سلطان السبرين وخاقان البحرين السلطان إلخ. إلى طومان باي الشركسي: " الحمد لله ، أما بعد .. فقد تمت إرادتنا الشاهانية، وباد إسماعيل شاه الخارجي، أما قنمو الكافر، الذي حملته القصة على مناوأة للحجاج، فقد نال جزاءه منا، ولم يبق لدينا إلا أن نتخلص منك فإنك جار عدو والله سبحانه وتعالى يساعدنا على معاقبتك، فإذا أرئت لكتساب رحمتنا الشاهانية اخطب لنا، واضرب للنقود باسمنا، وتعال إلى أعتابنا واقسم على طاعتنا والإخلاص لنا وإلا..."

فلما قرأ طومان باي الكتاب، وما في نيله من التهديد المستتر، استشاط غيظا، وأصر على المقاومة، وكان عالما بعجزه، لكنه فضل الموت في ساحة الحرب على التسليم ، فزاد في حصون دمياط وغيرها من الحدود السورية، وجمع ما أمكنه جمعه من الرجال، وسار لملاقاة العثمانيين حتى أتى الصالحية فعسكر هناك.

أما السلطان سليم، فسار إلى مرج دابق وافتتح غزوة والعريش والقطيعة<sup>(١٤٣)</sup>، ثم علم [ص/٥٣] مقر الجيوش المصرية في الصالحية، وما هم فيه من العزم على المدافعة بشدة بأس، فخرج بجيشه تاركا الصالحية عن يمينه، وسار حتى أتى الخانكاه على بضع ساعات من القاهرة.

فلما بلغ " طومان باي" تقدم العثمانيين إلى هذا القدر، عاد بجيشه لمهاجمتهم من الورا، فالتقى الجيشان في سهل قرب " بركة الحج" <sup>(١٤٤)</sup> يوم الجمعة في ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ <sup>(١٤٥)</sup>، واقتتلا طويلا، والمصريون يحاربون ببسالة شديدة، لكنهم لم يكونوا يعرفون البارود ولا المدافع كما قدمنا، ولا يعرفون استخدامهما، فكانت الغلبة للعثمانيين، ففر المصريون إلى القاهرة، وعسكر العثمانيون في الروضة، فجمع إليه " طومان باي" عددا كبيرا من العربان، بعد أن أرضاهم بالمال، وهجم على معسكر السلطان هجمة اليأس فلم ينل منهم وطرا، فعاد إلى القاهرة على نية مواجهة الحصار، فزاد في حصونها واستحكامها، وحصن القلعة تحصينا عظيما، وأقام في كل شارع وفي كل بيت طابية للدفاع، وحمل السلاح كل من يستطيع حمله للدفاع عن الوطن ولكن رغم هذه الإعدادات، وما أظهره " طومان" من البسالة والإقدام، وما

سعى فيه أمراؤه، لم تتج القاهرة من أيدي العثمانيين، فإنهم دخلوها عنوة وأمعنوا فيها قتلا ونهباً وحرقاً.

لا غرو إذا غلبت المماليك على أمرهم بعد ما علمت من اضطراب أحوالهم وتغير قلوبهم، وخلو خزائهم من المال، فالعسكر كيف يحارب بلا مال؟ فقد كانوا في الحرب يأتون إلى القلعة للاستيلاء على جامكيتهم فيجيبهم ولأمر " ليس في هذا اليوم جامكية" (١٤٦) لأن البلاد خراب والعرب مشتتة في الطرقات (١٤٧). وكان لهم ستة أشهر لم يقبضوا [ص/٥٤] رواتبهم من اللحم ونحوه، ومن أسباب الكسرة، إن جند المغاربة الذين كانوا في مصر، توقفوا عن المحاربة، وقالوا نحن لا نحارب المسلمين، لا نحارب إلا الإفرنج.

ومع ذلك فإن " طومان باي" لم يأل جهداً في ترغيب الجند في الاتحاد والدفاع عن الوطن وشدد عزيمتهم وسبك مناصل، وعمل بندق الرصاص، وأكثر من الرماة.

ولكن الرعب كان سائداً على أهل القاهرة، وعلى الجند وهؤلاء إنما خرجوا للحرب لأن السلطان كان يجاهد بنفسه، حتى في بناء الاستحكامات، وكان يحمل ججارة بيده لبناء خطوط النار أو حفر الخنادق.

على أن جماعة من رجاله، انحازوا سرا إلى العثمانيين وأهمهم خاير بك صاحب حلب الذي تقدم أنه قامر على الغوري فكان عوناً للعثمانيين، ودميسة لهم عند المصريين (١٤٨)، وزد على ذلك أن المماليك كانوا في عصر الانحلال، والعثمانيون في أوائل دولتهم، وقد جاءوا بالمدافع والبارود (١٤٩)، " فطومان باي" جاء متأخراً، وقد فسدت الأمور، فلم يستطع إصلاح شئ، رغم ميله الشديد إلى ذلك، وشددة إخلاصه في الدفاع عن الدولة والوطن وشأنه في ذلك شأن " مروان بن محمد" (١٥٠) آخر خلفاء بني أمية فإنه كان حازماً، شجاعاً، حسن النية، لكنه جاء متأخراً فلم يمنع سقوط دولة بني أمية ولا منع طومان باي سقوط دولة المماليك.

فلما انهزم المماليك، وقد غلبوا على أمرهم، وتعبهم العثمانيون إلى القاهرة، أخذوا في نهبها، وقد تعود أهلها ذلك في زمن [ص/٥٥] المماليك، إذا اختلفوا بينهم، فالعثمانيون أخذوا في نهب بيوت الكبراء، ودخلوا الطواحين، وأخذوا ما فيها من البغال والأكاديش، وأخذوا جمال السقايين، وصاروا ينهبون ما يلوح لهم من القماش

إلى الغروب وتوجهوا إلى شون القمح بمصر وبولاق، ونهبوا ما فيها من الغلال وقد قال بعض الشعراء المعاصرين في ذلك:

نبكي على مصر وسكانها      قد خربت أركانها العامرة  
وأصبحت بالذل مقهورة      بعد ما كانت هي القاهرة<sup>(١٥١)</sup>

وفي سلخ سنة ٩٢٢هـ (١٥٢) ، دخل الخليفة المتوكل للقاهرة، ومعه وزراء السلطان سليم والجم الغفير من العساكر العثمانية ودخل معهم الأمراء خاير بك، وقاضي للقضاة الشافعية وغيره<sup>(١٥٣)</sup> ممن كان في أسر السلطان سليم في حين مات السلطان الغوري.

دخل الخليفة المذكور من باب النصر وقدمه المشاعلية تنادي الناس بالأمان والاطمئنان ، والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وأن العساكر العثمانية لا يشوشون على أحد من الرعية، وأنه قد أغلق باب الظلم وفتح باب العدل، وأن كل من عنده مملوك شركسي، ولا يدل، ثم ظهر عنده يشنق، وادعوا للملك المظفر سليم شاه بالنصر، فضج الناس بالدعاء، ولكن لم يلتفت أحد من العثمانية لهذه المناداة، وأخذوا ينهبون بيوت أولاد الناس بحجة أنهم يفتشون عن المماليك الشركاسة، فاستمر النهب في بيوت الأمراء، وأهل البلدة ثلاثة أيام متوالية، لا يتركون جمالا ولا بغالا ولا قماشاً.

وفي يوم الجمعة، خطب باسم السلطان سليم على منابر القاهرة، ومصر لتقديمة [ص/٥٦] ، وهذا نص الخطبة:

" وانصر اللهم للسلطان بن السلطان، ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيوشين و سلطان العراقيين، وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه. اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا، يا مالك الدنيا والآخرة، يا رب العالمين<sup>(١٥٤)</sup>

وبالغ العثمانيون في مطاردة الشركاسة، حتى كانوا يدورون في الحارات والأزقة والأسواق، وكل من رأوه من أولاد الناس لابساً زنطا أحمر وتخفيفه، وهو لباس المماليك قالوا له أنت شركسي، وقطعوا رأسه، فلبس الناس العمائم ، حتى أولاد الأمراء والسلاطين، وأبطلوا لبس الزنط وللتخفيف في مصر، على أن ذلك لم يمنع تعديهم، فكانوا يتهمون الناس أنهم من الشركاسة، ثم يقولون لهم: افتدوا أنفسكم بالمال فيفعلون.

وفي يوم الإثنين ثالث المحرم سنة ٩٢٣هـ (١٥٥) دخل السلطان سليم القاهرة، وبين يديه الخليفة المتوكل، والقضاة، وشق المدينة في موكب حافل، وقدمه الجنائب (١٥٦) للمسومة الكثيرة، وحوله العساكر المتراخمة بين مشاة وفرسان، حتى ضاقت بهم للشوارع، وما زال سائرا في المدينة حتى دخل من باب زويلة، ثم عرج من تحت الريح، وتوجه من هناك إلى بولاق، ونزل في المعسكر الذي نصبه تحت الرصيف، فلما شق المدينة، ارتفعت الأصوات بالدعاء في الناس قاطبة، وقد وصفه أحد المعاصرين الذين شاهدوه (١٥٧) في ذلك اليوم، فقال : إنه دري اللون، حليق الذقن، وافر الأنف، واسع العينين، قصير القامة، وعلى رأسه عمامة صغيرة، وفيه خفة وهرج، كثير [٥٧] للتلطف إذا ركب (١٥٨).

أما " طومان باي" ، فإنه ثبت في تلك الحروب، ثبات الأبطال، ولكنه اضطر أخيرا للفرار في ٨ محرم (١٥٩)، فذهب إلى الصعيد، واتفق مع بعض قبائل العرب هناك، على الدفاع عن الوطن، ومصادرة ما يحمل إلى العثمانيين من الغلال ونحوها، فالتف حوله جماعة كبيرة حتى خافه السلطان سليم، ثم جرت المخابرة بشأن الصلح والأمان ولم يتم شيء.

وأتي " طومان باي" برجاله إلى الجيزة، فخرج إليهم السلطان سليم، فحدثت معركة كالتى حدثت ببركة الحاج، وكان الفوز أولا " لطومان باي" ورجاله. ثم تكاثر العثمانيون وأكثروا من رمي الرصاص فانكسرت المماليك وانهزم " طومان باي" فأمن للسلطان سليم فتكا فيمن وقع في أيديهم منهم، ذكر " بن يباس" أن العثمانيين، قطعوا رؤوس المماليك الشراكسة وجماعة من العربان الذين كانوا مع " طومان باي" ، فلما تكامل قطع الرؤوس، أحضروا مراكب نصبوا فيها مداري من خشب، وعلقوا فيها تلك الرؤوس وحملتها النواتية على أكتافهم ولاقتهم الطبول والزمر، وزينوا القاهرة لذلك (١٦٠).

وبعث السلطان سليم يتعقب " طومان باي" حتى تمكن منه بالحيلة (١٦١) ، فأتوا به مغلولاً إلى ما بين يدي السلطان، فنظر إليه، فإذا هو في حالة الغضب، وقد علا وجهه القنوط لما حل ببلاده من الذل، فتحركت عواطف السلطان سليم، فأمر أن تحل قيوده، وبأن يؤذن له بالحضور في مجتمعات كان يعقدها السلطان سليم للمداولة في أمر البلاد، فكان يسأله مسائل كثيرة، تتعلق بأحوال البلاد الاقتصادية والسياسية

والإدارية [ص/٥٨] ظلوا على ذلك عشرة أيام وفي اليوم العاشر رأى السلطان سليم أنه لم يعد في حاجة إلى مشورة " طومان باي" فأمر بشنقه فسي ١٩ ربيع أول (١١٦٢) سنة ٩٢٣ فعلقوه تحت رواق باب زويلة بكلاب من حديد، كان باقيا هناك إلى عهد غير بعيد (١١٦٣).

وبقتل " طومان باي" انتهت دولة المماليك للشرلكسة، أو البرجية، بعد أن تسلطوا نحو ١٣٩ سنة (١١٤٤) وأصبحت مصر أيلة عثمانية، والسلطان سليم أول من خطب له على منابرها من العثمانيين، ولا تزال عثمانية إلى الآن (١١٦٥).

ولكن المراد في هذا الكتاب للتكلم عن تاريخ سيادتها الفعلية عليها سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) إلى الحملة للفرنسوية سنة ١٢١٢هـ (١٥١٧م) وهي نحو ٢٩٠ سنة، كانت الحكومة على ترتيب وضعه السلطان سليم سيأتي ذكره، فأصلها في أثناء ذلك تعديل لقتضته طبيعة ذلك الحكم، بحيث يمكننا أن نقسم تلك المدة إلى أربعة أدوار على هذه الصورة:

#### عدد السنين

١٩٢ الدور الأول: من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) إلى سلطنة أحمد بن محمد ١١١٥هـ (١٧٠٣م) ، وكانت الكفة للراجحة فيه للبشوات الذين كانت ترسلهم الدولة العثمانية من الأستانة لحكومة مصر، ثم للجد وطول هذه المدة ١٩٢ سنة.

٦٢ الدور الثاني: من سلطنة أحمد بن محمد إلى سلطنة عبد الحميد الأول سنة ١١٧٧ (١٦٦٦) وكانت الكفة للراجحة فيه للمماليك.

١٠ الدور الثالث: وهو المدة التي استقل بها (١١٧٧) على بك الكبير بحكومة مصر، حتى قتل وعادت مصر إلى كنف للدولة سنة ١١٨٧.

٢٦ الدور الرابع: من رجوع مصر إلى حوزة الدولة العثمانية إلى الحملة للفرنسوية سنة ١٢١٣ (١٦٨٨).

للجملة

٢٩٠

[ص/٥٩] لنذكر تاريخ كل دور من هذه الأدوار فلنبداً بالتاريخ السياسي ونلحقه بفنللكة من تاريخ العلم والأدب، وخالصة تراجم العلماء فى كل دور، وما خلفوه من الأثر الأدبية فنقول:

### الدور الأول من تاريخ مصر العثمانية

من سنة ٩٢٣-١١١٥هـ أو ١٥١٧-١٧٠٣م

#### ١- سلطنة سليم الأول

من سنة ٩٢٣-٩٢٦هـ أو ١٥١٧-١٥٢٠م

أقام السلطان سليم بمصر بضعة أشهر، وهو ينظم أحوالها لكن همه كان منصرفا إلى حمل ما فيها من التحف إلى الأستانة.

ذكروا انه أمر بفك الرخام الذي كان فى القلعة والعواميد السماقية التي كانت فى الديوان الكبير، لأنه أراد أن ينشئ مدرسة فى الأستانة، مثل مدرسة الغوري<sup>(١٦٩)</sup>. قال ابن إياس " وصار يحيى بن فكار يركب ويأخذ معه جماعة من المرخمين فيهمجون على قاعات الناس، ويأخذون ما فيها من الرخام السماقى والزرزوري الملون، فأخربوا عدة قاعات من أوقاف المسلمين، وبيوت الأمراء، حتى القاعات التي فيها بولاق، وقاعات الشهابي أحمد ناظر الجيش بن ناظر الخاص التي على بركة الرطلي وغير ذلك من قاعات المباشرين والتجار، وأبناء الناس والمدارس التي فيها الكتب للنفيسة فنقلوها عندهم، ووضعوا أيديهم عليها". غير ما نهبوه من الأمراء وتحفهم، وبالجملة فقد خرج السلطان سليم من مصر فى شعبان من تلك السنة، ومعه أحمال من التحف والهدايا. وقد نال أمرا لم يجسر عليه أحد قبله من السلاطين الأتراك ولا غيرهم، نعى نيل الخلافة الدينية، فضلا عن السلطة السياسية.

#### [٦٠] الخلافة والسلطة فى الإسلام<sup>(١٧٠)</sup>

لما كانت الخلافة أهم ما اكتسبه العثمانيون فى مصر، رأينا أن نأتى على تاريخ هذا المنصب فى التمدن الإسلامى، ونسبته إلى السلطة، يتبين للقارئ أن السلطان سليما أقدم على أمر لم يقدم<sup>(١٧١)</sup> عليه سواه من السلاطين فنقول:

لابد للنظر في أحكام التاريخ على العموم، وتاريخ الإسلام على الخصوص من أن يرى السلطة المطلقة (١٧٢) لا تتأيد بمثل الدين، فإن الصبغة الدينية تحميها من طمع الطامعين بأن تجعل لملوكها مزية على سائر الناس.

وإذا أريد فصل الدين عن السياسة (١٧٣) فلا بد من تقييد الحكومة بالشورى، وهي أفضل الحكومات وأطولها عمرا، وإلا فإنها تتحل سريعا، ويكفي لانحلالها أن يتولى شؤونها ملك قليل التدبير ناقص الاختيار، فيغتصب ملكه بعض وزرائه أو قواده.

وإذا تدبرت تاريخ الدول الإسلامية، رأيت للسلطة الدينية تأثيرا كبيرا في طول بقائها واتساعها نطاقها- اعتبر ذلك في الدول التي نشأت في أثناء لتمدن الإسلامي من الفرس، والترك، والكرد، والشركس، كالبويهيين والسلاجقة والأيوبيين، وغيرهم من الدول الفخمة، فإن بين ملوكها جماعة من دهاة الرجال وقهارمة (١٧٤) السياسة، ولم تطل أعمارها رغم استقواتها بالخلافة العباسية.

وانظر إلى الدول العربية التي جمعت بين للخلافة والسلطة كالعباسيين والفاطميين والأمويين في الأندلس مع ما [ص/٦١] طرأ عليها من أسباب السقوط، فقد صبرت وطال جهادها.

وإذا نظرت إلى الدول الأعجمية رأيت أطولها عمرا وأوسعها ملكا للدولة التي جمعت بين السلطين، وهي الدولة العثمانية، وبنو أمية في الشام، لو لم يتخذوا لقب للخلافة ويقبضوا على أزمة الرئاسة الدينية ما استطاعوا إلى الحكم سبيلا، فإنهم إنما حكموا الناس وأبدوا سلطتهم بما في الخلافة من الصبغة الدينية، ووقفوا إلى أعوان علموا أن العامة لا تحكم بمثل الدين فجعلوا مهم تعظيم الخلافة حتى جعلوها فوق النبوة، وسموا الخليفة خليفة الله، وقالوا: " خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته". والعلماء ينكرون ذلك، ولا يصدقونه، ولما للعامة فكانوا يساقون به إلى الطاعة بالإرهاب رغم ما كان يعتور صحة خلافة بني أمية من شكوك.

فلما أفضت الخلافة إلى بني العباس، وهم من عائلة النبي، ومن أولى الناس بخلافتهم. كان المسلمون أطوع لهم مما لبني أمية، واعتقدوا أن خلافتهم تبقى أبد الدهر حتى يأتي السيد المسيح، وغرس في أذهان الناس بتوالي الأجيال أن للخليفة العباسي إذا قتل اختل نظام العالم واحتجبت للشمس ولتمتع للقطر (١٧٥) وجف للنبات. (١٧٦)

وكان الخلفاء لا يأفون من ذلك التفضيم مع تعقله وانتشار العلم في عصره، فقد ذكروا أنه كان يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء، ولا ينكر ذلك ولا يرده حتى قال فيه بعض الشعراء: " فكأنه بعد الرسول رسول" ، فكيف يكون حال الخلفاء في عصر الانحطاط، إذ يقوم الوهم مقام الحقيقة، ويكثر المتزلفون والمتملقون، ويكتفى أولو الأمر بالكلام دون [ص/٦٢] الأعمال وتمسك أهلها بالعرض، وتركوا الجوهر فلا غرو إذا سماوا الخليفة في أيام المتوكل: ظل الله الممدود بينه وبين خلقه<sup>(١٧٧)</sup> أو قالوا قول ابن هاني للمعز الفاطمي:

ما شئت ولا ما شاعت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار<sup>(١٧٨)</sup>

فهذا السبب كان الأمراء الذين يستقلون عن الدولة العباسية بالإدارة والسياسة لضعف الخليفة عن حربهم، لا يستطيعون الاستقلال عنه بالدين، إذ لا يستغنون عن بيعته لتثبيت سلطانهم، فإذا أراد أحدهم الاستقلال بولاية أو فتح بلد أو إنشاء إمارة لنفسه، بعث إلى الخليفة في بغداد يبايعه، ويطلب منه أن يعطيه تقليدا أو عهدا بولاية ذلك البلد، أو أن يلقبه ويخلع عليه، وإذا أبي الخليفة أن يجيبه غضب، وعد ذلك تحقيرا له، وقد مجرد عليه الجند ليكرمه على تثبيته.

فالإمارات أو الممالك التي استقلت عن الدولة العباسية في فارس وخراسان وتركستان، وما بين النهرين والشام ومصر وبلاد المغرب وغيرها قبل قيام الدولة الفاطمية كانوا أصحابها يخطبون لخليفة بغداد ويبعثون إليه بمال معين في العام مع أنهم في أمن من سطوته، وإنما يريدون أن يرضى العامة عن سلطانهم.

وكذلك كان شأن الأجناد الأتراك وأمرائهم [ص/٦٣] فقد كانوا مع استبدادهم بخلفاء بغداد قتلا وخلعا لا يجسرون على استبقاء منصب الخلافة خاليا يوما واحدا لاعتقادهم أنه بدون الخليفة لا تصطلح العامة، حتى الملوك أو السلاطين الذين تسلطوا على بغداد وقبضوا على كل شئ فيها. وأصبح الخليفة آلة في أيديهم مثل آل بويه<sup>(١٧٩)</sup>، وآل سلجوق فقد كانوا يحاربون الخليفة ويجردون عليه الجيوش، حتى إذا ظفروا به، وغلبوه، بايعوه، أكرموه ورفعوا مقامه وتبركوا به.

فعضد الدولة البويهية<sup>(١٨٠)</sup> ملك بغداد واستبد بها وهو شيعي على غير مذهب الخليفة، وكان يغالي في التشييع ويعتقد أن العباسيين غصبوا الخلافة من مستحقها، فلم يكن ثمة باعث دين يدعو إلى طاعة خليفة بغداد، ومع ذلك فإنه بايعه،

وعظم شأنه، وأعاد من أمر الخلافة ما قد نسي، وأمر بعمارة دار للخلافة، والإكثار من الآلات، وعمارة ما يتعلق بالخليفة وبطاقته، وأكرمه غاية الإكرام.

وكان الخلفاء من الجهة الأخرى يعرفون حاجة الأمراء المسلمين إلى رضاهم، فإذا ساءهم أحد منهم، هددوه بالخروج من بغداد، فيضطر إلى استرضاقهم، لأن خروجهم يفضب العامة، ويجرئهم على خلع للطاعة، لتقسيمهم شخص الخليفة وتزويجه عن الخطأ.

ولذلك فلم يكن من سبيل إلى نزع سلطته أو الاعتراض عليها إلا من وجه ديني، فكان الذين يقومون على الخلفاء، يجعلون سلاحهم الدين، فيلبسون الصوف، ويدعون إلى المعروف أو يعلقون في أعناقهم المصاحف أو نحو ذلك مما يحرك عواطف العامة [ص/٦٤] وإذا أراد أحد الخلفاء أن يصلح ما بينه وبين العامة أصلحه بالتقوى، فلما ضمن " للفضل بن سهل" الخلافة للمامون أوصاه بإظهار الورع والدين ليستميل القواد.

ولما رأي " أبو مسلم الخرساني" أهل اليمن في مكة قال: " أي جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان، غزير الدمعة" يريد تحريك عواطفهم الدينية بالوعظ والبكاء، فلم يكن للممالك الإسلامية بد من خليفة تبايعه ليثبت ملكها.

وقد استاء بعض الأمراء المستقلين من خليفة بغداد فيكظم ولا يخلع بيعته، إلا إذا رأى خليفة آخر يبايعه، فلما قامت الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر، خلعت كثير من البلاد بيعة خليفة بغداد، وبايعت للفاطميين في القاهرة، ولما تغلب صلاح الدين الأيوبي على مصر، وذهبت الدولة الفاطمية منها، فأول شئ فعله أنه خطب بجامع القاهرة للخليفة العباسي في بغداد، وطلب المنشور منه والخلع عليه. وكانت الخلافة العباسية بغاية الانحطاط والضعف وهو في غنى عن بيعتها، ولكنه علم أنه إذا لم يبايع الخليفة فلا يرضى الناس.

و كذلك فعل السلاطين المماليك، الذين ملكوا مصر بعد الدولة الأيوبية، فإنهم بايعوا للعباسيين، وكانت اللخع تأتيهم من بغداد إلى القاهرة بتثبيت سلطتهم، فلما سطا للتر على بغداد وفتحوها سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وقتلوا للخليفة العباسي المستنصر بالله. توقف شأن الخلافة. فاضطربت أحوال مصر، وبذل سلاطينها جهودهم في إيجاد خليفة يبايعونه ولو أعوز خليفة ولم يجده [ص/٦٥] ربما اختلقوا واحدا ليحكموا

العامه به، على أنهم ما زالوا يبحثون عن بقية الخلفاء العباسيين الذين كانوا في بغداد حتى ظفروا بالهاربين منهم فاستقدموهم إلى القاهرة، واحتفلوا بهم احتفالا عظيما، وفرضوا لهم الرواتب كما تقدم، وبالغوا في احترامهم وإكرامهم مع علمهم أن أولئك للخلفاء لا يغنون عنهم شيئا.

ولكنهم خافوا اختلال دولتهم بدونهم، وظل ملوك الهند وغيرهم من ملوك الإسلام بالأطراف البعيدة، يبايعون للخليفة العباسي في القاهرة، ويطلبون التقليد<sup>(١٨١)</sup> منه أو المنشور لإثبات سلطتهم على يد السلاطين المماليك، فما الذي بعث لأولئك الملوك على طلب التقليد ، من خليفة طريد شريد لا ينفع ولا يشفع لولا ما يتوقعونه من أثر ذلك في أذهان العامة.

ولا ننكر أن بعضهم كان يطلب بيعة الخليفة تدينا ولكن الأكثرين كانوا يطلبونها لاستصلاح العامة بها.

### الخلافة في غير قریش

مما يستحق النظر والاعتبار فيما نحن فيه ، أن ملوك المسلمين غير العيوب على اختلاف مواطنهم وأجناسهم ولغاتهم ودولهم من الفرس، والأترک ، والأكراد ، والبربر، والشركس وغيرهم، مع ما بلغوا إليه من سعة الملك وعز السلطان ومع حاجاتهم إلى السيادة الدينية لتستقيم دولتهم، وتجتمع الرعية على طاعتهم، ولم يخطر لأحد منهم أن يطلب الخلافة لنفسه، قبل انتقال الإسلام إلى طوره الثاني بعد تضععه<sup>(١٨٢)</sup> بفتوح المغول. ولا ادعاها أحد من العرب غير قریش، وأول سلطان غير [ص/٦٦] عربي بويع بالخلافة، السلطان سليم الذي نحن في صدده ولا تزال الخلافة في دولته إلى الآن<sup>(١٨٣)</sup>

على أن الذين قويت شوكتهم في عهد ذلك التمدن من الأمراء المسلمين أو القواد غير العرب، كانوا إذا طمعوا بالسيادة الدينية أو الخلافة، انتحلوا لأنفسهم نسبا في قریش<sup>(١٨٤)</sup> كما فعل " أبو مسلم الخرساني" لما رأي من نفسه القوة على إنشاء الدولة وربما طمع بالخلافة، وانتحل لنفسه نسبا في بني العباس فقال: إنه ابن مسليط ابن عبد الله بن عباس.

وأما الملوك أو السلاطين الأعاجم، فلما ضخمت دولهم في أواخر العصر العباسي، ورأوا انحطاط الخلافة وتقهقرها تمنوا الاستغناء عنها، ولكنهم لم يروا سبيلا

إلى ذلك، إلا أن يستبدلها بخلافة أخرى، على أن بعضهم طمع بالنفوذ الديني عن طريق الانتساب إلى الخليفة بالمصاهرة.

وأول من فعل ذلك ، عضد الدولة " بن بويه" المتوفى سنة ٣٧٢هـ (٩٨٣م) فإنه حمل الطائع بالله (١٨٥) الخليفة العباسي في أيامه أن يتزوج بابنته، بوغرضه من ذلك أن تلد له ابنة ولدا ذكرا فيجعله ولي عهده، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب ولم يوفق إلى مراده.

ولما أفضت السلطة إلى السلاجقة، تقدموا في هذا الطريق خطوة أخرى، فعمدوا إلى التقرب بالمصاهرة أيضا، ولكن على أن يتزوج السلطان " طغرلبيك السلجوقي" (١٨٦) ابنة الخليفة، وهو يومئذ القائم بأمر الله (١٨٧) فخطبها إليه، ووسط قاضي الري في ذلك ، فانزعج الخليفة لهذا الطلب [ص/٦٧] لئما انزعاج، إذا لم يسبق أن يتزوج بنات الخلفاء إلا أكفأهم بالنسب، وكانت يد السلطان قوية والخليفة لا شيء في يده، فأخذ الخليفة في استعطافه ليعفيه من الإجابة على طلبه، فأبى السلطان إلا أن يجاب.

وحدثت أمور بطول شرحها خيف منها على الدولة فاضطر الخليفة إلى القبول، فعقد له عليها سنة ٤٥٤هـ (١٠٦٢م) وهذا ما لم يجر مثله قبله، لأن آل بويه لم يطمعوا بذلك ولا تجاسروا على طلبه مع مخالفتهم للخليفة في المذهب، إذ يكفي الخليفة تنازلا أن يتزوج بنات الملوك، لا أن يزوجه بناته، ولم ينل هذا الشرف أحد قبل طغرلبيك، ومع ذلك فإنه لما دخل إلى عروسه في السنة التالية، قبل الأرض بين يديها وهي جالسة على سرير ملبس بالذهب، فلم تكشف الخمار عن وجهها ولا قلمت له وظل أياما يحضر على هذا الصورة وينصرف، على أنه لم يوفق لإتمام ما أراده لأنه توفي في تلك السنة (١٨٨).

أما المبايع بالخلافة لغير العرب فلم تتلها دولة إسلامية قبل العثمانيين، وذلك أن الخليفة العباسي كان عند الفتح العثماني لمصر، الإمام محمد المتوكل على الله الثالث، وقد تقدم ذكره مرارا، وهو الخليفة الثامن عشر من الدولة العباسية بمصر، فلما تم فتح مصر للسلطان سليم، علم أن الأمر لا يستتب له، إلا إذا أضاف السلطة للدينية إلى السلطة للزمنية، فاعتمت فوزه، وطلب إلى المتوكل على الله، أن يبایعه فبايعه بالخلافة الإسلامية وسلمه الآثار النبوية، وهي : للعلم والسيف والبردة،

وسلم إليه أيضا مفاتيح الحرمين، فصار خليفة وسلطانا، وتوارث ذلك السلاطين بعده، ولا يزالون على ذلك إلى الآن<sup>(١٨٩)</sup>.

[ص/٦٨] أما الخليفة العباسي، فإنه نقل إلى الأستانة وخصص له راتب لنفقاته، وقبل وفاة السلطان سليم عاد المتوكل إلى مصر وعاش فيها مفردا إلى أن توفاه الله سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) وهو آخر الخلفاء العباسيين وقد دامت دولتهم الدينية، نيفا وثمانية قرون.

### نظام الحكومة المصرية في الدولة العثمانية

قد رأيت من إجراءات العثمانيين بمصر عند الفتح أنهم لم ينظروا إليها نظرم إلى بلد سيقيمون فيه وإنما أرادوا إخضاعه وإذلاله واستغلاله<sup>(١٩٠)</sup> فلما رجع السلطان سليم إلى عاصمته القسطنطينية، فكر في أمر مصر فارتأى أن يضع لها نظاما يأمن معه تمردها عليه، لبعدها عن مركز الخلافة، وصعوبة المواصلات في ذلك العصر.

وكان قد ولي عليها واليا برتبة باشا يرجع إليه الحل والعقد وأول من نال هذا المنصب أمر أهله من كبار رجال قنسو الغوري اسمه خاير بك " أو "خيربك" قد تقدم ذكره وحارب معه في حلب ثم خانة وسلم البلد إلى العثمانيين، فلما فتح الله على هؤلاء مصر ولاء السلطان سليم ولايتها، وسماه باشا<sup>(١٩١)</sup>

على أنه تذكر أن هذا الرجل خان سلطانه من قبل فخاف أن يفعل ذلك معه، إذا بعد عنه، ويستقل بمصر فأعمل فكرته فيما يكفيه مؤونة هذا الخطر، فاهتدى إلى طريقة تضمن له ذلك وهي أن يجعل في مصر ثلاث إدارات أو قوات، كل منها تراقب أعمال الآخرين فلا [ص/٦٩] يخشى اتحادها وتمرداها.

فالقوة الأولى: " الباشا" وأهم واجباته إبلاغ الأوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب، ومراقبة تنفيذها.

والقوة الثانية: " الوجاقات" فإنه أقام في القاهرة ، وفي المراكز الرئيسية في القطر ستة آلاف فارس، وستة آلاف ماش بالبنادق، جعلها ستة وجاقات ( فرق) تحت

قيادة ولؤمر خير الدين أحد قواد العثمانيين العظام وأمره أن يقيم فى القلعة ولا يخرج منها لأى سبب كان.

وواجبات هذه اللوجاقات حفظ للنظام فى القطر المصرى والدفاع عنه، وجباية الخراج وقد رتبها على الوجه التالى:

- ١- وجاق المتفرقة<sup>(١٩٢)</sup>: وهو مؤلف من نخبة لحرس السلطانى.
- ٢- وجاق للجاوشية<sup>(١٩٣)</sup>: وهو مؤلف فى الأصل من صف ضابطان<sup>(١٩٤)</sup> جيش السلطان سليم، فعهد إليهم جباية الخراج.
- ٣- وجاق الهجانة<sup>(١٩٥)</sup>.
- ٤- وجاق للتفجبة<sup>(١٩٦)</sup>، وهم ناقلو البنادق.
- ٥- وجاق الانكشارية، وقد تقدم تاريخهم ووصفهم.
- ٦- وجاق العزب<sup>(١٩٧)</sup>.

وكان كل من هذه اللوجاقات مؤلفا من أفراد يقال لهم وجاقية وأحدهم وجاقلى، على وجاق ضابط يلقب بالأغا يصحبه الكخيا والباشا اختيار، والفتدردار، والخزنة دار، والروزنامجى، ومن اجتماع هؤلاء الضباط فى سائر اللوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا فلا يقضى أمرا إلا بمصادقتهم.

أما هم فلمهم أن يوقفوه عن الإجراء أو يستأنفوا إلى ديوان [٧٠] الأستانة عند الاقتضاء، ولهم أيضا أن يطلبوا عزله حالما يشتهون بمقاصده

أما القوة للثلاثة: فهى الأمراء المماليك، وهم بقاءا للدولتين السالفتين، والفايدة منهم حفظ الموازنة بين الباشا واللوجاقات لأنهم فى الأصل أعداء لكلا الفريقين، ومن غرضهم الانتصار للفريق الأضعف ليمنعوا للقوى من الاستبداد.

وقد كان للقطر المصرى منقسما إلى ٢٢ منجقية<sup>(١٩٨)</sup> (مديرية) يحكم كل منها حاكم يقال له: سنجق أو بك يعينه الديوان وهو مجلس شورى الباشا من أمراء المماليك.

فلا غرو أن تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها مع تعدد الأمرين، ما يقود إلى القلاقل والمتاعب، أما الدولة العثمانية فقد جبت راحة من هذا التعب لأنها كانت على ثقة من استبقاء الديار المصرية فى حوزتها.

ولم تطل حياة السلطان " سليم " بعد فتح مصر، فتوفي سنة ٩٢٦هـ — (١٥٢٠م)، وخلفه ابنه السلطان " سليمان القانوني " الشهير.

## ٢- سلطنة " سليمان القانوني "

من سنة ٩٢٦ - ٩٧٢هـ (١٩٩) لو من ١٥٢٠ - ١٥٦٦م

لهذا السلطان شأن خاص دون سائر سلاطين آل عثمان، لأن المملكة العثمانية بلغت في أيامه أرقى ما وصلت إليه من النفوذ السياسي وسعة الفتح. فقد فتح " بلغراد " (٢٠٠) و " رودس " (٢٠١)، وحاصر " فيينا " (٢٠٢) حتى كاد يفتحها، وكانت له علاقات عظيمة مع ملك " فرنسا ".

وفي أيامه دخل العثمانيون " تبريز " غير مرة (٢٠٣) وقد طالت [ص/٧١] سلطة هذا السلطان أكثر من سائر السلاطين العثمانيين وبلغت الدولة العثمانية في أيامه، أوج مجدها (٢٠٤).

وقد عرف " بالقانوني " لأنه سن قانونا لا يزال أساسا للقوانين العثمانية إلى الآن (٢٠٥)، واهتم على الخصوص بشئون مصر، وكان أبوه قبيل وفاته قد رسم الخطة التي يجب أن تسير عليها مصر في حكومتها وإدارتها، ولكنه توفي قبل أن يبرزها إلى حيز الفعل، فلما توفي السلطان، جعل اهتمامه إتمام مشروع أبيه (٢٠٦).

## نظام الحكومة المصرية أيضا

وكان من رأي السلطان " سليم " أن ينشئ ديوانا تحت رئاسة الباشا، حفظا للموازنة، أما السلطان " سليمان " فآتم الموازنة بإنشاء ديوانين، عرفا " بالديوان الكبير " والديوان الصغير " أو " الديوان " فقط (٢٠٧)، وأناط رئاستهما بالباشا وعليه أن يجلس عند انعقاد الجلسة وراء ستار المنبر (٢٠٨). وعلى الكخيا، والدفتردار استتدائه قبل المفاوضة. ومتى أقر الديوان على أمر، أبلغاه ذلك القرار وليس له إلا المصادقة والأمر والتنفيذ، وجعل إقامة هذا الباشا في القلعة تحت ملاحظة الأغا الذي هو قومندانها، ويجدد تعيين الباشا كل سنة.

أما واجبات الديوان الكبير فهي المفاوضة والإقرار على ما يتعلق بالأشغال العمومية التي لا تتعلق إدارتها بالباب العالي نفسه.

أما أعضاء هذا الديوان<sup>(٢٠٩)</sup>، فهم أعيان الوجاقات الستة ودفترداريوها، وروزنامجيوها، ونواب من جميع فرق الجيوش، وأمير الحج، وقاضي لقضاء وأعيان المشايخ، والأشراف، والمفتون الأربعة والأئمة الأربعة والعلماء.

أما المخططات التي ترد إلى هذا الديوان فتُصنّف باسم "الديوان الكبير" لكنها [ص/٧٢]، تسلم إلى الباشا، وله وحده الحق أن يأمر بعقد جلساته، ولم تكن كثيرة. أما جلسات الديوان الأصغر، فكانت تتعقد يوميا في قصره<sup>(٢١٠)</sup> وأعضاء هذا الديوان، هم كخيا الباشا، ودفترداره<sup>(٢١١)</sup> وروزنامجيه<sup>(٢١٢)</sup> ونائب من كل الوجاقات والأغا وكبار ضباط وجاق المتفرقة.

ومن ولجبت هذا الديوان، النظر في الحوادث اليومية ومن اختصاصاته البحث في الإدارات الثانوية.

وأنشأ السلطان "سليمان" فضلا عن الستة الوجاقات التي أنشأها أبوه، وجاقا سابعاً دعاه وجاق الشركسة وهم بقية جند المماليك، ومن هذه الوجاقات السبعة تتألف حكومة مصر<sup>(٢١٣)</sup> وحاميتها.

أما نفقاتها، فمن مخصصات يتولى ضبطها وتفريقها "أفندي" من كل وجاق، وجعل لكل وجاق مجلسا مؤلفا من ضباط ذلك الوجاق، وبعض صف ضباطه لمحاسبة الأفندي، وللنظر في الدعاوي بخصوصية، وعرض الترفيعات للباشا للمصادقة عليها ومقامهم في القاهرة، ولكل منهم لباس خاص برتبته وعليه علامته، ومجموع عدد رجال الوجاقات معا عشرون ألفا<sup>(٢١٤)</sup> وقد يزيد أو ينقص حسب الاقتضاء، وكان لوجاق الانتشارية امتيازات على سائر الوجاقات، وقواته (الأغا) مفضل على سائر القواد وله نفوذ عليهم.

وجعل السلطان "سليمان" للبكوات المماليك الذين أقامهم السلطان "سليم" امتيازات خصوصية<sup>(٢١٥)</sup>، وحقا بالارتقاء إلى رتبة الباشوية وأضاف إليهم ٢١٢ بيكا<sup>(٢١٦)</sup> آخرين لمهمات فوق العادة، وهاك أسماء الموظفين الذين ينتخبون من البكوات وهم: الكخيا [ص/٧٣] أو نائب الباشا والقباطين<sup>(٢١٧)</sup> الثلاثة، وهم قومندان<sup>(٢١٨)</sup> ثغور السويس ودمياط، والإسكندرية، ويسمى واحدهم قبطان بك، ودفتردار<sup>(٢١٩)</sup>، وأمير الحج، وأمير الخزانة، وحكمداريو أو مديرىو للمديرىات الخمس، الآتي نذكرها: جرجا، والبحيرة، والمنوفية، والغربية، والشرقية، ولم يكن

لغير الكخيا والدفتردار، وأمير الحج، الحق في دخول الديوان، فالدفتردار كان عليه ضبط الحسابات، وحفظ الدفاتر والسجلات، ولا ينفذ إلا ببيع عقار إلا بعد توقيعه عليه إشارة إلى تسجيله في دفاتره، وأمير الحج يحمل الهدايا والصدقات التي كان يرسلها السلطان سنويا إلى مكة أو المدينة، وعليه حماية قافلة الحج ذهابا وإيابا.

وأما أمير الخزانة، فيحمل القسم المختص بالقسطنطينية من حاصلات مصر برا وعليه حمايته، وينتخب من البكوات أيضا " شيخ البلد" (٢٢٠) وسنعود إليه ويكون له شأن عظيم.

وكانت مديريات القليوبية، والمنصورة والجيزة، والفيوم في عهدة كُشاف<sup>(٢٢١)</sup> لا فرق بينهم وبين البكوات في النفوذ، ولا يعمل بإقرار أحدهم إلا بعد مصادقة الشورية وغيرهم من الوجاقيين الذين يتألف منهم ديوان خاص في كل مديرية، ثم أن تعيين كخيا الباشا وقباطين السويس ودمياط والإسكندرية متعلق رأسا بجلالة السلطان، فيرسلونهم من الأستانة ويستدعونهم إليها في آخر كل سنة.

أما البكوات الآخرون، فيعينهم الديوان، ويوليهم الباشا، وثبتهم الباب العالي، ومراكزهم ثابتة إلى أن واجباتهم تتغير، إلا الدفتردار، وقد ينتخب البكوات من وجاق المتفرقة ومتى انتخبوا لا يعودون تابعين لذلك الوجاق.

وكان من هم الباب العالي الانتباه إلى [ص/٧٤] السويس ودمياط والإسكندرية على الخصوص، لأنها الأبواب التي يدخل منها إلى مصر، فكان يرسل حاميتها رأسا من الأستانة تحت قيادة القباطين، ويجدها كل سنة، وهؤلاء القباطين لم يكونوا يحسبون من جند مصر إلا باعتبار إقامتهم فيها وبما ينالونه من الإمدادات المالية لنفقاتهم.

أما ما خلا ذلك، فكانوا يحسبون أجانب في اعتبار الباشا وديوان مصر، ولم يكونوا تحت أوامر حكومة البلاد في شئ، فأوامرهم كانت ترد إليهم من ديوان الأستانة رأسا.

#### حاصلات البلاد<sup>(٢٢٢)</sup>

هذا من قبيل الإدارة، أما من قبيل حاصلات البلاد، فإن السلطان سليمان<sup>(٢٢٢)</sup> إنه المالك الحر لأرض مصر، فكانت له ملكا، وكان يفرقها إقطاعات على مزارعين

كان يدعوهم للملتزمين، على أنه لم يكن أن يمنع إقطاعها أو يققه، فلم يكن بالحقيقة فرق بين هذه الإقطاعات والملك الحقيقي والفلاحون الذين كانوا يحرثون الأرض كانوا يتمتعون بنصيبهم منها ويورثونها لأعقابهم، ولكنهم مجبورين على العمل فيها بدون حق التصرف بها، وعليهم خراج لا مناص من دفعه للملتزمين متى توفي فلاح بلا وريث، تعطى أرضه للملتزم، وهو يعهد بحراثتها إلى من يشاء، وإذا مات الملتزم بلا وريث تعود الأرض إلى السلطان، وكان على كل من الملتزمين والفلاحين خراج يدفعونه إما نقداً أو عينا، فإذا تأخر الملتزم، تؤخذ الأرض منه. ونظرا لاتساع أرض مصر [ص/٧٥] لم يكن<sup>(٢٢٣)</sup> حصر أملاك كل من الملتزمين، فلم يكن ممكنا تعيين مقدار خراجها، فأرسل السلطان "سليمان" مساحين مسحوا الأرضين المصريين، فقسما للمديريات إلى أقسام دعوها بالقراريط ومسحوا كلا منها على حده، وحددوه<sup>(٢٢٤)</sup>.

### ولاية مصر في زمن السلطان "سليمان"

قلنا إن السلطان "سليم" ولي حكومة مصر "خيربك" للذي خان<sup>(٢٢٥)</sup> للغوري" و"طومان باي" في تسليم حلب، فتوفي "خيربك" سنة ٩٢٨هـ، ودفن في جامع<sup>(٢٢٦)</sup> المعروف باسمه في شارع "درب الوزير" وبعد وفاته، لهجت الألسنة بنمه لعظم استبداده.

وولي السلطان "سليمان" مكانه مصطفى باشا<sup>(٢٢٧)</sup> وبعد تسعة أشهر و٢٥ يوما أبطل "بأحمد باشا"<sup>(٢٢٨)</sup>، وكان عدوا للصدر الأعظم "إبراهيم باشا" فدمس الصدر سنة ٩٣٠هـ إلى أمراء المماليك في القاهرة أن يقتلوه، فعلم بالديسيسة، فقبض على الكتب الواردة بذلك قبل أن تصل إلى أصحابها، ثم استدعاهم وأعلنهم أنها لوامر جلالة السلطان بقتلهم، ولم يطلعهم عليها، فأبوا الإذعان، إلا أن إياهم لم يمنع قتلهم.

ولما تأكد "أحمد باشا" أنه صار في مأمن من المقومين، صرح باستقلاله، وأمر أن يخطب له، وأن تضرب النقود باسمه، وهو أول من طمع بالاستقلال<sup>(٢٢٩)</sup> من ولاية مصر في عهد الدولة العثمانية، ولكنه بلغ بالعمس، فاختلس منكمات البعض وحبس البعض، فثارت الأفكار عليه حتى أصبحت حياته في خطر.

وبينما هو ذات [ص/٧٦] يوم في الحمام، فاجأه أميران من أمرائه كان قد أمر بسجنهما وهما، " جهم الحمزاوي" (٢٣٠) و " محمد بك" فكسرا باب السجن وخرجا رافعين العلم الشاهاني، يستنصران الناس حتى أتيا الحمام، فعلم الباشا بذلك ففر من السطح والتجأ إلى أحد مشايخ عربان الشرقية واسمه " ابن بقر"، فتعقبه أعداؤه حتى أدركوه وقطعوا رأسه على باب زويلة ثم نقل إلى الأستانة سنة ٩٣١هـ (١٥٢٤م). فأرسل السلطان عوضا عنه " قاسم باشا" (٢٣١)، وفي نيته تقصير مدة هؤلاء الولاة لئلا يثور في خواطرم حب الاستقلال، فبعد تسعة أشهر و١٤ يوما استبدله بإبراهيم باشا (٢٣٢) وكان نشيطا، محبا للإصلاح والنظام إلا أن قصر مدته (٢٣٣) لم تمكنه من إتمام ما كان شارعا فيه، فعزل وأقيم بدلا منه " سليمان باشا" سنة ٩٣٣هـ (٢٣٤)، وكان السلطان راضيا عن سميته هذا، فأبقاه في الولاية تسع سنوات و١١ شهرا. وفي سنة ٩٤١هـ (١٥٣٥م) استقدمه إلى الأستانة، ليسلمه قيادة حملة أعدها لمحاربة الفرس والهند (٢٣٥)، وقد أقام في أثناء حكمه بنايات كثيرة من جملتها جامع سارية (٢٣٦) في القلعة، وناب عنه في غيابه " خسرو باشا" نحو سنة وعشرة أشهر فعاد " سليمان باشا" إلى مصر، وبقي عليها بعد ذلك نحو سنة وخمسة أشهر (٢٣٧).

وفي سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) عهدت باشوية مصر إلى " دواود باشا" فبقي عليها ١١ سنة و٨ أشهر، وكان رجلا مستقيما، وكريم الخلق، محبا للعلماء، أخذوا بناصرهم كلفا بالمطالعة وعلى نوع خاص مطالعة الكتب العربية، فجمع منها عددا وافرا، واستنسخ [ص/٧٧] كل ما ظفر به من الكتب غير المطبوعة، فجمع مكتبة جميلة جدا (٢٣٨).

وكان الأهلون في مدة حكمه في بحيوحة السعادة والأمن وتوفي في القاهرة سنة ٩٥٦هـ (٢٣٩)، فتولى مكانه" على باشا" وهذا رمم وبنى عدة بنايات عمومية في " القاهرة" وفي " فوه" و" رشيد" واقتدى به غيره من بكوات " مصر"، فجعلوا يشيدون الجوامع، منها الجامع الذي ابتناه " عيسى بك" في " ديروط" وكان على باشا محبوبا، مكرما عند المصريين بمنزلة الأب، لكنه على ذلك لم يحكم إلا أربع سنوات ومئة أشهر (٢٤٠).

ففي سنة ٩٦١هـ (١٥٥٣م) تولى باشوية " مصر " محمد باشا<sup>(٢٤١)</sup>، وكان الناس يبغضونه، فلم يحكم إلا ثلاث سنوات، ولما زاد التشكي منه، عزل واستقدم إلى الأستانة للمحاكمة فحكم عليه بالقتل سنة ٩٦٣هـ (١٥٥٦م).

وبعد " محمد باشا" تولى " اسكندر باشا" فحكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ونصف<sup>(٢٤٢)</sup>.

وفي سنة ٩٦٨هـ، تولى " على باشا" للخادم<sup>(٢٤٣)</sup>، وبعد ١٧ شهرا خلفه "مصطفى باشا" ( الثاني) في سنة ٩٦٩هـ<sup>(٢٤٤)</sup>.

ثم في سنة ٩٧٦هـ (١٥٦٤م) تولى " على باشا" الصوفي<sup>(٢٤٥)</sup> سنتين وثلاثة أشهر، وكان "على الصوفي" قبلا حاكما في " بغداد" مشهورا فيها باعوجاج الأحكام والخيفة.

فلما تولى " مصر " ، كثرت فيها السرقات والتعديت، حتى غصت لقاهرة باللصوص، ولخترقت طائفة منهم المدينة حتى الجامع الأبيض، فاضطرت الحكومة أن تقيم سورا من قنطرة الحاجب إلى هذا الجامع منعا لمثل ذلك.

وفي شوال سنة ٩٧٣هـ (١٥٦٦م) أبدل " على باشا الصوفي" بمحمود باشا<sup>(٢٤٦)</sup> وهو آخر من تولى مصر في أيام السلطان "سليمان" فجاء<sup>(٢٤٧)</sup> الأستانة بموكب عظيم، فأهدى إليه في أثناء مروره من الإسكندرية إلى القاهرة ، هدايا عظيمة، فلما [ص/٧٨] وصل للقاهرة، لاقاه الأمير " محمد بن عمر" متولى الصعيد على قارب فيه جميع أنواع الهدايا وخمسون ألف دينار، فأخذ الباشا الهدايا منة بخنقه حال خروجه من مجلسه، وأمر أيضا بخنق للقاضي " يوسف العبادي" ، لأنه لم يأت لملاقاته، ولم يهده شيئا، واستمر على هذه المظالم حتى قتل معظم أعيان القاهرة، فكان لا يمر إلا ومعه السوياسي " رئيس الجلادين" فإذا مر بأحد، وأراد قتله، أشار بيده إلى السوياسي<sup>(٢٤٨)</sup>، فيعمد حالا إلى ذلك التعس ويقتله بأسرع من لمح البصر.

وفي ٣ رجب سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٧م) توفي الأمير " إبراهيم" الفستردار، وكان أميرا للحج، فاستولى " محمود باشا" على ما ترك من المال، والمماليك، والجواري وجملة ذلك مائة ألف دينار ضمها إلى المال الذي يرسل إلى الأستانة سنويا، ويعين منها هدايا ثمينة للسلطان ووزرائه، استجلابا لخواطرهم، لكنه لم ينتفع من ذلك قبل أن قتل<sup>(٢٤٩)</sup> في يوم الأربعاء غاية جمادي الأولى<sup>(٢٥٠)</sup> سنة ٩٧٥هـ

(١٥٦٧م) وهو مار في موكبه الاعتيادي بين البساتين، ولم تقف الحكومة على القاتل، فاتهمت اثنتين من الفلاحين وقتلتهما ظلما لأنهما وجدا بقرب مكان القتل. وكان السلطان " سليمان " قد توفي قبل ذلك (٩٧٤) ١٥٦٦م وسنه ٧٤سنة، ومدة حكمه ٤٨ سنة فتولى بعده ابنه " سليم شاه " (الثاني). وهذه صورة نقوده مؤرخة ٩٢٦هـ (٢٥١)

### [ص/٧٩] ٣- سلطنة " سليم بن سليمان "

في سنة ٩٧٤-٩٨٢هـ أو في ١٥٦٦-١٥٧٤م

هو " سليم الثاني " ولد سنة ٩٣٠ (١٥٢٤م) فلما تولى الملك كان في السابعة والأربعين من عمره<sup>(٢٥٢)</sup> وكانت أمه روسية (صقلبية)<sup>(٢٥٣)</sup> ولم يكن أهلا للاحتفاظ بما خلفه أبوه من الفتوح ولا القيام بما أسسه من المشاريع، ولكن وزيره " محمد باشا صقللي "<sup>(٢٥٤)</sup> كان حكيما، محنكا في السياسة والحرب، فمنع الدولة من الفشل- ذلك شأن الدولة الاستبدادية- إنما تقوم بشخص ملكها وتكون كما تكون<sup>(٢٥٥)</sup>، فإذا كان حازما، عاقلا سعدت وأفلحت، فإذا خلفه ملك ضعيف، ضعفت وتقهقرت.

وفي أيامه، عقد الصلح بين " الدولة العلية " والنمسا " ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨م، ومن شروطه حفظ النمسا أملاكها في المجر، وأن تدفع جزية سنوية، وتتعترف بتبعية " الفلاخ " و " البغدان "<sup>(٢٥٦)</sup> و " ترانسلفانية " للدولة العثمانية. وفي أيامه أيضا فتحت " قبرس "، وكانت تابعة " للبنديقية " ففتحها " بيالي باشا " سنة ١٥٧١م وجرت في أيامه واقعة ليبانت<sup>(٢٥٧)</sup> البحرية، غلب فيها العثمانيون، وكانت خسائرهم فاحشة.

أما من جهة مصر، فإن السلطان " سليما " المذكور حالما بلغه موت " محمود باشا " أمر بنقل " سنان باشا " من باشوية حلب إلى باشوية مصر<sup>(٢٥٨)</sup>، وبعد وصوله إليها بتسعة أشهر، أمره بالزحف على اليمن فبرح مصر في ٤ شوال سنة ٩٧٦هـ (١٥٦٩م) ومعه " حمزة بك " و " ماماى بك " وغيرهما من أمراء مصر، واستخلف على مصر " اسكندر باشا الشركسي "<sup>(٢٥٩)</sup> ومكث " سنان باشا " في تلك الحملة سنتين و٤ أشهر، فتح اليمن وعاد ظافرا إلى مصر، فرأى الأحوال هادئة، والنظام مستتباً بدراية " اسكندر باشا " المذكور [ص/٨٠] لأنه كان حكيما، محبا للرعية، فرفع

للضرائب عن الفقراء والعاجزين، وللقسم الأعظم من طلبة العلم، وكان شديد التعلق بالعلم وبنوئه.<sup>(٢٦٠)</sup>

فلما عاد " سنان باشا" إلى مصر ( أول صفر سنة ٩٧٩هـ ) ١٥٧١م عادت أحكامها إلى يده، فاهتم بتأييد النظام، حفظ رونق البلاد، فأعاد حفر ترعة الإسكندرية، ورمم وبنى فيها جامعا وشارعا وعدة حمامات، وبنى في " بولاق" " بمصر " شارعا ووكالات، وجامعا لا يزال معروفا باسمه، وما زال على مصر إلى ذي الحجة سنة ٩٨٠هـ<sup>(٢٦١)</sup>، فخلفه " حسين باشا" وكان على جانب من اللطف والدعة وحب العلم الأدب، ولا يعاب إلا لكثرة حلمه<sup>(٢٦٢)</sup> الأمر الذي أدى إلى تكاثر اللصوص في ولايته، ولم يحكم إلا سنة وتسعة أشهر، وفي أيامه توفي السلطان " سليم الثاني" في ٢٨ شعبان سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) بعد أن حكم ثماني سنين وخمسة أشهر و١٩ يوما. وهذه صورة نقوده ضربت في حلب سنة ٩٧٤هـ<sup>(٢٦٣)</sup>.

#### ٤- سلطنة " مراد بن سليم"

من سنة ٩٨٢ - ١٠٠٣هـ أو من ١٥٧٤ - ١٥٩٤م<sup>(٢٦٤)</sup>

هو " مراد الثالث" ولد سنة ٩٥٣هـ (١٥٤٦م) فلما تولى الملك لم يكن منه يتجاوز الحادية والثلاثين من عمره<sup>(٢٦٥)</sup>، وكان عاقلا ورعا، وكانت الخمر قد شاع شربها في المملكة العثمانية، وأفرط الجنود فيها، وخصوصا الانكشارية، فأمر ببطال شربها، فثاروا وأجبروه أن يبيح لهم الشرب بما لا يسكرهم، وكان لهذا السلطان خمسة إخوة، فلما تولى الملك، أمر بقتلهم ليأمن منازعتهم إياه على الملك.

#### قتل الإخوة في الدولة العثمانية

وقتل الإخوة لهذا الغرض كان متبعا في الدولة العثمانية إلى ذلك الحين، ولأول من فعل ذلك منهم رابع سلاطينهم " بايزيد بن السلطان مراد"، ( تولى الملك سنة ١٣١٩م)<sup>(٢٦٦)</sup> وكان بكر إخوته وله أخ أصغر منه معروف بالشجاعة، وللنجدة وعلو الهمة، فخلف منه على سلطته، فأجمع الأمراء على قتله، خوف الفتنة، وانقسم المملكة، ويقال إنهم فعلوا ذلك بفتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك العهد بناء على الآية " والفتنة أشد من القتل"<sup>(٢٦٧)</sup> وأصبح قتل الإخوة قاعدة يرجع إليها العثمانيون عند

الحاجة، فكان السلطان حالما تقضى إليه السلطنة بعد موت أبيه، يعمد إلى قتل إخوته ولو كان بعضهم رضيعا كما فعل السلطان " محمد الفاتح" وكان له أخ رضيع اسمه " أحمد " فلما مات أبوهما وأفضت السلطنة إلى " محمد فأول شئ باشره، نقل جثة أبيه لتدفن في بورصة، ثم أمر بقتل أخيه.

[ص/٨٢] ولما صارت السلطنة إلى السلطان " سليم الفاتح" عين ابنه " سليمان" حاكما على القسطنطينية، وحمل بجيوشه إلى آسيا لمحاربة إخوته، حتى يتفرغ لأعماله بعد قتلهم، ولا يبقى من ينازعه. وكان من جملة أعماله في هذا السبيل، أنه عثر على خمسة من أولاد إخوته في بورصة، فأمر بقتلهم ثم طارد أخاه " كركود" (٢٦٨) حتى قتله كما تقدم، وكذلك فعل السلطان " مراد " بقتل خمسة أخوة حالما تولى الملك كما رأيت.

وأفزع من ذلك كله ما فعله السلطان " محمد الثالث" الآتي ذكره، فقد آلت السلطة إليه سنة ١٥٩٥م وله تسعة عشر أبا غير الأخوات، فأمر بختفهم ودفنهم من تجاه جامع أيا صوفيا في الأستانة.

وكان هذه المبالغة في الفتك أفضت إلى رد الفعل بإبطال هذه العادة الوحشية، فلما انتقلت السلطنة بعد " محمد " المذكور إلى ابنه " أحمد الأول" سنة ١٦٠٣، ولم يكن سنه يتجاوز الرابعة عشر، ولكنه كان عاقلا، وله أخ صغير اسمه " مصطفى" فلم يقتله، بل اكتفى بالحجر عليه أثناء سلطنته، فأصبح السلاطين بعده يعولون بالاحتفاظ بسلامة سلطتهم على الحجر بدلا من القتل، والفضل في ذلك يرجع إلى السلطان " أحمد" المذكور.

وله بدعة أخرى أدخلها في توارث الملك، لم تكن من قبل، وذلك أوصى بالملك بعده لأخيه " مصطفى" المشار إليه بدلا من أن يوصى به لأحد أولاده، كما كان أسلافه يفعلون، فبعد أن كان الملك ينتقل إلى الأبناء بالتسلسل في الأعقاب، صار ينتقل [ص/٨٣] إلى الإخوة أيضا، الأرشد فالأرشد، إلا ما قد يعترض ذلك من نفوذ الانكشارية، أو دسائس الوزراء، أو غير ذلك، فالعرش العثماني مازال ميراثه محصورا في الأبناء من السلطان عثمان الأول إلى أحمد الأول، ثم صار ينتقل إلى الإخوة أيضا ولا يزال، فلنرجع إلى ترجمة السلطان " مراد".

وفي أيام السلطان " مراد" دخلت بولونيا<sup>(٢٦٩)</sup> في حماية للدولة العثمانية، وجرت حرب مع دولة الفرس، ودخل العثمانيون " تبريز"، وهي للمرة الرابعة لدخولهم فيها.

وفي أيامه، توفي الصدر الأعظم " محمد باشا صقلى" وكان قد حافظ على سيادة الدولة، وتمكن بسياسته من إبرام الصلح مع دول أوروبا، وإنشاء عمارة بحرية بعد واقعة ليبانت، فكوفئ على خدماته بالقتل، بسبب سمات حاشية السلطان فكان<sup>(٢٧٠)</sup> موته ضربة على الدولة، وتكاثر تبديل الصدور بعده.

### أحوال مصر في أيامه

لما مصر، فولى عليها بدلا من " حسين باشا" مسيح باشا" وكان خزاندرا عند السلطان " سليم الثاني"، فحكم في مصر خمس سنوات وخمسة أشهر ونصف<sup>(٢٧١)</sup>. ووجه اهتمامه خصوصا إلى إبطال السرقات والتعديات، فكان يقبض على اللصوص ويقتلهم بدون شفقة حتى بلغ عدد من قتل من اللصوص عشرة آلاف<sup>(٢٧٢)</sup>، فارتاحت البلاد من شرورهم، ثم عكف على إصلاح شئون الرعية، وكان نزيها لا يقبل الرشوة ولا الهدية.

ومن آثاره مسجد عظيم في ضواحي القرافة لا يزال يعرف باسمه، وقد بناه على اسم الشيخ " نور الدين القرافي"<sup>(٢٧٣)</sup> وجعله له ولنسبه ملكا حرا، وخصص [ص/٨٤] دخلا معيناً للنفقة عليه، وأمر " مسيح باشا" أن تستهل الأوامر والكتابات الرسمية والأحكام بهذه العبارة " الحمد لله ، وللصلاة والسلام على نبينا وآله وصحبه، إن للمؤمنين إخوة ، احفظوا السلام بين إخوانكم وبقوا الله".

وفي سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) وفي مصر " حسن باشا" للخادم خزاندرا للسلطان " مراد الثالث" فلم يكن همه إلا جمع الأموال بلية وسيلة كانت، وإعادة ما كان حظره سابقه من الرشوة والهدايا، فبقي على ولاية مصر سنتين وعشرة أشهر<sup>(٢٧٤)</sup>، ولما عزل عنها سار من القاهرة خفية، وطلع من باب المقابر، لئلا ينتقم منه أهلها.

وفي سنة ٩٩١هـ (١٥٨٣م) ، خلفه " إبراهيم باشا" فأخذ يستطلع ويتحرى ما أتاه سابقه من الاختلاس، فجعل في جامع السلطان " فرج بن برقوق" موظفا خصوصا لاستماع شكيات المتظلمين على الوالي السابق من ١٠ رجب من تلك

السنة إلى غاية رمضان<sup>(٢٧٥)</sup> فاطلع على مظالم لا تحصى، من جملتها ١٠٠٤ أوردب قمح من الشئون العمومية، باعها " حسن باشا" واستولى على قمتها، فرقع إبراهيم باشا تقريراً مدققاً بشأن ذلك إلى السلطان، فأمر بقتله شنقا<sup>(٢٧٦)</sup>.

ثم طاف " إبراهيم باشا" بنفسه يتفقد أحوال المديریات ويتحقق حالتها وزار أيضا آبار " أمرد" في الصحراء<sup>(٢٧٧)</sup>.

وتولى مكانه " سنان باشا الثاني" وكان دفترداراً، وبعد ستة أشهر وعشرين يوماً<sup>(٢٧٨)</sup>، برح مصر هارباً، وسبب ذلك أنه ساء التصرف، فاشتكاها الناس إلى الأستانة، فجاء " أويس باشا" إلى مصر ليتحرى [ص/٨٥] تلك التثكيلات، فحالما علم " سنان" بمجيئه فر هارباً.

فتولى " أويس " حكومة مصر سنة ٩٩٤هـ<sup>(٢٧٩)</sup>، وكان صارماً في الأحكام، وكان في أول أمره قاضياً، ثم صار دفترداراً في الروملي، ثم نقل إلى باشوية مصر، وبقي عليها خمس سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام، وأراد أن يدرب الجنود، فعصوه، وهجموا عليه في الديوان في ٢٨ شوال سنة ٩٩٧هـ (١٥٨٨م) ونهبوا بيته، وفي جملة ما نهبوا منه ساعة كبيرة، تعرف منها الأيام، ثم ذهبوا الأمير " عثمان" قائد وجاق الجاوشية، وأخربوا بيت قاضي العسكر، وقتلوا قاضيين من قضاة مصر، ثم عمدوا إلى الحوانيت، فنهبوها، كل بذلك والأمراء لا يستطيعون منعهم، والاضطراب يزداد، والثائرون يتمردون، وقد حاول الدفتردار إيقافهم عند حدهم، فذهب سعيه باطلاً.

ثم ظن " أويس باشا " أنه إذا جاءهم بالحسنى ربما يلينون، فبعث إلى القضاة أن لا يخالفوا لهم أمراً، فم يزدحم ذلك إلا عنادا وفجورا حتى قبضوا على أولاد الباشا رهن<sup>(٢٨٠)</sup> لما يريدون، فاضطر الباشا إلى الإذعان لما أرادوه وأعطاهم ما طلبوه<sup>(٢٨١)</sup> واستقال<sup>(٢٨٢)</sup> من تلك الولاية بعد أن مل من خيبة مساعيه الحميدة فيها.

فتولى مكانه " حافظ أحمد باشا" سنة ٩٩٩هـ (١٥٩١م) وكان حاكماً في قبرص، وعلى جانب من عظيم من حب العلم وطالبه حاذقاً، مدرساً في أمور الأحكام، وكان رفيقاً بالأهلين، ففرق الحسنات على الحجاج للفقراء، وبنى في بولاق وكالتين وعدة قيصرات وعدة بيوت، وخصص ريع دخلها لعمل الخير، وبقي حاكماً أربع سنوات<sup>(٢٨٣)</sup> [ص/٨٦] وفي سنة ١٠٠٣ (١٥٩٥م) توفي للسلطان "مراد"<sup>(٢٨٤)</sup>

## ٥- سلطنة " محمد بن مراد "

من سنة ١٠٠٣ - ١٠١٢ أو من ١٥٩٤ - ١٦٠٢م (٢٨٥)

ولد هذا السلطان سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٧م) فتولى الملك وهو في الرابعة والأربعين<sup>(٢٨٦)</sup> من عمره، وكان له ١٩ أبا أمر بخنقهم كما تقدم ، ومما يذكر له أن السلاطين تقدموه<sup>(٢٨٧)</sup> ( مراد وسليم الثاني ) كانوا قد تقاعدوا عن قيادة الجند في ساحة الوغي، فرأى ذلك قد أضرب بسطوة الدولة، فعاد هو إلى تولى تلك القيادة بنفسه، وكان لذلك تأثير كبير في سياسة الجنود وثباتهم، ففتح قلعة " أورلو " الحصينة، وكان للسلطان " سليمان " قد عجز عن فتحها<sup>(٢٨٨)</sup>.

## أعماله في مصر

[ص/٨٧] أما مصر ، فولي عليها " قورط باشا " <sup>(٢٨٩)</sup> ، فلم يبق فيها إلا سنة وثمانية أيام، وكان الناس يحبونه للطفه ودعته وتشيطه لطالبي الأدب، ومساعدته للفقراء ولكل من يلجئ إليه.

وفي شوال سنة ١٠٠٤هـ <sup>(٢٩٠)</sup> خلفه السيد " محمد باشا " وبقي على الحكومة سنتين، لتبع في أثنائها خطة أسلافه في تنشيط العلم والأدب، فأعاد بناء الجامع الأزهر، وجعل فيه وظائف يومية من العدس المطبوخ، تُفَرَّق في الطلبة للفقراء، ورمم المشهد الحسيني، ومع كل ما كان يتوخاه في السعي في حفظ للنظام مع الأهلين، لم يمكنه من إيقادهم من ثورة عسكرية، أنتشبت في غرة رجب سنة ١٠٠٦هـ <sup>(٢٩١)</sup> في سائر أنحاء القطر المصري<sup>(٢٩٢)</sup>.

ثم اجتمع العصاة في القاهرة، وكان السيد " محمد باشا " إذ ذلك في منزله في بركة الجيزة، فعاد إلى القاهرة تحف به السناجق وزمرة من الخفراء، فلم يبال العصاة بذلك ، بل أطلقوا عليه النار، ولم يتخلص من أيديهم إلا بعد<sup>(٢٩٣)</sup> شق الأنف فسار إلى أحد منازل ، فقبوه وحاصروه هناك ليلا ونهارا، وألحوا عليه أن يسلمهم بعضا من ضباطه، وفي جملة " دالي محمد " <sup>(٢٩٤)</sup> أحد كبار الأمراء، والأمير الجلال " السوباصي " <sup>(٢٩٥)</sup> والأمير " خضر " كاشف المنصورة، فطلب إليهم أن يمهلوا ثلاثة أيام.

فلما جاء رسوله، قالوا له " سيحكم الله بيننا وبين مولاك" وتفرقوا في المدينة، فظفروا بقاضي العسكر " عبد الرؤوف" فأجبروه على القيام بمطالبهم، اما الباشا فاعتتم اشتغالهم بذلك الشأن، وفر إلى منزله ودخل القلعة وأقل أبوها وراءه، والتجأ إلى " حسين باشا السكراني" قائد عموم الجيش و" بييري بك" أمير الحج، فحاولا تسكين الثورة، فذهب سعيهما عبثا [ص/٨٨]، ثم علما أن العصاة قتلوا " محمد بك" و" الدالي محمد" وعلقوا رأسيهما على باب زويلة، ونهبوا بيئتهما، وأخذوا في الناس قتلا ونهبا<sup>(٢٩٦)</sup>.

وفي ١٧ ذي الحجة سنة ١٠٠٦هـ<sup>(٢٩٧)</sup>، أبدل السيد " محمد باشا" بخصر باشا<sup>(٢٩٨)</sup> فحكم ثلاث سنوات و١٢ يوما، وقد أغضب الأهلين منذ وصوله القاهرة، لأنه أمر بقطع الأعطيات والجرابات التي كانت توزع على العلماء والفقراء من الحنطة، ولم يقتصر على الإيقاع بهؤلاء الضعفاء، بل تجاوزهم إلى الضابطية فأحرمهم زادهم، فتجمهروا في ٢٠ رمضان سنة ١٠٠٩هـ<sup>(٢٩٩)</sup>، وساروا إلى قاضي العسكر، ثم اتحدوا والقاضي في مقدمتهم، وتوجهوا إلى الديوان يريدون الانتقام، فقتلوا " كخيا باشا" وأمرأ آخرين، فخاف الباشا فسلم لهم بما كانوا يطلبونه، وأعاد الأعطيات كما شاءوا وخمدت [ص/٨٩] الثورة وعادت الحياة إلى مجاريها<sup>(٣٠٠)</sup>، إلا أن الباشا لم يلبث هنيهة حتى جاءه الأمر بالإقالة<sup>(٣٠١)</sup>، فاستقال، وولي مكانه الوزير " على باشا السلحدار" وكان محبا للحرب ولذلك كان يكرم الجند على الخصوص، ولكنه كان سفاكا للدماء، فتظلم الناس من قسوته، ولم يكن يخرج في موكبه إلى المدينة أو ضواحيها إلا ويميت على الأقل عشرة أشخاص تحت حوافر جواده، فكان الناس يرتعدون خوفا من ذكر اسمه، ورافق ذلك جوع عظيم فكثرت الوفيات وعم الخراب، فازداد الرعب حتى أمر الباشا أن تكفن الموتى سرا.

أما هو، فترك القاهرة فرارا من تلك الغائلة<sup>(٣٠٢)</sup> واستخلف عليها" بييري بك"<sup>(٣٠٣)</sup> وبعد يسير، توفي هذا فانتخب السناجق الأمير " عثمان بك"<sup>(٣٠٤)</sup> ليقوم مقامه، وبقي هذا حتى عين للباب العالي من يخلف " على باشا" وكان ذلك التغيير بسبب وفاة السلطان " محمد الثالث" في ٦ رجب سنة ١٠١٢هـ<sup>(٣٠٥)</sup>.

[٩٠] ٦- سلطنة أحمد بن محمد

من سنة ١٠١٢-١٠٢٦هـ لُو من ١٦٠٣-١٦١٧م

ولد هذا السلطان في سنة ٩٩٨هـ (١٥٩٠م) فتولى الملك وهو في الرابعة عشرة من عمره عندما نفي ، وقد خالف من تقدمه من السلاطين بقتل إخوتهم<sup>(٣٠١)</sup> كما تقدم.

وولي على مصر " إبراهيم باشا" فحكم فيها مدة قصيرة<sup>(٣٠٧)</sup>، انتهت بخطب جسيم، وذلك أنه منذ وصوله إليها، عزم على إبطال طلبات الجند، ولما أراد إنقاذ ما نواه، زادت الجنود تمردا.

وفي ربيع آخر سنة ١٠١٣هـ<sup>(٣٠٨)</sup> علموا أن الباشا خرج من القاهرة فسي زمرة من رجاله، وركب النيل إلى بولاق قاصدا شبرا قرب جسر أبي المنجاء، فاجتمعوا في ضواحي القرافة، وتعاقدوا بالأيمان المظظة على قتله. وفي الصباح التالي<sup>(٣٠٩)</sup>، جاؤا وعسكروا في بولاق ينتظرون عودته، ثم قاموا من هناك يريدون مهاجمته في قلعة الدولاب، وكانوا قد علموا بالتجائه إليها، فلما علم هو ومن معه من السناجق بقدوم تلك العصابة تشاوروا فيما بينهم، فنصح له السناجق أن يسافر بحرا قبل أن يصل إليه ضيم فلم يصغ لهم وتشد بمن معه من الجاوشية والمتفرقة.

ثم جاءت الجنود الثائرة وأحاطوا بالقلعة وبعثوا من بينهم ٥ رجلا ليأتوا برأس الباشا، فدخل هؤلاء القلعة والسيوف مشرعة في أيديهم حتى جاؤا مجلسه، فانتهرهم قائلا : " ماذا تريدون؟ ألم تستولوا على مرتباتكم والأنعام الذي يعطى اعتياديا عند تولية الحكام عليكم؟ فماذا تطلبون؟ " فأجابوه: " لا نطلب شيئا إلا رأسه" قالوا هذا وصفه أحدهم على وجهه ولذركه للباقيون [ص/٩١] بالطعن، مرارا ، ثم عمد أحدهم إلى رأسه، فقطعه<sup>(٣١٠)</sup>، فانتهرهم " محمد بن خسرو<sup>(٣١١)</sup> ووبخهم على ما جازوا به من اللقحة فلم يجيبوه إلا بما أجابوا ذلك، وأخذوا رأسي الاثنين، وعلوا بهما أي رفاقهم حول القلعة، ثم حملوهما، وداروا بهما شوارع المدينة إلى أن علقوها على باب زويلة ( معرض الرؤوس!) وكان قد تعود مثل هذا<sup>(٣١٢)</sup> الأكليل<sup>(٣١٣)</sup>.

وفي ذلك اليوم ، أقاموا عليهم " عثمان بك" فلم يقبل ، فولوا قاضي العسكر "مصطفى أفندي"<sup>(٣١٤)</sup> فلما علم ديوان الأستانة بقتل " إبراهيم باشا" أرسل

عوضا عنه الوزير " محمد باشا الكورجي" الملقب "بالخادم"<sup>(٣١٥)</sup> وحال وصوله القلعة، وردت الأوامر الصارمة من الباب العالي إلى جميع السناجق أن يستطلعوا أصل الثورة وأسبابها ، ويقبضوا على زعمائها، فاجتمع السناجق وللقسم الأعظم من الجيش في قرلميدان<sup>(٣١٦)</sup>.

وكان الباشا في القلعة، فبعث يستقدم السناجق إليه، [ص/٩٢] ليلينهم هذه الأوامر، ووعدها السناجق إنهم إذا سلموا القتالين نجوا ونالوا العفو العام، فقبلوا وسلموا القتالين إلى الباشا، فأمر بقطع أعناقهم<sup>(٣١٧)</sup> بين يديه، وأطلق السناجق، فخاف الثائرون، وضعف عزمهم، ولا سيما لما رأوا من " محمد باشا" التيقظ لحفظ النظام ومعاقبة المعتدين، وقد قتل منهم نحوا من مائتي رجل في مدة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز سبعة أشهر وتسعة أيام<sup>(٣١٨)</sup>.

فتولى بعده الوزير " حسن باشا" وهو أقل صرامة من سلفه، فكان يعامل الجند بالحسنى، وكان ابنه فيهم برتبة بكربكي<sup>(٣١٩)</sup>، وكانت الأحوال هادئة جدا فسي أثناء حكمه<sup>(٣٢٠)</sup>.

ثم تولى بعده الوزير " محمد باشا"<sup>(٣٢١)</sup> في ٧ صفر سنة ١٠١٦هـ<sup>(٣٢٢)</sup> وبقي على حكومة مصر أربع سنوات وأربعة أشهر و١٢ يوما، وكان حكيما حلزما، أخذ منذ وصوله القاهرة في المحافظة على السلام، فنجي الأهلين مما كان يكدر راحتهم، فاكتسب ثقتهم ومحبتهم، إلا أنه لم ينج من الحساد وذوي الأغراض.

وفي أواخر شوال من السنة التالية، ثارت عليه الجيوش، واجتمعوا في برج " السيد أحمد البدوي" تحالفوا أن لا يوافقوه على إلغاء الضرائب غير العادلة التي كانت مضروبة على القطر إلى ذلك العهد، ثم اختاروا من بينهم رئيسا ولوه عليهم سلطانا، وتقاسموا مصر إلى أقسام، تولى كل واحد منهم إثارة الشغب والنهب في قسم منها، فانتشرت تعدياتهم في جميع الدلتا، فلما علم " محمد باشا" بذلك [ص/٩٣] جمع السناجق" الجاوشية المتفرقة"<sup>(٣٢٣)</sup> " وسار بهم تحت قيادته لردع العصاة في ٩ ذي الحجة سنة ١٠١٧هـ<sup>(٣٢٤)</sup>، وأخذ معه ستة مدافع، وانضم إليه كثير من مشايخ العرب، وفي الليلة التالية، عسكر الجميع في بركة الحج.

وفي الصباح، هاجموا العصاة في الخانقاه، فضيّقوا عليهم بالنيران، فاضطر أولئك إلى التسليم، فأخذ الباشا عهدا أولها أن يسلموا إليه سلطانهم وكبار رؤسائهم،

ووعدهم بالتأمين على حياتهم، فقبلوا وسلموا للرؤساء وعددهم نحو ٧٧، فأمر بقتلهم حالا، ثم جرد الباقين من سلاحهم، فتفرقوا، فتعقبهم رجال الباشا، وقتلوا من ظفروا به منهم (٣٢٥).

فلما رأى قاضي العسكر " محمد أفندي" الملقب "بيختي زاده" ما كان يحصل من أمثال هذه المذابح يوميا، نصح للباشا أن ينفي كل من يقبض عليه منهم إلى اليمن، ففعل، وكانت النتيجة حسنة، وبطلت التعديت.

ولما ارتاح " محمد باشا" من تلك الثورات، أخذ في إصلاح الإدارة المالية، ففحص بنفسه النفقات التي كان تنفق من الخزينة، واقتصد منها كل ما لم يكن ضروريا، ثم نظر إلى الضرائب، فأبطل طريقة المماليك للشراسة فيها، واتبع القوانين التي صدرت سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م) في زمن السلطان " سليمان القانوني"، ثم نظم المكوس وعدلها، ولم يكن يكلف نفسا إلا وسعها، فإذا رأى أرضا لا تقوى على القيام بما فرض عليها من المكوس، تنازل لها عنه وساعدها في إجاء مواتها (٣٢٦).

ولما برح مصر (٣٢٧) [ص/٩٤] نال من المكافآت والإنعامات ما لم ينله أحد من أسلافه في مصر.

وتولى بعده " محمد باشا" الملقب " بالصوفي" وكان يحب للعلماء ورجال الفضيلة، وكان ورعا، حلما، عفيفا، لم يقبل رشوة، ولم يأت ظلما، إلا أنه كان ملوما لزيادة ضعفه بما يتعلق بمحبوبه يوسف الذي كثيرا ما تعدى حده (٣٢٨).

وفي سنة ١٠٢٢هـ (١٦١٣م) أرسل للصدر الأعظم عشرة آلاف جندي إلى اليمن، لإخماد ما كان ثائرا من الشعب هناك، وأرسلت الفرقة المذكورة عن طريق مصر ومعها أمر سام إلى الباشا بدفع النقود اللازمة لها، وتشجيع الحملة إلى اليمن (٣٢٩).

فلما وصلت الجيوش إلى مصر، وعلموا بما ورد من الأوامر بشأنهم، ادعوا أنهم جاعوا ليقيموا في مصر، ولم يدعوا لأوامر الباشا بالسفر، فاتخذوا لهم منازل في مخازن باب النصر، وطردوا بعض أصحابها منها، فاجتهد الباشا أن يحملهم على التسليم بالأوامر الواردة إليه بشأنهم، فذهب سعيه باطلا، وأقاموا للمتاريس في أبواب الحارة، وأقفلوا باب النصر، ونصبوا للمدافع في برجيه، فاضطر الباشا إلى

محاصرتهم بكل ما لديه من الوجاقات والمدافع، فتمكن الأمير " عابدين بك" من الدخول إلى حصنهم من باب في المدرسة المدعوة بالجنبلاطية، فخاف العصاة وسلموا، ففرق فيهم الباشا ثمانين كيسا وسافروا.

وبعد يسير أليل " محمد باشا" (٣٣٠) الصوفي فاعتزل في قبة العنلية، ولم يبرحها إلا بعد أن علم بوصول خلفه " أحمد باشا" فترددار مصر سابقا إلى الإسكندرية، ثم جاء القاهرة ودخلها بموكب حافل [ص/٩٥] وبينما هو بموكبه في المدينة، رماه بعض الناس بحجر من سطح بعض البيوت، فكسر الهلال الذي كان فوق عمامته، ولم يؤذه، فأمسك الفاعل، فاعترف بنذبه، فقتل في ذلك المكان. (٣٣١)

وفي محرم سنة ١٠٢٥ (٣٣٢)، ورد إلى الباشا المذكور أمر من الأسفانة أن يرسل ألفا من جنود مصر لتنضم إلى الجيش العثماني الذاهب لمحاربة الفرس، فأرسلهم تحت قيادة " صالح بك" أمير الحج، فساروا على أتم نظام، ومروا بالمديريات، ولم يشعر الأهالي بمرورهم لما كان لهذا الباشا من النفوذ، وما أقامه في مصر من النظام مع إعطائه الجيوش حقهم من المرتبات، ولم يكن يتيسر قبل ذلك مرور مائة رجل بمقاطعة واحدة ما لم ينهبوها، فالتقت هذه الفرقة بالجيش العثماني في خانقاه، وانضمت إليه، ولما ودع الباشا عساكره، فرق فيهم المال، فأصاب الواحد ٢٠ ديناراً على الأقل (٣٣٣).

[ص/٩٦] وكانت مدة حكم " أحمد باشا" سنتين وعشرة أشهر واثنى عشر يوماً (٣٣٤)، ولم يقتل في أثنائها أكثر من عشرة أشخاص ارتكبوا أمورا، استوجبوا من أجلها للقتل ولم يكن يحكم على أحد إلا بعد البحث الدقيق واستماع تقارير الدعوي من الطرفين.

#### ٧- سلطنة (٣٣٥) مصطفى بن محمد

من سنة ١٠٢٦-١٠٣٢ هـ أو من ١٦١٧-١٦٢٣ م

تولى هذا السلطان كرسي السلطنة وهو في الخامسة والعشرين من عمره (٣٣٦)، قضى معظمها في دار الحريم، ولم يمارس شيئا من أمور المملكة، فاستضعفه رجال الدولة، فتأمروا على خلعه، فخلعوه (٣٣٧)، وولوا مكانه " عثمان الثاني بن السلطان أحمد" ثم تغير الانكشارية على السلطان، فخلعوا " عثمان" (٣٣٨)

وأعادوا " مصطفى " وكان بذلك أول عهدهم في التولية والعزل، ثم صار ذلك عادة جروا عليها مع سائر السلاطين، إذ صار الأمر لهم في التولية والعزل.

أما مصر في أثناء ذلك ، فاستبدل وليها " أحمد باشا " بـ" مصطفى لفاكى " (٣٣٩)، ولم يبق على مصر بعد خلع السلطان الذي ولاه إلا بضعة أشهر، لأنه سهل النفوذ لنويه في الأحكام. فنشأت ثورة عسكرية في ٧ اثنوالم سنة ١٠٢٧هـ (٣٤٠)، فقتل الثائرون عدد كبيراً من الأمراء الأوغات وغيرهم من الكبراء، واضطر الباقون إلى الفرار، ولم يسكن الاضطراب إلا بعزل " مصطفى باشا " بأمر السلطان " عثمان " (٣٤١).

فتولى مكانه الوزير " جعفر باشا " وهذا لم تطل حكومته أكثر من خمسة أشهر ونصف، وكان محبا للعلم والعلماء، يجمع إليه رجال الألب، ويكرم مثواهم، ولم يهتم كل تلك [ص/٩٧] المدة إلا بما فيه منفعة البلاد وراحة للعباد. وظهر في أيامه وباء انتشر في مصر ، وفتك بأهلها فتكا، نريعا من غاية ربيع الأول سنة ١٢٠٨ (١٦١٩م) إلى غاية جمادى الثانية من السنة المذكورة، وقد لوحظ أن معظم الذين ماتوا بهذا الوباء شبان بين الخامسة عشرة والعشرين من أعمارهم، وبلغ عدد من توفي بسببه ٣٦٥.٠٠٠ نفس.

وتولى بعد " جعفر باشا " مصطفى باشا (٣٤٢)، فقبض على " مصطفى بك " الملقب " بالبيكاجى " زعيم الثورة التي نشأت في أيام " مصطفى باشا لفاكى " (٣٤٣) ، وحكم عليه بالإعدام، فسر الثاني بذلك لأن " مصطفى " المذكور كان أصل متاعبهم، على أن سرورهم لم يلبث أن ظهر حتى أبطل بالكر (٣٤٤)، لأن " مصطفى باشا " حاكمهم الجديد، اضطهد تجارهم وضيق عليهم مسالك رزقهم، فرفعوا تظلماتهم إلى السلطان، فنظر في دعواهم، وألصفهم، فعزل ذلك الباشا (٣٤٥)، وولى " حسين باشا " فبادر هذا إلى إبطال جميع الضرائب غير العادية التي كان قد ضربها (٣٤٦) منلفه.

وفي أيامه ارتفع النيل ارتفاعا فوق العادة فطاف على الأرض، وأغرقها حتى يس الناس من البقاء لنهاية ذلك الطوفان، وأصابهم ضيق شديد أعقبه طاعون فتالك.

ثم عزل " حسين باشا" (٣٤٧) واستقدم إلى الأستانة، وقبل وصوله إليه خلع السلطان " عثمان الثاني" وأعيد " مصطفى الأول" سنة ١٠٣١ (١٦٢٢م) الذي كان قبله.

لما الباشا المعزول، فوصل إلى الأستانة في أسعد الأوقات له، لأن إعراض السلطان السابق عنه، كان داعيا لرغبة السلطان الجديد في تقريبه منه، فاتفقت الأحزاب هناك على توليته الصدارة العظمى (٣٤٨).

وكان " عثمان الثاني" قبل وفاته، قد بعث إلى مصر " محمد باشا" بدلا من " حسين باشا" [ص/٩٨] ، لكنه لم يصل مصر إلا بعد أن أنبئ (٣٤٩) أهلها بما كان يأتيه في الروملي يوم كان واليا عليها، فنفروا منه وخافوا من تصرفه. ولحسن حظهم لم يبق بينهم إلا شهرين ونصف شهر.

فلما تولى " حسين باشا" الصدارة، عزله بأمر السلطان " مصطفى الأول"، وولى " إبراهيم باشا" (٣٥٠) وبقي هذا على مصر سنة، وقد تمكن بحسن سياسته وتدبيره من اكتساب رضى الأهلين وتقتهم إلا أنه حصل في أيامه ضيق عيش، وغلث أسعار المأكولات جدا.

ولما عزل " إبراهيم باشا"، سار إلى الإسكندرية بحرا خلافا للعادة الجارية في من سبقوه على حكومة مصر، فإنهم كانوا إذا عزلوا من مناصبهم، سافروا برا. وتولى مكانه " مصطفى باشا" واستلم زمام الأحكام من ٢٢ رمضان سنة ١٠٣٢هـ (٣٥١) فأتاه كتبة الديوان يشتكون تصرف سلفه، وقالوا إنه مدين للخزينة بمبلغ وافر، فأرسل في إثره بعض الجاوشية، فالتقوا به، فهدهم بالقتل إذا لم يعودوا عنه فخافوا وعادوا إلى القاهرة، فأرسل الأمير " صالح بك" فأدركه وقد نزل البحر في الإسكندرية، فأوعز إليه أن يقف، فأجاب إنه متوجه إلى الأستانة، فإذا كان عليه شئ يدفعه هناك إلى السلطان نفسه، قال ذلك ونشر الشراع، فمخرت السفينة به فأطلقوا عليه من طابطة منارة الإسكندرية بعض الطلقات المدفعية فلم يبال بها (٣٥٢)

[٩٩] ٨- سلطنة " مراد بن أحمد "

من سنة ١٠٣٢-١٠٤٩هـ لو من ١٦٣٣<sup>(٣٥٣)</sup>-١٦٤٠م

ولد السلطان سنة ١٠١٨هـ (١٦١٢م)، فتولى الملك وعمره دون الحادية عشرة سنة<sup>(٣٥٤)</sup> ولاء الانكشارية ليكون طوع لراحتهم، فاستأثروا بالدولة وعاقوا فيها سادا، فانتهز للشاه " عباس " ملك الفرس اختلال أحوالهم لتوسيع أملاكه، فتمكن من فتح بغداد، وازدادت الأحوال اضطرابا، وثار الانكشارية حتى قتلوا للصدر الأعظم " حافظ باشا ".

مضت عشر سنوات والدولة في تفقر وضعف، حتى شب السلطان وقبض على مهام الحكومة، فحمل على بلاد فارس بنفسه على جيشه، استرجع بغداد<sup>(٣٥٥)</sup> وفتح أريوان<sup>(٣٥٦)</sup>، وبلغه أن أخويه " بايزيد " و " سليمان " يدسان عليه، فأمر بقتلهما، ثم استرد الفرس أريوان<sup>(٣٥٧)</sup>.

أما مصر ، فبعد تولية " مصطفى باشا " بثلاثة أشهر أي من ١٥ ذي الحجة، ورد إلى القاهرة، أمر بعزله، وتولية " على باشا " مكانه، فاجتمعت الأجناد وساروا إلى القائمقام " عيسى بك " يطلبون الإعطاءات التي تفرق عند تولية كل وال جديد، فانتهرهم " عيسى بك " قائلا : " في كل ثلاثة أشهر تجدون هذا الطلبات؟ فأجابوه: وما المانع؟ ، ألم يغير مولانا السلطان كل ثلاثة أشهر واليا علينا؟ ألا يضر ذلك بمصلحة البلاد؟، وإذا أراد أن يولى كل يوم واليا، فنحن أيضا كل يوم نطلب الإعطاءات التي لنا " فحاول القائمقام إقناعهم، فلم ينجح ولم يزد هم ذلك إلا عنادا وتهديدا، وصرخوا جميعهم بصوت واحد: " نحن لا نرضى حاكما غير " مصطفى باشا " ، ويرجع هذا إلى حيث أتى " ثم قرلوا [ص/١٠٠] الفاتحة، وأقسموا أن يحافظوا على ما قالوه، وأن لا يحث أحد منهم بذلك، وبناء عليه أعيد " مصطفى باشا " إلى منصبه.

فلما رأى الحزب العسكري معه، كتب إلى السلطان يطلب تثبيتته، وأرسل للكتاب برسائل عديدة من علماء القاهرة ومشائخها وقضاةها، وجميعهم يطلبون تثبيتته. ثم بلغهم وصول " على باشا " إلى الإسكندرية فبعثوا إليه وفدا يبلغونه أن للجند والأهلين متفقين على رفضه، فجمع الوفد إليه ودفع إليهم كتبا كلها مدح وإطراب

للأمراء والجيوش، فعاد الوفد وقرأ تلك الكتب على الجند، فلم يكن جوابهم إلا إعادة الوفد ليعيدوا مطالبهم الأولى.

فلما رأى إصرارهم، استشاط غضبا، وأمر بالقبض على ذلك الوفد، وقيدوا إلى قلعة الإسكندرية مغلولين، وزجوا في سجنها، فتأمروا مع جند الإسكندرية وكنفوا من حزبهم، فحلوا وثاقهم وهجموا جميعا على " على باشا" وقوضوا خيمته وأجبروه على الخروج من الإسكندرية حالا، فأنزلوه في قارب مخصوص، وأخرجوه من الميناء، وكانت الرياح ضده، فأعادته ثانية، فأطلق عليه الأمير "مصطفى" من قلعة المنارة عدة طلقات تعبت سفينه تقويا لم تغرقها، لكنها أخرجتها من الميناء ولقبت الأمير "مصطفى" من ذلك الحين " بالطبجي" (٣٥٨)

وفي يوم ٢٠ ربيع آخر سنة ١٠٢٣ هـ (٣٥٩)، جاء القاهرة كتاب يحمله الحمام الزاجل - وهو بريد تلك الأيام- فحواه قرب وصول مندوب عثمانى ومعه الأوامر السلطانية.

وبعد أيام وصل ذلك المندوب ودخل القاهرة وجمع السناجق والأمراء وكبار الموظفين في الديوان، وألبس "مصطفى [١٠١] باشا" الخلع المرسلة إليه من السلطان، ثم تلا عليهم فرمان بتبنيته على مصر.

وفي السنة التالية، زاد النيل زيادة فوق العادة، فبلغ ٢٤ ذراعا، فخاف الناس أن لا ينحسر الماء عن أراضيهم في زمن يمكنهم فيه زراعتها، ولكنه أخذ في الهبوط بسرعة، فانكشفت الأرض وزاد خصبها.

### الوباء وبيرام باشا

ولم تكد مصر تنجو من الجوع حتى داهمها ما هو أصعب مراسا منه، يعنى الوباء، فإنه ظهر بها بأوائل ربيع أول سنة ١٠٣٥ هـ (٣٦٠) وأخذ ينتشر في جميع أنحاء بسرعة.

وفي شعبان من تلك السنة، أخذ بالتناقص ولم ينقص إلا في أوائل رمضان قال بعضهم: إن اللذين ماتوا بسبب هذا الوباء ٣٠٠,٠٠٠ نفس، فتذرع الباشا بهذه الضربات لاختلاس أموال الناس، فعجل نفسه وريثا لكل من مات بالوباء من الأغنياء فاستولى على تركاتهم، فتظلم الورثاء إلى الباب العالي، فاغتنم هذه الفرصة وعزله،

وولى "بيرام باشا" (٣٦١)، فجاء مصر وحاكم "مصطفى باشا" وحكم عليه بدفع الأموال التي اختلسها، فباع كل ماله من المتاع والمقتنيات، ودفع ما عليه.

ولما عاد إلى الأستانة (١٠٣٧هـ) (١٦٢٧م) حكم عليه بالإعدام، ولا يخفى أن محاولة الجيوش والأمراء عزل وتولية الباشوات، بمجرد إرادتهم، مخالف للنظام ومغاير لما وضعه السلطان "سليم للفتاح" لكل فئة من فئات مصر للحكمة من الحدود. فكانت موافقة الباب العالي خرقاً للحدود السابقة وعليه فقد حصل بعض للتعديل في القواعد الأساسية التي سنها السلطان "سليم" منذ قرون.

وكان [١٠٢] "بيرام باشا" محبا للعلم والعلماء، لكنه كان أكثر حبا لجمع المال، وإقامة المشاريع المفيدة، وتنشيط التجارة على أنواعها، وأكثر من الضرائب حتى على الصابون، وكان حازما، لم يترك للجند فرصة للتمرد، فهدأت مصر في أيامه.

#### "محمد باشا" و "موسى باشا"

ثم استدعي "بيرام" إلى الأستانة، وعيّن وزيرا في ديوانها، وهذه هي المرة الثالثة لتعيينه في ذلك المنصب (٣٦٢)، فتولى بعده الوزير "محمد باشا"، فسلم الأمور بحكمة ودراية. وكان محبا للعزلة، فلم يخرج بموكبه في أثناء حكمه التي هي نحو المنتين (٣٦٣) إلا ست مرات.

واتصل به ما أصاب اليمن من الشغب للنتاج عن سوء السياسة مع القبائل البدوية، فعرض على السلطان إخضاعها، وتعهد بإرسال فرقة من رجاله بقيادة "قنمو بك" أمير الحج لهذه الغاية، فأجابه السلطان إلى ما طلب، وولى "قنمو بك" على اليمن مع رتبة باشا وجعله بكربكي (أمير الأمراء) على الجيش، فأنشأ "قنمو" جيشا من ثلاثين ألف مقاتل، وقبض مبلغا كبيرا ليدفع منه نفقات الحملة، وبعد أن قبضه، توقف عن السفر وترك جيشه بمصر يسلبون وينهبون ويقتلون الأهليين ويتعرضون للمسافرين.

ولحسن الحظ، كان بين تلك الجيوش ألف رجل من الروملي (٣٦٤) جاؤوا للاشتراك في تلك الحملة تحت قيادة الأمير "جعفر آغا" فأخذوا تلك الثورة وألزموا "قنمو بك" أن يسير بهم إلى اليمن في محرم سنة ١٠٣٩هـ (٣٦٥) فسار وحارب وغاز.

وبعد سبعة أشهر من سفر تلك الحملة ( في ١٩ شعبان )<sup>(٣٦٦)</sup>، طاف على مكة سيل من الماء ، أغرق للقسم الأعظم من أراضيها حتى الكعبة، فهزم السلطان<sup>(٣٦٧)</sup> معظم بناتها، [ص/١٠٣] ولم يبق من جدرانها إلا الأيمن.<sup>(٣٦٨)</sup>

فاتصل ذلك بوالي مصر، فأوصله للسلطان " مراد الرابع" ، فأنفذ السلطان إلى " محمد باشا" يعهد إليه ترميمها ففعل، فبلغت جميع النفقات نحو ستة ألف غرش ( الغرش يومئذ يساوي أربعة فرنكات تقريبا).

وفي سنة ١٠٤٠هـ ( ١٦٣٠م ) كان ارتفاع النيل قليلا، فجاء شهر توت ولم يبلغ ١٦ انراعا، ومع ذلك ، فتح الخليج ، وسبقت المياه قليلة إلى الأرضين ، ولكن البلاد أمنت من الجوع بتدبير " محمد باشا".

وفي هذه السنة، استدعى " محمد باشا" إلى الأستانة، وقلده السلطان منصب الوزارة<sup>(٣٦٩)</sup> مكافأة لحسن سياسته ودرأيته وتولى مكانه في مصر " موسى باشا"<sup>(٣٧٠)</sup> وكان للأهلين في بادئ الرأي ثقة به، وكانوا يحبونه ويجلون قدره، فخرجوا لملاقاته في شبرا، لكنه لم يكد يمكن قدمه، حتى استسلم لهواه، فأخذ في الاختلاس والاستبداد بأنفس العباد، فأمر بقتل أكبر رجال مصر بغير وجه حق، وجعل يراقب سير أغنيائها، ويترصدها خطواتهم، لعله يجد سبيلا للاستيلاء على ثرواتهم.

وفي شعبان من تلك السنة<sup>(٣٧١)</sup>، بعث السلطان يطلب إليه أن يعد حملة من جنده لمحاربة الفرس فجمعها تحت قيادة " قيطاس بك" وضرب على البلاد ضرائب فاحشة باسم إعانة حربية.

ولما وصلت تلك المبالغ إليه، زعم أن مصر لا يمكنها تجريد مثل هذه الحملة لأن مالهاتها لا تسمح لها بدفع النفقات اللازمة، فنصح له " قيطاس" أن يتبع الاستقامة، وهي أفضل له، فذهبت أقواله عبثا، ثم أوجس " موسى باشا" خيفة من قيطاس بك" لأنه اطلع على فظائعه، فاستدعاه إلى [ص/١٠٤] القلعة في عيد الأضحى في ٩ ذي الحجة<sup>(٣٧٢)</sup>، وأمر أربعين من رجاله أن يقتلوه، ففعلوا.

فلما رأى الأميران " كنعان بك" و" على بك" ذلك، دفع الخوف في قلوبهما، وأسرعوا إلى الجيوش، فأعلماهم بما كان من أمر " قيطاس بك" مع " موسى باشا" فاجتمعت العساكر حالا في الرملة.

وأما السناجق والأمراء والقضاة وكبار الموظفين ، فاجتمعوا في جامع السلطان "حسن" ، وتفاوضوا في الأمر، فأقروا على عزل "موسى باشا" وتولية من يقوم مقامه مؤقتا ريثما يأتي أمر الباب العالي بشأنه، فخلعوه وأقاموا "حسن بك" مكانه، فكتب "موسى باشا" إلى السلطان يعلمه بخبر تلك الثورة، وكان رؤسؤها قد رفعوا إلى ديوان الأستانة كتابين، الواحد بالتركية، وقع عليه للسناجق والأغوات وكبار ضباط العسكرية والآخر بالعربية من القضاة والمشاخ يطلبون بصوت واحد خلع موسى باشا، فأجابهم السلطان إلى طلبهم<sup>(٣٧٣)</sup> غولي عليهم خليل باشا.

### خليل باشا

وفي ربيع أو سنة ١٠٤١هـ<sup>(٣٧٤)</sup>، وصل "خليل باشا" إلى مصر، استلم أزمته، وبلغه أن جماعة من اللصوص ثاروا تحت رئاسة أحد الثرغفاه المدعو "نامي"<sup>(٣٧٥)</sup>، ونهبوا مكة، فجمع جند القاهرة وأرسلهم بقيادة الأمير "قاسم بك" لإخماد تلك الثورة فساروا وحاربوا اللصوص وقتلوا زعماءهم.

وفي صفر سنة ١٠٤٢هـ<sup>(٣٧٦)</sup>، عاد "قاسم بك" بجيشه إلى القاهرة ظافرا، وأقبلت غلة مصر تلك السنة، وزاد خصبها وتضاعف ريعها، ونزلت أسعار الحنطة من ثمانية غروش للكرذب إلى عشرين.

[ص/١٠٥] وفي سنة ١٠٤٢هـ (١٦٣٣م) استقال "خليل باشا" من ولاية مصر<sup>(٣٧٧)</sup>، فخرج منها، والناس يثنون عليه ثناء جميلا، لأنه كان عادلا ، حلما، فلم يكن يصدر<sup>(٣٧٨)</sup> أحكامه إلا بعد للتروي بما يقول للخصمان.

ومما يحكى عنه إنه جئ إليه يوما بثلاثة لصوص، قبض عليهم متلبسين بالجناية، فأمر أن يحاكموا، فقال أحد رجال الديوان: "إن هذه الحادثة لا تحتاج إلى محاكمة لثبوت الجناية، فيجب إصدار الحكم بالإعدام"، فلم يكن جواب الباشا إلا الأمر بهدم بيت ذلك الناصح، فاستغرب الرجل ذلك، وسأل عن السبب للموجب له، فأجابه الباشا قائلا: كيف يحق لك الاعتراض علىّ إذا أمرت بهدم بيتك المبنى من حطام الدنيا، ولا يحق لذلك الباني العظيم معارضتنا إذا هدمنا بنيته بغير وجه شرعي" ثم أبطل الهمم وأطلق اللصوص، قال "ابن أبي السرور" روي هذه الحكاية، إن اللصوص قتلوا بعد تلك الحادثة احتراما للباشا.

وبعد استقالة " خليل باشا" من مصر عين على الروملى، وتولى مصر الوزير " أحمد باشا" الملقب " بالكورجى" (٣٧٩) وكان قبلا أمير ياخور. وفي صفر سنة ١٠٤٣هـ (٣٨٠)، وردت له الأوامر الشاهانية، أن يبعث ألفين من عساكر مصر إلى سوريا، مددا للحملة العثمانية على دروز لبنان (٣٨١) مع خمسة آلاف قنطار (٣٨٢) من البقسماط وأربعة آلاف قنطار من البارود، ثم جاءت أوامر أخرى بطلب ألفي رجل آخرين وثلاثة آلاف قنطار من البارود لمحاربة الفرس، فرأى " أحمد باشا" أن مصر لا تقوم بهذه الطلبات، فاعتذر إلي السلطان فبعث إليه ١٢ ألف قنطار (ص/١٠٦) من النحاس ليسكبها نقودا على أن يبعث عوضا عنها إلى الأستانة ثلاثمائة ألف زر محبوب.

### أصل النقود في المصرية

للنقود في مصر تاريخ لا بأس من ذكره، كانت المعاملة بمصر عند الفتح الإسلامي بالدرهم (٣٨٣)، وهو وزن درهم من الفضة والدينار (٣٨٤)، وهو متقال من الذهب، وكان الدينار يبذل بعشرة دراهم.

تكاثرت الفضة فصار الدينار يساوي ١٢ درهما في أيام بنى أمية و ١٥ درهما من أولئ بنى العباس، ثم زادت قيمته إلى ٢٠ درهما أو ٢٥ أو ٣٠ باختلاف الأحوال.

فلما كانت الحروب الصليبية، واختلط الإفرنج بالمسلمين، دخل البلاد الإسلامية كثير من النقود الإفرنجية، وحدثت نقود جديدة كالبنديقي (٣٨٥) والمجر (٣٨٦) والبنقو (٣٨٧) وزر محبوب (٣٨٨) ( وهو الدينار) والجنيه العثماني والإفرنجي والمصري وغيرها، وكلها من الذهب.

لما النقود الفضية، فأبدلت دراهمها بالأنصاف (٣٨٩) وهي البارات (٣٩٠)، وكانت المبيعات الصغرى تقدر بإنصاف والكبرى بالبنديقي أو الزر محبوب أو غيرها من النقود الذهبية، وسنعود إلى وصف نقود مصر في آخر انعصر العثماني.

" فأحمد باشا" أخذ في سكب النحاس، وأعد لذلك عمال ومعامل، ثم رأى بعد حين أن جميع هذه الإجراءات ذاهبة عبثا لأن الفعلة ملوا العمل، ومات أكثرهم من الحر والجهد، فجمع إليه ذوي شورا من الأمراء، والقضاة، واستشارهم وكان من

رأيه أن يدفع مطالبيب السلطان من ماله الخاص، ثم يجعل للنحاس سبائك صغيرة تباع في بلاد السودان بين تكرر وبلاد الزنج، فارتأى القضاة رأيا آخر، وهو أن يجبر الأهالي على استلام هذا النحاس ودفع المبالغ المطلوبة، وأن يفرق للنحاس عليهم بمقادير متناسبة [ص/١٠٧] لما يدفعونه فوافق الجميع على ذلك وأخذوا في تنفيذه في ١٦ ذى الحجة سنة ١٠٤٣<sup>(٣٩١)</sup>، وتمموا في آخر شعبان من السنة التالية.

فكان ذلك تقلا كبيرا على كاهل المصريين إذ لم ينج من هذه الضريبة غني ولا فقير<sup>(٣٩٢)</sup>، فقلت النقود، وغلت الحبوب وسائر المأكولات غلاء فاحشا، وزاد في الطنبور نغمة أن النيل في السنة التالية لم يكن وفاءه حسنا، لكن الناس استبتوا الأرض غلة متوسطة.

### مظالم وتعديت

وبعد يسير دعي أحمد باشا إلى الأستانة فسار ولم يدفع الأموال التي جمعت لخزينته، فرفع المصريون شكاوهم بشأن ذلك، فلما وصل الأستانة، حكم عليه بالإعدام، وتولى مكانه الوزير "حسين باشا"<sup>(٣٩٣)</sup> فجاء مصر في عصابة من السدروز للقططهم من كل ناد، وكانوا من قاطعي السبل، فساموا المصريين أنواع العذاب نهبا وقتلا، فاضطربت الأحوال، وأقفلت الحوانيت ووقفت حركة الأعمال، وهذا أصل استهجان المصريين لكلمة درزي على ما يظن.

ولبطل "حسين باشا" حقوق الوراثة، فإن مات أحد الناس، استولى هو على تركته، وأحرم منها ورثته الأيتام والأرامل أو للتكالي، وإذا أراد أحد الانتقام من عدو، يكفيه أن يشي به إلى "حسين باشا" بأنه غني أو ابن غني، فيزجه الباشا في السجن ولا يخرج منه إلا بالبذل الكثير، ولم يكن يمر يوم إلا وطوف فيه "حسين باشا" للمدينة في موكبه، ولا تعيب الشمس قبل أن يقتل رجلا أو رجلين أو أكثر.

وقد حسب عدد الذين ذهبوا فريسة عتو [ص/١٠٨] هذا الغلثم في مدة حكمه وهي سنة و ١١ شهرا فقبلوا نحوا من ألف ومائتي نفس غير الذين كان يقتلهم بيده، وكان له هيبة في قلوب رجاله، فأراد يوما أن لا يشركه بالقتل والنهب، فحظو عليهم ذلك، فلم يعودوا يجسرون على المخالفة ولم يسمع بشئ من تعدياتهم من ذلك الحين.

ثم أقيـل وخلفه الوزير " محمد باشا بن أحمد باشا" وابن ابنة السلطان " سليم الثاني" (٣٩٤).

وفي شوال من سنة ١٠٤٧هـ (٣٩٥)، وردت إليه الأوامر أن يرسل ألفا وخمسمائة مقاتل، نجدة للحملة العثمانية إلى بغداد (٣٩٦)، فأرسل تلك الفرقة بقيادة أمير الحج " قنسو بك" (٣٩٧) في محرم سنة ١٠٤٨هـ (٣٩٨)، فسارت ولم ترجع إلى مصر إلا بعد الاستيلاء على تلك المدينة في صفر سنة ١٠٤٩هـ (٣٩٩).

واتبع الباشا خطوات سلفه بالاختلاس والنهب، فجمع ثروة عظيمة من ثركات الأمراء والعلماء، فقام عليه الورثة، وبعد الجهد، تمكنوا من تحصيل نصف الأموال، وازداد ظلما وعتوا حتى منع الصدقات التي كانت تدفع للأرامل والأيتام، وأخذها لنفسه، فكثرت التظلمات وتعددت العائلات المعسرة.

وفي الخميس ١٦ شوال سنة ١٠٤٩هـ (٤٠٠) توفي السلطان مراد، وهذه نقوده مضروبة بالقاهرة سنة ١٠٣٢هـ (٤٠١).

#### [ ١٠٩ ] ٩- سلطنة إبراهيم بن أحمد

من سنة ١٠٤٩-١٠٥٨هـ أو ١٦٤٠-١٦٤٨م

ولد السلطان " إبراهيم سنة ١٠٢٤ (١٦١٥م) ، فلما تولى الملك كان في الخامسة والعشرين من عمره.

وفي أيامه، فتحت جزيرة كريد (٤٠٢)، وصارت تابعة للمملكة العثمانية، وفيها أيضا زاد تمرد الانكشارية فمل من تمردهم، وعزم على الفتك بهم في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الأعظم، فاطلعوا على الدميسة، وأجبروا المفتى أن يفتى بخلعه، فخلعوه (٤٠٣) ولولا ابنه" محمد الرابع " وعمره سبع سنوات، فلم يرض جنـد السباه (٤٠٤) بذلك، فأردوا إرجاع " إبراهيم فخاف رؤساء العصابة الفشل، فقتلوا " إبراهيم" (٤٠٥) كما قتلوا " عثمان الثاني" (٤٠٦) قبله.

وكان المصريون لما علموا بانتقال السلطنة إلى "إبراهيم" المذكور، ظنوا ذلك التغيير غير حالهم، وينجيهم مما هم فيه، وأول ما أجراه السلطان المذكور أنه استبدل " محمد باشا" وأحرمه من العطية التي تعطى لحاكم مصر عند استقالته، ولكنه أمر بعد ذلك بإيقائه، فعاد إلى أعماله، وازداد ظلما وصالفا، ففتك بالناس فتكا ذريعا.

ثم استبدل " محمد باشا " بمصطفى باشا<sup>(٤٠٧)</sup> الملقب "بالبستانجي" وكان لبي النفس على نوع ما ، إلا أن كاتبه " أحمد أفندي " كان عابسا غشوما، وكانت لزمة الأمور في يده، فاستبد بها، فكره المصريون للحياة من أجله.

ولتفق في أيامه تقصر النيل، فازدادت الأفتال بغلاء الحبوب، ولم يكن الباشا يتعرض للأحكام مطلقا، فكثرت السرقات حتى لم ينج حي من أحياء القاهرة من النهب، واضطر للناس إلى مهاجرة بيوتهم.

[ص/١١٠] وكان رئيس الضابطة إذا جئ إليه ببعض اللصوص، لا تغيب عليهم الشمس في السجن، ومثل ذلك كان يفعل للكشاف (حكام الأقاليم) ، فتواترت التثيكات إلى الباشا، فاضطر إلى عزل رئيس الضابطة وتولية " كنعان بك" مكانه، فاهتم هذا بالقبض على اللصوص، فسجن عددا كبيرا منهم.

وفي شوال سنة ١٠٥١<sup>(٤٠٨)</sup> ثارت الجهادية وتمرد الجاويشيون على رئيسهم الأمير " على " ، لأنه لا يفرق الأعطيات إلا على كتبته، فلم ير الباشا بدا من عزله وتولية " عابدين بك" في مكانه.

فلما رأى الجيش ما كان من فوز الفئة الثائرة ثاروا جميعا، وادعوا أن مخازن الحبوب فارغة، وطلبوا معاشاتهم المتأخرة منذ سنة، فعين " محمد أفندي" قاضي العسكر لتحري دعواهم، فتقعد مخازن الحبوب، فوجدها حقيقة فارغة، وعلم أن ما كان فيها باعه وأخفى ثمنه، فاضطر الباشا مراعاة لطلب الجمهور، أن يتخلى عن كتبه مع شدة حبه له، فاستجد الجاويشية، فأنجدوه وأعلوه إلى منصبه، فلزاد تمردا، وبالغ في الانتقام، ثم استقال " مصطفى باشا" وتولى الوزير " مقصود باشا"<sup>(٤٠٩)</sup> وكان واليا على ديار بكر<sup>(٤١٠)</sup> قديما.

فلما استلم مقاليد الأحكام بمصر، بحث عن تصرفات سلفه ، فساطع على أعماله، فقبض على كاتبه والكخيا، وجلدهما، وأجبرهما على إرجاع ماتتي كيس من النقود إلى الخزينة.

لما " مصطفى باشا" فأرسل إلى الأستانة، وهناك أخذ منه ماتتا كيس سلمت للخزينة للشاهانية وأصبح من صحبة الوزراء العبمة العظام.

### الوباء

وفي أيام " مقصود باشا" قاست مصر أمر العذاب من وباء [ص/١١١] وفد عليها وكان أصعب مراسا من الوباء الذي وفد في أيام علي باشا وجعفر باشا لأنه كان عاما لم ينج من إصابته الشيوخ ولا الشبان، وقد أصاب من الشيوخ واحدا في الثمانية.

ظهر هذا الوباء أولا في بولاق أوائل شعبان سنة ١٠٥٢هـ<sup>(١١)</sup> وبعد شهرين ظهر في القاهرة، وما زال على معظمه من أول ذي القعدة من تلك السنة إلى غاية صفر سنة ١٠٥٣<sup>(١٢)</sup>، ثم أخذ في التناقص شيئا فشيئا ولم ينقض حتى الشهر الثاني، ولم يكن يسمع إلا بالوفيات المتتابعة في كل ساعة، وكانت الجثث تنقل بالعثرات دفعة واحدة، فيمر في الشارع الواحد أحيانا ثلاثون أو أربعون جنازة. وقد روي " ابن أبي السرور" وهو من المعاصرين أن جملة من صلى عليهم من المتوفين في الجوامع الخمسة الرئيسية في القاهرة في أثناء ثلاثة أشهر ٢٩٦٠<sup>(١٣)</sup>، وصاروا في آخر الأمر يدفنون موتاهم بلا صلاة، وعدد هؤلاء لا يقل عن عدد الذين صلى عليهم.

أما خارج القاهرة، فلم يكن الوباء أقل فتكا، ويقال إن ٣٣٠ قرية أصبحت خرابا لإصابة سكانها جميعا بذلك الداء.

### " مقصود باشا"

فلما رأى " مقصود باشا" ما ألم بمصر من الدمار، سعى في إصلاح الأحوال جهده، فاستعمل الرفق وألغى الضرائب التي وضعها أسلافه بغير حق وجعل الوراثة إلى الأقربين الشرعيين، مع دفع شيء من التركات إلى الحكومة، وتحري التعديتات تحريا شديدا وشددا في القبض على اللصوص، فقبض على كثيرين منهم، فقتل بعضا، وسجن بعضا، وقاضي آخرين حسب ذنوبهم مع الغرامة، فاستكنت<sup>(١٤)</sup> الناس، وطابت [ص/١١٢] قلوبهم.

وبينما كان هذا الباشا ساعيا في ما تقدم، ظهرت في الإسكندرية في ٢٠ ذى القعدة من تلك السنة<sup>(١٥)</sup> ثورة كدرت الحالة، وذلك أن نحو من ستمائة من المسيحيين كانوا تحت طائلة القصاص مغلولين في سجون الإسكندرية.

ففي اليوم المذكور فتحوا السجون، والمعلمون فسي للجولمى يصلون، وطفقوا ينهبون الحوانيت والمخازن والبيوت، ولم يبقوا ولم ينزوا، ولما ملأوا جعبة مطمعمهم، نزلوا إلى مركب كان بانتظارهم في البحر، فطلقوا يطلبون للفرار<sup>(١١٦)</sup>.

ولم يكن ذلك كل ما هدد " مقصود باشا" وحال دون مشاريعه، بل هناك ما هو أدهى وأمر- وذلك أن جماعة السناجق تأمروا على عزله في الجمعة ١٢ رمضان سنة ١٠٤٥هـ<sup>(١١٧)</sup> باجتماع عقوده في بيت الأمير " رضوان بك الملقب " بأبي الشوارب".

وسبب ذلك أن " مقصود باشا" كان قد طلب إليهم حينما بليفاء رواتب الجيش عن شهر رمضان أن يدفعوا الثلث الأول من المال الذي يطلب من الخزينة من الإقطاعات العسكرية التي في أيديهم، فرفضوا بالإجماع وطلبوا عزل بعض الموظفين الذين يعدونهم من أنصار الباشا. فسلم الباشا لهم بما أرادوا، فلم يقتنعوا بذلك، فكتبوا إلى الأستانة يشكون من سوء تصرفه، ووافقهم كثيرون من الأعيان، فكتب إليه الباب العالي رأسا ما مفاده: " أن الحضرة السلطانية لم تعلم أسباب الثورة الجهادية التي انتشبت في " مصر " وتعجب كيف أن الباشا لم يبلغ الباب العالي خبرها".

فأجاب الباشا أنه لم يحصل لديه ما يدعى ثورة، وإنما هناك بعض الاختلافات التي يرجوا إصلاحها بالتى هي أحسن، ولذلك لم [ص/١١٣] يكن ثمة حاجة إلى إطلاعها.

فطلب إليه الباب العالي أن يتحرى، ويعاقب المعتدين، ويصرف الأمر بما يترأى له.

ومع ذلك اضطر إلى الإذعان، ولكنه أراد التفك بالأمر " على بك" والأمير "ماماي بك" والدفتردار "شعبان بك" لعلمه أنهم زعماء تلك الثورة، فأعد لهم كميناً ليقتلهم في الديوان، وعين لذلك الإثتين في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٠٥٤هـ<sup>(١١٨)</sup>، لكن الدفتردار نزل إلى الديوان وحده في ذلك اليوم، فشاور الباشا عقله بين أن يفتك به وحده أو يخفى ما في ضميره ريثما يفتك بالثلاثة معاً، فأقر أخيراً على إرجاء العمل إلى يوم آخر.

## أيوب باشا وغيره

وفي اليوم التالي جاء الفرمان بعزله، وتولية الدفتردار " شعبان بك" قائمقاما يتعاطى الأحكام وقتيا، فشق ذلك على الباشا، لكنه أذعن وسلم مقاليد الأحكام " لشعبان بك " ، فكتب السناجق إلى الباب العالي يطلعونه على حقيقة ما حصل في أيام الباشا السابق، ويطلبون إليه الإسراع في إرسال من يخلفه، فأنفذ إليهم " أيوب باشا" (٤١٩) وكان قبلا من رجال القصر الشاهاني " المابين" (٤٢٠).

فلما عهدت إليه هذه الولاية تردد في قبولها لما رأي من الأخطار المحدقة بها ، لكنه لم ير بدا من قبولها. وكان رجلا حازما مستقيما، استعان برجاله على إدارة الأعمال. لم تمض سنتان على حكمه حتى استتب النظام، وسادت الراحة، ثم استقال من ذلك المنصب بعد أن صار وزيرا، وعكف على العبادة واعتزل السياسة، وزهد زهد الدراويش، فتنازل عن أملاكه في الأستانة [ص/١١٤] للدائرة الخاصة للهمايونية وانفرد في أحد المعابد (٤٢١) في الروملي، تولى مكانه الوزير " محمد باشا حيدر" (٤٢٢) سنتين ونصف، ولم يحسن الإدارة فارتبكت الأحوال.

وفي ١٠ رجب سنة ١٠٥٧هـ (٤٢٣) ثارت فرقة من الانكشارية في مصر القديمة، فهدهم والي الشرطة فازدادوا تمردا، فساروا إلى الباشا، وطلبوا قتل ذلك الوالي ( المحافظ) ولم يكن ذنبه إلا أنه قام بما عليه، فوافقهم الباشا على ما أرادوا. أما الوالي فكان من وجاق الجاوشية، فلما علم هؤلاء بعزم الباشا، قاموا يشكون من سوء تصرفه بصوت واحد، فخاف أن تبلغ التشنكات مسامع الباب العالي، فتعود العقاب وبالاعلى، فاجتمع " بقنسو بك" واستشاره بما يفعل، وكان هذا لا يشير إلا بما يعود عليه بالمنفعة الشخصية، فأشار على الباشا أن يرفع إلى الأستانة تقريرا سريا يشرح فيه ما حصل من القلاقل، وينسبها جميعها إلى الأميرين " رضوان بك " و" على بك" (٤٢٤) وينسب إليهما أيضا اختلاس الخزينة المصرية، وأنهما سلباه منصب أمير الحج وحكومة " جرجا" - كل ذلك لكي يرجع " قنسو بك" ، و"ماماي بك" إلى منصبيهما (٤٢٥)

## رضوان بك وعلى بك

فباشر الباشا كتابة ذلك التقرير، وطلب إلى بعض الأعيان أن يوقعوا عليه فبلغ ذلك مسامع " رضوان بك" ، فأسرع إلى كتابة تقرير مناقض لتقرير الباشا،

وبعث به إلى الأستانة، فوصل قبل تقرير الباشا، وفيه ما فيه من التثبيكات ضد قنصو بك [ص/١١٥] و"ماماي بك"، فورد الجواب من الأستانة مفوضا إلى "رضوان بك" و"على بك" أمر للنظر في تلك القضية.

وفي ٢١ جمادى الأولى سنة ١٠٥٧هـ<sup>(٤٢٦)</sup>، ورد للفرمان بذلك إلى الباشا، وفي ٢٧ منه<sup>(٤٢٧)</sup>، استدعاهما الباشا إلى القلعة، فاستدعيا "قنصو بك" و"ماماي بك" وأمرًا بقتلها، وقتل أمراء آخرين كانوا على دعوتها. ولم تكن تتخلص مصر من دسائس هؤلاء حتى ظهرت دسائس مصطفى كخيا الملقب بالششنير لأنه لم يسم سنجقا عوضا من قنصو بك.

وفي ٨ رمضان من تلك السنة<sup>(٤٢٨)</sup>، وردت الأوامر إلى "على بك" أن يترك القاهرة ويتوجه حالا إلى حكومته في جرجا، وبعد ثلاثة أيام استدعى الباشا "رضوان بك" إلى وليمة في القلعة، فخاف من دسيسته، فأبى الحضور، فغضب عليه الباشا وخلعه عن إمارة الحج، فخرج "رضوان بك" من القاهرة في ٢٠٠ من رجاله، وفيهم عدة من الأمراء والكشاف، واتحد مع "على بك" فبعث الباشا على أثرهما ألفين من جنوده، ونحو خمسمائة من الانكشارية، فاجتمع الجند في "الرميلة" وأكسروا على إغفال أوامر الباشا، ثم وردت الأوامر من الأستانة بتثبيت "رضوان بك" و"على بك" في مناصبيهما، فاضطر الباشا إلى استقدام الأميرين، فقدموا إلى القاهرة في ٩ رمضان<sup>(٤٢٩)</sup> بما لهما من الرواتب والحقوق، فسعى إلى مصالحتهما<sup>(٤٣٠)</sup> مع "مصطفى كخيا".

وفي ٦ ذي الحجة من تلك السنة<sup>(٤٣١)</sup>، شاع في القاهرة أن للوزير "مصطفى باشا" سعى على "مصر" عوضا عن "محمد باشا حيدر"، وفي ٢٦ منه<sup>(٤٣٢)</sup> وردت [ص/١١٦] الأوامر قاضية بإعادة "محمد باشا" إلى منصبه<sup>(٤٣٣)</sup>. وفي تلك السنة توفي السلطان إبراهيم. وهذه صورة نقوده مضرورية في القاهرة<sup>(٤٣٤)</sup>

#### ١٠- سلطنة محمد بن إبراهيم

من سنة ١٠٥٨-١٠٩٩، ومن ١٦٤٨-١٦٨٧م

تولى هذا السلطان العرش العثماني وهو طفل، فوعدت للفوضى في المملكة العثمانية، وأصبحت للجنود لأترحم كبيرا ولا صغيرا، وصارت الحالة إلى أتعس

مما كانت عليه قبل "مراد الرابع" حتى تزعزت أركان الدولة وطمعت الدول الأوربية فيها، وتكاثرت الثورات الداخلية تارة من الإنكشارية، وأونة من السباه، وأخرى من الولاة أو الأهالي، ولكن الله فيض له وزيراً عاقلاً حكيماً هو "محمد باشا كوبريلى" فتولى الصدارة سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٠م)، ففتك بالإنكشارية وأذلهم وأخضعهم، ولهذا الرجل أيداء بيضاء على الدولة، فإنه حفظها من الانحلال في تلك الأزمنة، وانتهت سلطنة هذا السلطان بالخلع.

أما في "مصر" لما تولى السلطان محمد المذكور، عزل "محمد باشا" واليهما، وولي الوزير أحمد "باشا" فاستلم زمام الأحكام مدة سنتين (١٦٣٦) كلهما اضطراب وقلال، وأول تلك القلال كانت سنة ١٠٦٠ (١٦٥٠م) بسبب تقصير النيل، فإنه [ص/١١٧] لم يرتفع تلك السنة أكثر من ٦ انراعا، فلم يرتو من أرض الصعيد إلا الثلث، أما الوجه البحري فلم يرتو منه شئ تقريباً، فغلت الأسعار حتى خيف المجاعة.

أما الباشا فلم يكن يهمله غير تكثير الضرائب مع أنه لم يكن يرسل منها إلى الأستانة إلا للثلثين، وكان لسوء نيته يرسل تلك المبالغ في عهده "رضوان بك" ليحمل الباب العالي على الشك بأمانته فيتغير خاطر السلطان عليه، وكان إتماماً لمكيدته يكتب إلى الباب العالي على التتابع يشكو من تصرف "رضوان بك" ويطلب خلعه من إمارة الحج، وتقليدها لعلي بك، وكان هذا على ما علمت من الصداقة مع "رضوان بك" لكنه لم يكن يعلم بدسائس الباشا.

أما الباشا فكان في نيته أن يوقع الضغائن بين الأميرين، فيحل عري اتحادهما، لكنه لم يتم مقصده حتى أتى الأمر العالي بعزله يوم السبت ٦ صفر سنة ١٠٦١هـ (١٦٣٧) و"رضوان بك" لم يرجع إلى القاهرة بعد، ولم تكن نتيجة مساعي "أحمد باشا" إلا زيادة تألف قلبي ذينك الأميرين. وكان من كرم أخلاقهما أن كلا منهما كان يتنازل للأخر عن إمارة الحج. فأعجبت هذه الأريحية المصريين، فأحبوهما وبالغوا في احترامهما حتى أقاموا لهما دعاء عمومياً في "الرميلة"، والباشا إذ ذاك محبوس في القلعة ولم يفرج عنه حتى دفع للخزينة مبالغ والفره.

فتولى مكانه الوزير "عبد الرحمن باشا" وما زال إلى أول شوال سنة ١٠٦٢هـ (١٦٣٨) وقد قاسى ما قاساه سلفه من السجن والإهانة لأنه سار على خطواته

فاختار الباب العالي الوزير [١١٨] " محمد باشا" <sup>(٤٣٩)</sup> ليقوم مقامه في ٥ شوال من تلك السنة<sup>(٤٤٠)</sup>، ولكنه لم يدخل للقاهرة إلا في ٨ محرم سنة ١٠٦٣هـ<sup>(٤٤١)</sup>.

وما زالت الولاية تتوالى على "مصر" <sup>(٤٤٢)</sup> ولا شئ من أعمالهم وأحوالهم يستحق الذكر، وفي آخر الأمر تحول النفوذ من أيديهم إلى أيدي البكوات المماليك وهم يعدون مصر وطنهم، ويغارون عليها، أما الباشوات إذا أتوا "مصر" لا يكون دينهم إلا اكتساب الثروة بأية طريقة كانت لعلم كل منهم أنه لا يلبث أن يأتيه الأمر بالعزل، ولما عزل أحدهم ولم يكن السجن ملواه.

١١ - ١٣ : سلطنة ثلاثة سلاطين " سليمان بن إبراهيم" و" أحمد بن إبراهيم"

و"مصطفى بن محمد"

من سنة ١٠٩٩ - ١١١٥هـ (ومن ١٦٨٧ - ١٧٠٣م)

توالى على العرش العثماني في ست عشرة سنة ثلاثة سلاطين، ويدل ذلك طبعاً على ارتباك أحوال الدولة، فلما خلع السلطان "محمد الرابع" لودع السجن حتى مات سنة ١١٠٥هـ<sup>(٤٤٣)</sup> وبويع السلطان "سليمان الثاني" وبعد ٣ سنوات توفي<sup>(٤٤٤)</sup>، فبويع السلطان "أحمد بن إبراهيم" وتوفي سنة ١١٠٦هـ<sup>(٤٤٥)</sup>، فبويع السلطان "مصطفى الثاني" بن محمد الرابع" وبعد تسع سنوات أقبل سنة ١١١٥ (١٧٠٣) وتوفي سنة ١١١٩هـ<sup>(٤٤٦)</sup>.

وتوالى على "مصر" في أثناء هذه المدة نحو عشرين والياً<sup>(٤٤٧)</sup> أخصيت عن ذكرهم، لعدم أهميتهم، ولأن النفوذ انتقل منهم إلى الأمراء المماليك، وصار هؤلاء أصحاب الحل والعقد، وبهذه السلطة<sup>(٤٤٨)</sup> ينقضى الدور الأول من سيادة الدولة للعثمانية على مصر، ويبدأ الدور الثاني.

[ص/١١٩] العلم والأدب

ومشاهير العلماء والأدباء في مصر

الدور الأول من : العصر العثماني

من ٩٢٣-١١١٥هـ

(١٧٠٣-٥١٧)

يجدر بنا بعد الإتيان على تاريخ مصر السياسي في الدول من سيادة الدولة العثمانية ، أن نأتي بفنلحة عن حالة مصر العلمية والأدبية في ذلك الدور . يعد هذا الدور في تاريخ آداب اللغة العربية من عصر الانحطاط أو التقهقر ، لذهاب دولة العرب ، واستبداد سواهم في السيادة<sup>(٤٤٩)</sup> ، وانغماس القوم في الجهل ، ولولا القرآن لذهبت اللغة العربية برمتها . وكانت الدول الإسلامية غير العربية قبل الدولة العثمانية كالبوهميين ، والسلاجقة ، والطولونيين ، والأتابكة والأيوبيين يجعلون اللغة العربية لغتهم الرسمية للمخاطبات والمكاتبات ، فتبقى ببقاء السياسة ، أما العثمانيون فأهملوا هذه اللغة<sup>(٤٥٠)</sup> ، وجعلوا اللغة التركية لغتهم الرسمية .

وزد على ذلك ما رافق الفتح العثماني أو حوالبه من الأسباب التي بعثت على تقهقر هذا القطر على الخصوص ، وذلك أن أهل أوربا اكتشفوا في أثناء ذلك طرقا تجارية بحرية مثل : رأس الرجاء وغيره أغنت التجار عن إرسال تجارتهم مع الشرق الأقصى ذهابا وإيابا عن طريق مصر وانصرفت همم العالم المتمدن في الجهة الأخرى إلى العالم الجديد وغيره بعد اكتشافها ، والمصريون يومئذ لا يعلمون شيئا عن تلك الاكتشافات ، فكان هذا كله باعنا على إهمال مصر وانحطاطها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، ويتبع ذلك طبعا انحطاطها العلمي والأدبي<sup>(٤٥١)</sup> .

[ص/١٢٠] وناهيك بفساد الأحكام ، ومطامع الولاة وتسابقهم في ظلم

الرعية ، وسلب أموالهم ، مما يشغل الإنسان بنفسه عن طلب العلم أو التبحر فيه .

وعليه فكان ينتظر أن تموت اللغة العربية ، ونعني بموتها ضعف شأنها بالأدب والعلوم ، وإنما استبقاها الإسلام لاضطرار أصحابه إلى تعلم هذه اللغة واختلاط الامراء المماليك بالوطنيين وتعلم لسانهم .

وقد ساعد على إحياء آداب اللغة في تلك الفترة للمظلمة أن بعض ولاة ذلك الدور كان فيهم ميل للعلم وللعلماء، أشهرهم "سكندر باشا لشركسي" تولى مصر سنة ١٩٧٦هـ - (١٥٦٨م) فقد تقدم أنه كان شديد الميل كثير للتعلم بالعلم ونوحيه، و "حسين باشا" تولاهما سنة ٩٨٠هـ - (١٥٧٢م)، و"شيد" محمد باشا - سنة ١٠٠٤هـ فإنه كان ينشط العلم والأدب. وكذلك "محمد باشا للصوفي" وأهمهم وأقدمهم "داود باشا" - تولى مصر سنة ٩٤٥، (١٥٣٨م)، وما زال عليها أكثر من ١١ سنة - وكان محبا للعلماء شديد الرغبة في المطالعة واقتناء الكتب، ينفق في سبيل استئصالها أو ابتياعها الأموال اللطائلة، فجمع مكتبة نفيسة. ومنهم "جعفر باشا" و"بيرام باشا" وقد ذكرناهم في إماكنهم في هذا الكتاب. (٤٥٧)

فبالنظر إلى ذلك، ظلت آداب اللغة العربية حية لكنها انحصرت بالأكثر في كتب الفقه، والدين، أو جمع الأدب والشعر حتى أشعارهم أكثرها في مدح النبي وأكثر المؤلفات الفقهية شروح وحواش. وراج من ضرور الفقه على الخصوص الفقه الحنفي، لأنه مذهب للدولة العثمانية، والفقه الشافعي لأنه [ص/١٢١] مذهب للمصريين.

وكان الأزهر في تلك المدة مبعث نور العلم، والمدرسة للعلماء للعلم الإسلامي وأكثر مشاهير العلماء كانوا من طلبته، وكان الطلاب يقصدونه من أقصى العالم، وله فضل كبير في استيفاء أصول العلوم التي كانت رائجة في ذلك العصر، وأكثر نوابغ مصر في الدور الذي نحن في صدده من تلاميذه، وسنأتي بشذرات من تراجم مشاهير ذلك الدور، ونرتبهم حسب المواضيع مع مراعاة سني الوفاة - ما بين سنة ٩٢٣ و١١١٥ هـ - (١٥١٧-١٧٠٣م) ولذلك كان بعض هؤلاء عناصر السلاطين المماليك، وإنما توفي في عهد الدولة العثمانية.

قبل للتقدم إلى الكلام عن هؤلاء نذكر عالما هو إمام العلماء في القرن التاسع للهجرة معنى "جلال الدين السيوطي"، توفي قبل الفتح العثماني باثنتي عشرة سنة (٩١١هـ) - (١٥٠٥م)، وكان عالما كثير للتأليف والتعليم، ألف في كل موضوع حتى زادت كتبه على بضع مئات، وتخرج عليه كثيرون ومنهم جماعة سبقتي ذكرهم في جملة نوابغ العصر العباسي<sup>(٤٥٣)</sup> الذي نحن فيه.

وبما أننا سنقصر في ما يلي على الذين اشتهروا من المصريين دون سواهم فيشق علينا تحديد المراد بالمصرى في هذا الباب، لأننا نعرف جماعة كبيرة ولـدوا خارج مصر ثم جاءوا فتعلموا في أزهرها، وتوطنوا وألفوا الكتب فيها فهؤلاء نعدم من اللابغين في مصر، ونذكر أخبارهم ونشير إلى أهم مؤلفاتهم، وهل طبعت؟ وأين يوجد الخطية منها؟<sup>(٤٥٤)</sup>

### ١- الشعراء والأدباء [ص/١٢٢]

#### ١- "عائشة الباعونية"

عاشت بمصر نحو سنة ٩٢٩هـ (١٥٢٢هـ)، لها أشعار في مدح النبي سمتها: "الفتح المبين في مدح الأمين" منها نسخ خطية في مكاتب برلين والمتحف البريطاني<sup>(٤٥٥)</sup>.

#### ٢- "قنسو بن صادق"

من تلامذة "جلال الدين السيوطي" المتقدم ذكره، نبغ في أواسط القرن العاشر، ومن مؤلفاته: "السحر الحلال من إيداع الجلال" في شكل، المقامات منه نسخة خطية في المكتب الهندي بلندن.

وكتاب "مرايح الألباب في مرابع الآداب" شعر. منه نسخة في المتحف البريطاني<sup>(٤٥٦)</sup>.

#### ٣- "زين الدين الحميدي":

كان طبيبا بمصر، توفي سنة ١٠٠٥هـ (١٥٩٦م)، وله ديوان في مدح النبي سماه "الدر المنظم في مدح الحبيب الأعظم" طبع في بولاق سنة ١٢١٣<sup>(٤٥٧)</sup>. و"تلويح البديع لمديح الشفيح" منه نسخ خطية في مكاتب أوربا. ومنظومة في الجناس، منها نسخة في مكتبة برلين.

#### ٤- عبد الباقي الإسحاقى المنوفى:

توفي سنة ١٠٦٠هـ (١٦٨٦م) في منوف، وله ديوان "سلاف الإنشاء في الشعر والإنشاء" منه نسخة خطية في مكتبة فيينا<sup>(٤٥٨)</sup>.

#### ٥- "يوسف عبد الجواد الشيبينى"

عاش نحو ١٠٨٩هـ (١٦٨٦م)، له كتاب : " هز الحوقف " طبع بمصر والإسكندرية مرارا<sup>(٤٥٩)</sup>.

### ١٢٣] ٢- المؤرخون ونحوهم

١- " أبو البركات ابن لياس العامري الشركسي".

هو من تلامذة السيوطي، توفي سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) من مؤلفاته

١- كتاب " مرج الزهور في وقائع الدهور " ، وهو تاريخ علم، منه نسخ خطية في فيينا وباريس وخطا<sup>(٤٦٠)</sup>.

٢- كتاب " بدائع لزهور في وقائع الدهور" وهو خلاص بتاريخ مصر إلى سنة ٩٢٨هـ (١٥٢٢م) مرتب على الأيام والسنين نحو كتاب " الجبرت"، وقد شهد فتح العثمانيين مصر بنفسه، ووصفه ، طبع في القاهرة سنة ١٣٠١ (١٨٨٣م) وفي بولاق سنة ١٣١١ (١٨٩٣م) .

٣- " مشق الأزهار في عجائب الأقطار"<sup>(٤٦١)</sup> وهو يتعلق بالنجوم- منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي أكثر مكاتب أوروبا.

٤- " نزهة الأمم في العجائب والحكم" ، منه نسخة خطية في مكتبة أوسا صوفيا بالاستانة<sup>(٤٦٢)</sup>.

٢- " أبو العباس بن عبد السلام شهاب الدين المنوفي الشافعي " ، توفي سنة ٩٣١ (١٥٢٤م) ، تعلم في القاهرة ، وتولى القضاء في بلاده " منوف" وله كتاب : " الفيض للمديد في أخبار النيل السيد"<sup>(٤٦٣)</sup>، منه نسخة خطية في مكتبة مرسيليا. وكتاب " البدر الطالع في الضوء اللامع" ، منه نسخة في مكتبة لينن.

٣- " محمد بن على الدلودي" : من تلامذة " للسيوطي"، توفي سنة ٩٥٤ (١٥٣٨م) ، له كتاب طبقات المفسرين منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٤- أحمد بن على بن نور الدين المحلى " المعروف" " ابن زنبيل للرمال".

عاش نحو سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) له كتاب في تاريخ أخذ مصر من الشركسة" أي فتح السلطان " سليم " مصر، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي مكاتب فيينا وباريس ولينن ومنشن<sup>(٤٦٤)</sup>. وكتاب " تحفة الملوك [ص/١٢٤] والزرغائب لما فسي البر والبحر من العجائب والغرائب" هو كتاب جغرافي منه نسخة خطية في مكتبة

لكسفورد، وكتاب " المقالات في حل المشكلات". منه نسخة في المكتبة الخديوية.  
وكتاب " القانون في الدنيا" بالنجامة.

٥- " بدر الدين المنهاجي" - خطيب مسجد السيدة نفيسة:

توفي<sup>(٤٦٥)</sup> سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) له كتاب " البذور السافرة في من ولي القاهرة" ،  
وهي أرجوزة تشتمل على ولاية مصر من الفتح إلى سنة ٩٥٦هـ (١٥٤٩م) منها  
نسخة خطية في مكتبة فيينا، وكتاب " النجوم الزاهرة" في ولاية القاهرة إلى سنة  
٩٦١ (١٥٥٣م)، منه نسخة في المكتبة الخديوية وأخرى في مكتبة برلين<sup>(٤٦٦)</sup>.

٦- " عبد الواحد البرجمي" <sup>(٤٦٧)</sup>:

توفي سنة ١٠١٧ (١٦٠٨م)، له كتاب " الرياض الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة" ،  
منه نسخة في مكتبة الجزائر.

٧- " محمد بن عبد المعطي الإسحاقى المنوفى":

كتب نحو سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م) له:

١- كتاب " الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم" وهو  
مختصر تاريخ الإسلام من ظهوره إلى دولة الأمويين، فالعباسيين، فالفاطميين،  
فالأيوبيين، وتاريخ مصر إلى سنة ١٠٣٢ (١٦٢٢م) منه نسخ خطية في مكاتب  
باريس والمتحف البريطاني، وأحسبه طبع.

٢- كتاب لطائف أخبار الأول في من تصرف بمصر من الدول<sup>(٤٦٨)</sup>

طبع بمصر مرارا.

٨- " عبد للكريم أفندي بن سنان" :

توفي سنة ١٠٤٥ (١٦٣٥م)، كان قاضيا في حلب وجاء مصر، له كتاب " تراجم  
كبار العلماء والوزراء" ، منه نسخة خطية في مكتبة فيينا.

٩- " سعد الدين الغمري":

كتب سنة ١٠٥٠هـ (١٦٤٠م)، له كتاب " ذخيرات الأعلام بتاريخ أمراء مصر في  
الإسلام" ، منه نسخة خطية في برلين، وغطا، وباريس.

[ص/١٢٥] ١٠- شمس الدين بن أبي السرور البكري الصديقي المصوي،

توفي سنة ١٠٦٠هـ<sup>(٤٦٩)</sup>، له:

- ١- كتاب للتحفة للبهية في تملك آل عثمان للديار المصرية" منه نسخة خطية لسي فيينا وغيرها.
- ٢- كتاب "لروضة الزهية في ولاة مصر القاهرة المعزية" من أقدم الزمان إلى سنة ١٠٣٥هـ (١٦٢٥م) منها نسخ خطية في "غوطا" و"إكسفورد".
- ٣- كتاب "الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة" إلى سنة ١٠٥٣هـ (١٦٤٣م) منه نسخ خطية في مكاتب منشن والمتحف البريطاني وباريس.
- ٤- كتاب "نُور للمعالي الغالية" (١٧٠) منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالأستانة(٤٧١).

١١- "إبراهيم بن أبي بكر الصالحى العوفى":

توفي (٤٧٢) سنة ١٠٧١هـ طه كتاب تراجم الصواعق في واقعات السناجق" وهو تراجم سناجق مصر- أي أغواتها وأمراتها. ومنه نسخة خطية في مكاتب منشن وباريس(٤٧٣).

١٢- "عبد القادر الفيومي العوفى الحنفى" (٤٧٤)

ولد في القاهرة ، وتعلم فيها وفي حلب ودمشق والأستانة، ثم تعين قاضيا على القاهرة، ثم عاد إلى الأستانة وغيرها، وتوفي أخيرا في الأستانة سنة ١٠٧١ (١٦٦٠م) ، له كتاب " للتكرة " و" بلوغ الأرب" و" المسؤول للشوق بنكر نسب الرسول" ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وغيرها، وله كتاب " نفاص للؤلؤ والمرجان في إعراب محلات من سورة آل عمران".

### [ص/١٢٦]- للغويون

١- "أبو بكر الشنوائى":

تعلم في القاهرة ، وتوفي في سنة ١٠١٩هـ (١٦١٠م)، وله كتاب " جلية أهل للكمال بأجوبة أسئلة للجلال" - يعني " جلال الدين السيوطى" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية(٤٧٥).

٢- "شهاب الدين الخفاجى":

توفي سنة ١٠٦٩هـ (١٦٥٩م)، ولد في سرياقوس بضواحي القاهرة، وتعلم على عمه " الشنوائى" - المتقدم ذكره- ثم جاء القاهرة ورحل إلى الأستانة وسلاطيك، وعينه

السلطان "مراد" قاضيا للعسكر في مصر فجاءها، ثم نقل منها إلى "دمشق" وطلب فالأستانة حتى توفي. وقد ترجم نفسه في ذيل كتابه "ريحانة الألباء" - الآتي ذكره. وأما كتبه فمنها:

- ١- منظومات كثيرة متفرقة منها جانب في نسخة خطية بالمكتبة الخديوية.
- ٢- كتاب "هدايا الزوايا في ما الرجال من البقايا" (٤٧٦) وهو تراجم العلماء من معاصريه وأساتذة أبيه في الشام والحجاز ومصر والمغرب وبلاد الروم، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، ومثلها في برلين وغوطة وفيينا وبطرسبورج والأستانة وغيرها.
- ٣- كتاب "ريحانة الألباء ونزهة الحياة الدنيا" وهو من كتب الأدب جمع فيه أشعارا وأخبارا وانتقادات وملاحظات مفيدة وقد طبع بمصر مرارا.
- ٤- كتاب "طراز المجالس" في كتب الأدب، طبع بالقاهرة سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧م).
- ٥- "شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل"، طبع بمصر سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥م).
- ٦- شرح درة الغواص، منها نسخة في مكتبة أكسفورد.
- ٧- شرح كتاب الشفاء فيها.
- ٨- حاشية على البيضاوي فيها أيضا.

#### [ص/١٢٧] ٤- المحدثون

- ١- "شمس الدين النمىقى الفالحى": توفي في البرقوقية بالقاهرة سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م)، له:
  - ١- كتاب "سبل الهدى والإرشاد في سيرة خير العباد" وتعرف "بالسيرة الشامية"، وهي مشهورة، ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وأحسبه طبع.
  - ٢- كتاب "الآيات العظيمة الباهرة في معراج سيد أهل الدنيا والآخرة" منه نسخة خطية في مكتبة ليدن.
  - ٣- "عقود الجمال في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي فيينا وآيا صوفيا.

٤- كتاب " مطلع النور في فضل الطور وقمع المعتدى للكفور " منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية<sup>(٤٧٧)</sup>.

٢- " عبد الرؤوف المنلوي الشافعي ":

توفي سنة ١٠٣١هـ (١٦٢١م)، ولد في القاهرة، ونشأ في حجر والده، ودرس العلوم الإسلامية، خصوصا للتصوف، والحديث، وأخذ طريقة للخلوتية وطرقا أخرى، وتولى التدريس في المدرسة الصالحية، وكثر حساده، ولطاعون عليه، واعتل وقامسى ألما شديدة حتى مات، له مؤلفات كثيرة نذكر للباقي منها:

١- " كنوز الحقيقة في حديث خير الخليفة " مرتب على الأبجدية وفيه نحو ١٠,٠٠٠ حديث، طبع في بولاق سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩م) وفي القاهرة ١٣٠٥ (١٨٨٧م)، وله مختصرات.

٢- " الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور "، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٣- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٤- النزهة الزاهية [ص/١٢٨] في أحكام المحاكم الشرعية، منه نسخة في المكتبة الخديوية.

٥- " تيسير الوقوف على غوامض الحكام والوقوف<sup>(٤٧٨)</sup>، منه نسخة في المكتبة الخديوية، وله غير ذلك كتب كثيرة<sup>(٤٧٩)</sup> لا محل لنكرها أكثرها موجودة في المكتبة الخديوية.

٣- " على بن إبراهيم نور الدين الحلبي القاهري " صاحب السيرة الحلبية، ولد في القاهرة وتوفي بالصالحية سنة ١٠٤٤هـ (١٦٣٤م)، أشهر مؤلفاته:

١- كتاب " إيمان العيون في سيرة الأمين والمأمون المشهور بالسيرة الحلبية، وقد طبع في ثلاثة مجلدات ضخمة.

٢- " النصيحة للعلوية في بيان حسن طريقة السادة الأحمدية " (أحمد البدوي)، منه نسخة خطية في مكتبة باريس.

٣- " عقد المرجان في ما يتعلق بالجان "، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية<sup>(٤٨٠)</sup>.

٤- " عبد السلام اللقاني" المتوفي سنة ١٠٧٨هـ (١٦٦٨م) تتقف على أبيه وورثة في التدريس بالأزهر، ومن مؤلفاته " كتاب ترويح الفؤاد بمولد خير العباد" ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

المحدثون كثيرون في هذا الدور، يضيق المقام عن ذكرهم فننقدم إلى

الفقهاء.

## ٥- الفقهاء

### الفقه الحنفي

١- " زين العابدين بن نجيم المصري" المتوفي سنة ٩٧٠هـ (١٥٦٣م) وله من المؤلفات:

١- كتاب الأشباه والنظائر، وهو موجود في كل المكاتب بأوروبا وغيرها، وطبع في الهند سنة ١٢٤١ (١٨٢٥م).

٢- الفتاوي الزينية في فقه الحنفية، منه نسخة في المكتبة الخديوية.

٣- الفوائد الزينية في فقه الحنفية، منه نسخة في مكتبة أيا صوفيا.

٤- للخير الباقي في جواز الوضوء في الفساق، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. وله كتب ورسائل أخرى في المكتبة الخديوية وسائر المكاتب. (٤٨١).

[ص/١٢٩/٢- شهاب الدين التمرناشي الغزي :

درس في غزة ، ثم في القاهرة حتى توفي سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٥م) ، وله:

١- " تنوير الأبصار وجامع البحار" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي أكثر مكاتب أوروبا والهند والأستانة. وله شروح عديدة لا محل لذكرها.

٢- " عمدة الحكام" منه نسخة في برلين.

٣- " الوافي في الأصول" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٤- " تحفة الأقران" أرجوزة مشروحة، منها نسخة في المكتبة الخديوية.

٥- " عقد الجواهر الليرات في بيان خصائص الكرام العشرة الثقات" منه نسخة في المكتبة الخديوية.

٦- " الفتاوي" ، فيه أيضا. (٤٨٢)

٣- " على بن محمد بن علي بن غانم المقدسي الخزرجي نور الدين":

ولد في القاهرة سنة ٩٢٠ (١٥١٤م) وتوفي سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٦) ، وتولى التدريس في الأزهر ، وله مؤلفات عديدة بقي منها خمسة أكثرها في الحديث، موجودة في المكتبة الخديوية خطية<sup>(٤٨٣)</sup>.

٤- " أبو الإخلاص المصري الشرنبلالي " :

من أكابر أساتذة الأزهر، توفي سنة ١٠٦٩، وخلف مؤلفات كثيرة في الفقه الحنفي<sup>(٤٨٤)</sup>، بقي منها ١٦ مؤلفا أكثرها خطي، ومنه أمثلة في المكتبة الخديوية بطول بنا تعدادها ووصفها، فإن ذلك من شأن تاريخ آداب اللغة العربية، وإنما أردنا هنا أن نأتي بأمثلة في حال العلم في العصر العثماني.

٥- " عمر بن عمر الزهري الأزهرى " :

وهو أيضا من أساتذة الأزهر، توفي سنة ١٠٧٩هـ (١٦٦٨م)، وله بضع مؤلفات، مها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وكلها في الفقه الحنفي<sup>(٤٨٥)</sup>.

٦- ومثله " إبراهيم بن سليمان الأزهرى " <sup>(٤٨٦)</sup> المتوفى سنة ١١٠٠هـ (١٦٨٨م) وغيره.

### [ص/١٣٠] الفقه المالكي

١- " ابن جبريل المنوفى المصرى الشاذلى " :

توفي سنة ٩٤٩هـ <sup>(٤٨٧)</sup>، وله كتاب " المناسك " و " تحفة للمصلحين " على مذهب الإمام مالك، وكلاهما في المكتبة الخديوية.

٢- " بدر الدين القرطابى المصرى المالكى " :

توفي سنة ١٠٠٩ <sup>(٤٨٨)</sup>، له رسائل في المذهب المالكي تزيد على ست، كلها موجودة في المكتبة الخديوية<sup>(٤٨٩)</sup>.

٣- " أبو النور المالكى " :

وهو أيضا من علماء المالكية الذين خلفوا أثارا، توفي سنة <sup>(٤٩٠)</sup>.

٤- " برهان الدين اللقاني المالكى " :

من أساتذة الأزهر، توفي سنة ١٠٤١هـ، خلف مؤلفات عديدة بقي منها ستة:

١- جوهرة للتوحيد ، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي أهم مكاتب أوروبا، لها شروح عديدة بعضها مطبوع في القاهرة.

- ٢- الفصول في الفقه.
- ٣- نصيحة الإخوان.
- ٤- مقامة في العشق.
- ٥- شرح الشمائل وكلها نسخ خطية في المكتبة الخديوية<sup>(٤٩١)</sup>.
- ٥- " نور الدين الأجهوري":  
ولد في أجهور شمالي القاهرة سنة ٩٦٧ (١٥٥٩م)، وتوفي سنة ١٠٦٦هـ —  
(١٦٥٦م) ، وكان شيخ المالكية في الأزهر، وخلف عدة مؤلفات بقي منها إلى الآن  
خمس عشرة، أكثرها موجود في المكتبة الخديوية<sup>(٤٩٢)</sup>.  
ومنهم أحمد الفيومي المتوفي سنة ١٠٨٤ (١٦٧٣م)، صاحب " حسن السلوك  
في معرفة آداب الملوك". و" عبد الباقي الزرقاني" المتوفي سنة ١٠٩٩ (١٦٨٨م)  
صاحب شرح مختصر الخليل. وغيره. و" برهان الدين الشبراخيتي، توفي سنة  
١١٠٦هـ ( ١٦٩٤م) ، صاحب شرح المختصر و" شرح الأربعين " ، وغيرهم.

### الفقه الشافعي

- ١- " زين الدين أبو يحيى زكريا الأنصاري":  
هو أشهر أئمة الشافعية في ذلك العصر. ولد في سفينة شرقي القاهرة، وتعلم وتنفذ  
[ص/١٣١] حتى صار أستاذا في القاهرة، ثم صار كبير قضاة الشافعية. وتوفي سنة  
٩٢٦هـ (١٥٢٠) وكان ثقة علامة ، خلف مؤلفات يزيد عددها على ٣٥ كتابا أكثرها  
لا يزال محفوظا خطيا في المكاتب الشهيرة في العالم المتمدن، وجانب كبير منها في  
المكتبة الخديوية ككتاب " اللؤلؤ العظيم في روم التعلم والتعليم" وكتاب " المعضد  
لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء" ، و" فتح الرحمان بكشف ما يلبس القرآن"  
و"فتح الجليل ببيان خافي أنوار التنزيل للبيضاوي" و" منهاج الطلاب في الفقه" ،  
وغيرها كثير، وهي فضلا عن وجودها في المكتبة الخديوية ، توجد أيضا في أهم  
مكاتب أوروبا.

- ٢- " شهاب الدين الرملي الأنصاري":

المتوفي سنة ٩٥٧هـ (١٥٥٠م) ، وهو من أساتذة الأزهر ، وله الفتاوي المعروفة  
باسمه، ومنها نسخة في المكتبة الخديوية وله غيرها<sup>(٤٩٣)</sup>.

٣- " شمس الدين الشربيني القاهري<sup>(٤٩٤)</sup> للخطيب":

المتوفى سنة ٩٧٧هـ ، له شرح " منهاج الطالبين" منه نسخة في مكتبة برلين. "والمرآة المنيرة في الإعانة على معرفة ربنا العليم الخبير"، طبع في القاهرة سنة ١٣١١ و" مناسك الحج " طبعت أيضا، وغيرها<sup>(٤٩٥)</sup>.

٤- " عبد الله بن بهاء الدين الشنشوري":

من علماء الأزهر بالقاهرة، توفي سنة ٩٩٩هـ (١٥٩٠م) له عدة مؤلفات منها: " المختصر في مصطلح أهل الأثر" له شروح. منها نسخ خطية في مكتبة برلين وخطا وباريس. "وقرة العين" و " الفوائد الشنشورية" و " اللؤلؤة السنية" وكلها موجودة في المكتبة الخديوية.

٦- ومنهم " عمر الفارסקوري<sup>(٤٩٦)</sup> المتوفى سنة ١٠١٨هـ (١٦٠٩م)، و" على الشيراملسي [١٣٢] المتوفى " <sup>(٤٩٧)</sup> سنة ١٠٨٧هـ (١٦٧٧م)، و"عبد اللطيف البشبيشي"<sup>(٤٩٨)</sup> المتوفى سنة ١٠٩٦هـ (١٦٨٥م) ، و" إبراهيم البرملوي" الأستاذ بالأزهر، توفي سنة ١١٠٦ (١١٩٤م) وغيرهم، ونجد من مؤلفاتهم أمثلة بالمكتبة الخديوية.

### الفقه الحنبلي

وظهر من الفقهاء الحنابلة بمصر في ذلك العصر: " إبراهيم الزيني الحنبلي" المتوفى سنة <sup>(٤٩٩)</sup>، وله كتاب: " روض المربي" في مناسك الحج- موجود في المكتبة الخديوية، واعتبر ذلك من سائر علوم القرآن.

### ٦- التصوف

وتاهيك بالتصوف، فقد نبغ فيه جماعة كبيرة بمصر، منهم: " على الشونى" المتوفى سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٧م) . و" أبو المكارم البكري الصديقي الأثعري" توفي سنة ٩٥٢هـ (١٥٤٥م)، وله بضعة وعشرون مؤلفا في التصوف، بعضها مطبوع والبعض الآخر موجود خطأ في المكتبة الخديوية وغيرها.

وأشهر المتصوفة في ذلك العصر:

" أبو المواهب عبد الوهاب الشعراي الأنصاري " ، عاش عيشة الصوفية وتوفي سنة ٩٧٣هـ (١٥٦٥م) ، وله مؤلفات تعد بالعشرات منها:

١- " الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة " ، وهي كالموسوعة في القرآن وعلومه ، واللغة والنحو ، والمنطق ، والتصوف ، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي مكاتب غوطا وبرلين .

٢- " اللواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر " ، طبع في القاهرة مرارا .

٣- " فرائد القلائد في علم العقائد " وغيره .

٤- أشهرها كتاب " لوامع الأنوار " المعروف بطبقات الشعراي ، طبع مرارا ، وغير هذه الكتب كثير لا محل لذكره<sup>(٥٠٠)</sup> .

[ص/١٣٣] ومنهم " كريم الدين الخلوتي " المتوفي سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) و" أحمد بن عثمان الشرنوبلي " توفي سنة ٩٩٤هـ (١٥٨٦م) وأحمد بن محمد المتبولي المعيد في المدرسة المؤيدية بالقاهرة توفي سنة ١٠٠٣هـ (١٥٩٤م) ، و" محمد الحجازي الجيزي " المتوفي سنة ١٠٠٣ (١٥٩٤م) وقائد بن مبارك الإبياري سنة ١٠١٦ (١٦٠٧م) والبرلسي سنة ١٠٩٧ (١٦٨٦م) وغيرهم .

#### ٧- سائر العلوم

فترى مما تقدم أن أكثر اشتغال أهل ذلك العصر بالعلوم الدينية ، من شرح أو تعليق ، أو اختصار أو نحوها ، على أنه نبغ فيهم غير واحد في العلوم الأخرى: فمن المنجمين: " بدر الدين سبط المارديني " توفي سنة ٩٢٤<sup>(٥٠١)</sup> وكان مؤتلفا في الأزهر ، وله عدة مؤلفات في التوقيت ، منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية<sup>(٥٠٢)</sup> و" عبد القادر المنوفي " المتوفي<sup>(٥٠٣)</sup> سنة ٩٨٠ (١٥٧٢م) كان مؤتلفا في مدرسة الغورية .

و" مصطفى بن شمس الدين الشركسي الدمياطي الخلوتي " المتوفي سنة ١٠٣٨ (١٦٢٨م) .

وعبد الله المقمسي الأزهرى " سنة ١٠٧٠هـ<sup>(٥٠٤)</sup> و" رضوان أفندي الفلكي الرزاز " سكن بولاق وتوفي سنة ١١٢٢ (١٧١٠م) وغيرهم .

ومن الأطباء في ذلك العصر:

"مدین بن عبد الرحمن القوسونى" (٥٠٥) توفى سنة ١٠٤٤هـ (١٦٣٤م) له كتاب "قاموس الأطباء" في المفردات، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

وشهاب الدين القليوبى" توفى سنة ١٠٦٩م (١٦٥٩م) له كتاب المصابيح المنية فى طب البرية، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. و" تذكرة في الطب" فيها أيضا، وله كتب في مواضع طبية وغيرها يزيد عددها على بضعة عشر مؤلفا (٥٠٦). أكثرها موجود في المكتبة الخديوية خطأ، وبعضها مطبوع، منها كتاب "تولدر القليوبى" طبع مرارا، وكذلك " تحفة الراغب" (٥٠٧) وغيره.

[ص/١٣٤] ومن العلماء الأعلام في كل فن وعلم:

" مرعى بن يوسف بن أبى بكر الكرمى زين الدين المقنسى" المعروف " بالشيخ مرعى". ولد في طول الكرم قرب نابلس، وتلقى العلم في القدس وفي القاهرة. استقر بالقاهرة أستاذًا للفقہ على مذهب الحنابلة في جامع " ابن طولون" حتى توفى سنة ١٠٣٣هـ (١٦٢٤م) ، وله مؤلفات عديدة، بقي منها ٢١ كتابا بعضها طبع وانتشر، والبعض الآخر لا يزال خطأ في المكاتب الشهيرة. فما طبع من كتبه كتاب، " بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات" طبع مرارا في الأستانة وبولاق والقاهرة. وما لم يطبع كتاب " قلائد المرجان في النسخ والنسخ من القرآن"، منه نسخ خطية في مكتبة برلين. وكتاب " الكلمات البينات" منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية، وغيرها كثير لا محل له (٥٠٨).

تلك خلاصة تراجم العلماء والأدباء والشعراء وأمثلة من مؤلفاتهم في الدور الأول في العصر العثماني بمصر على قدر ما يسمح به المقام، فلنعد (٥٠١) سياق التاريخ السياسي من الدور الثاني، فما بعده.

### [ص/١٣٥] الدور الثاني

من سيادة الدولة العثمانية على مصر

من سنة ١١١٥-١١١٧هـ (٥١٠) ومن ١٧٠٣-١٧٦٣م

### انتقال النفوذ إلى المماليك

استغرق هذا الدور ٦٢ سنة تولى في أثنائها على العرش العثماني أربعة سلاطين، ويمتاز عن الدور السابق أن النفوذ فيه تحول من الجند والباشا إلى البكوات للمماليك، وقبل التقدم إلى ذكر أخبار هذا الدور نمهد الكلام في المماليك وسيادتهم.

قد علمت من النظام الذي وضعه السلطان سليم عند فتح مصر أنه جعل للأمرء الذين بقوا من دولة المماليك عميلا يكون وسيلة للموازنة بين سلطة الباشا وقوة الجند لأن أولئك الأمرء كانوا أعداء لكلا الفريقين ، فجعلتهم حكاما على الأقاليم وهي ١٢ إقليما أو سنجقية ( مديرية )<sup>(٥١١)</sup> يتولى كلا منها أمير من المماليك بلقب بك ، ولذلك عرف الأمرء المماليك أيضا بالبكوات المصرية ، ومنهم أمير يتولى حكومة القاهرة كانوا يسمونه : " شيخ البلد " ومشيخة البلد منصب ضعيف في حد ذاته ، لكن الأحوال جعلته أهم مناصب مصر ، وكان الأمرء المماليك كعادتهم في أيام سلطنتهم يتقنون بالاستكثار من المماليك بالشراء ، ومنهم تتألف الأحزاب وينسب الحزب إلى صاحبه<sup>(٥١٢)</sup> أو زعيمه ، فيقولون مثلا : المماليك القاسمية نسبة إلى : " قاسم بك " والرضوانية إلى رضوان بك كما سترى .

وكانوا في أول سلطنة العثمانيين قد أدهشهم الفتح وقنعوا بالبقاء في مناصب الحكومة ، وكانت الدولة العثمانية شديدة ولها هيبة .

[ص/١٣٦] فلما ذهبت هيبتها بتوالي الزمن - كما تقدم - اشتدت سواعدهم وصاروا يحتقرون ولاتها ، ولاسيما بعد أن وقع الخلاف بين الباشوات والجند وتداخلوا ، وجعل للنفوذ يتحول إليهم رويدا رويدا على مقتضى الأحوال حتى صار منصب شيخ البلد أهم المناصب وصاحبه أعظم الأمرء ، وإليه يرجع الحل والعقد - فلنعد إلى سياق التاريخ .

### ١- سلطنة أحمد بن محمد

من سنة ١١١٥-١١٤٣ أو من ١٧٠٣-١٧٣٠

تولى السلطان أحمد المذكور وعمره بضع وثلاثون سنة ، وكان حكيما ، فأنعم على الإنكشارية بالأموال وفوض إليهم قتل المفتي " فيض الله أفندي " <sup>(٥١٣)</sup> لأنه قاومهم في أصلهم فلما استقر الأمر وثبت قدمه في الدولة ، اقتص من الإنكشارية ، فقتل منهم جمعا كبيرا وعزل رئيسهم - الأغا - وولى عليهم ابن اخته الداماد " حسن باشا " . ولكن الدسائس غلبت على هذا التعيين فعزل وتولى غيره ، وتكاثر عزل الصدور ، وشغلت الدولة بدخليتها عن خارجيتها ، ولم تنتبه لما كان يجريه " بطرس الأكبر " <sup>(٥١٤)</sup> ملك الروس في بلاده ولا إلى سياسته في خارجها ، وهي تقضي بإضعاف جيرانه حتى

يبتلعهم، وكان قد أخذ بإخراج مشروعه إلى حيز العمل، فحارب شارل لثناني<sup>(٥١٥)</sup> ملك أسوج وعلبه.

وأفضت الوزارة إلى " محمد باشا البلطجى " <sup>(٥١٦)</sup> فمال إلى إشهار الحرب على الروس وقاد الجيوش بنفسه. وبعد وقائع عديدة حصر العثمانيون إمبراطور الروس وامراته، ولو طال الحصار لغلّبوا على أمرهم وسلموا<sup>(٥١٧)</sup>، ولكن " كاترينا"<sup>(٥١٨)</sup> زوجة الإمبراطور " بطرس" استمالت " للبلطجى" المذكور، وأغرته [ص/١٣٧] بالجواهر، فأعطته كل ما كان معها منها، فرفع الحصار واكتفى بمعاملة لم تغن الدولة فتيلًا<sup>(٥١٩)</sup>.

وتوالى الصدور، وهم مختلفون ميلا إلى الحرب أو السلم فكانت حال الدولة تختلف لاختلاف ذلك مما ليس هو محل للكلام عليه. وفي عهد هذا السلطان، دخلت للطباعة المملكة العثمانية، وتأسست دار الطباعة في الأستانة بفتوى من شيخ الإسلام تقضى أن لا يطبع للقرآن بحروف للطباعة، خوفا من وقوع التحريف فيه<sup>(٥٢٠)</sup>، وتولى على " مصر " سنة ١١١٩ (١٧٠٧م) "حسن باشا" واليا<sup>(٥٢١)</sup>.

### قاسم بك ونو الفقار بك

#### أو المماليك القاسمية والفقارية

أما مصر فصار النفوذ فيها إلى الأمراء المماليك- كما تقدم- وكانوا في أيام هذا السلطان حزبين كبيرين يعرفان بالمماليك " القاسمية" نسبة إلى " قاسم بك" و" الفقارية" إلى "ذي الفقار بك" وكان هذا الحزبان لا ينفكان عن المنافسة، يحاول كل منهما لكتساب النفوذ دون الآخر.

أما أصل هذين الحزبين ففيه أقوال منها: أنهما ينسبان إلى أخوين هما: "قاسم بك" و" ذو الفقار بك" ولدي سويدون أحد أمراء المماليك في عهد السلطان سليم الفاتح" وأن السلطان سليم هو الذي نشطهما ونشط أحزابهما.

وقد ذكر " للجبرتي" لذلك قصة طويلة لا حاجة بنا إلى ذكرها<sup>(٥٢٢)</sup>.

وبعضهم يقول إن هذين الحزبين ينسبان إلى " قاسم عيولاط بك" للدتردار و" ذي الفقار بك الكبير" سنة ١٠٥٠هـ<sup>(٥٢٣)</sup>، وكان " قاسم عيولاط" رئيس للطائفة

القاسمية، و ذو الفقار رئيس الفقارية ، وكان لكل من هاتين الطائفتين مناقب خاصة بهاء " الفقارية" : كانت توصف [ص/١٣٨] بالكثرة والسخاء و " القاسمية" : بالثروة والبخل.

وشارة " الفقارية" : علم أبيض مزاريقه رمانة.

والقاسمية : علم أحمر.

وكانت هاتان الفتتان قبل تولى " حسن باشا" المتقدم بذكره في وفاق تام، فلما جاء خشى من اتحادهما فعمد إلى الدمائس، فألقى بينهما الشقاق فحصلت بين الطائفتين وقائع دامت ثمانين يوماً<sup>(٥٢٤)</sup>، فكانوا يخرجون من القاهرة إلى مكان يعرف بقبة العزب يومياً، ويأخذون في الكفاح من شروق الشمس إلى غروبها ثم يعودون إلى القاهرة، فيقضون الليل بسلام في بيوتهم بين نسائهم وأولادهم ثم يعودون في الصباح إلى المحاربة، ومن الغريب أن هذه المحاربات لم تؤثر في الراحة العمومية مطلقاً، فظلت الأشغال جارية في مجراها والحوانيت والمخازن تفتح وتغفل كالعادة<sup>(٥٢٥)</sup>

#### مشيخة إسماعيل بك<sup>(٥٢٦)</sup>

وانتهت تلك الوقائع بوفاة " قاسم عيواض بك" فأسف عليه الناس، وبكوه بكاءهم على حاكم عادل أو أب حنون بار، ولم يبق صديق إلا بكاه، لأنه كان فضلاً عن حكمته وعدله ودعته شجاعاً باسلاً أبي النفس، فأقاموا ابنه " إسماعيل بك " مكانه " شيخ بلد".

وقد تقدم أن مشيخة البلد منصب كان يتولاه أحد البكوات المماليك، كما يتولون إدارة المديرية، ويقابل محافظ القاهرة اليوم.

ولم يكن المنصب نفسه مهماً، لكن تراخى للباشوات واستفحال أمر المماليك جعل لهذا المنصب أهمية كبرى حتى أفضى بتوالى الأيام إلى صاحبه، وصار إليه الأمر والنهي - كما سترى.

ولما تولى السلطان " أحمد كان على مشيخة البلد " قاسم عيواض [ص/١٣٩] بك - المتقدم ذكره - فلما مات، خلفه ابنه " إسماعيل" وصادق الباشا<sup>(٥٢٧)</sup> على ذلك

لظنه أن إسماعيل لصغر سنه، يكون آلة في يده يديرها كيف شاء، فازداد كدر " ذي الفقار بك" واشتد حنقه، لأنه كان ينتظر أن يأول ذلك المنصب إليه.

وكان " إسماعيل " عاقلا حكيما كوالده، عارفا وجه الربح والحق ، فسعى في الوفاق مع طائفة للفقارية، فاتحدت للطائفتان على الباشا، وكان إسماعيل من الجهة الأخرى يظهر الطاعة وللرضوخ لأحكام الباشا لأنه رئيسه، لكنه لم ينفك ساعيا سرا في خلمه، فكتب عنه إلى الأستانة فجاز بعزله، فجاء غيره ثم أبدل بأخر فأخر " وإسماعيل بك" في منصبه يحبونه إلى ما يشبه للعبادة.

ومما يحكى عنه أن أحد تجار القاهرة في أيامه واسمه: " عثمان" باع لأحد التبرجية ( لقب للحرس السلطاني) ثلاثمائة قفة بن إلى أجل مسمى، وكتب عليه بذلك صكا، فقبل الاستحقاق جاء الأستانة إعلان بخيانة للتبرجي والحكم عليه بالإعدام حالا، فحى به إلى الباشا، فقتله، ووضع يده على تركته، وفيها اللبن كما هو، فطم " عثمان" التاجر بذلك، فعرض لإسماعيل ما كان من أمر اللبن فأجبر الباشا أن يرجع اللبن لصاحبه قبل كل شئ، ففعل، فأصبح " عثمان" في حال من الامتئان لا يعرف كيف يبينها، فلاح له أن يهديه عبة مرصعة، وبضعة قناطير من المسكر النقي، فرفض " إسماعيل بك" الهدية، وخاطب عثمان للتاجر قائلا: " إذا كان المال الذي حصلت عليه بواسطتى حقا لك، فأكون قد فعلت الواجب على، والله يكافئني، فإذا قبلت هديتك [ص/١٤٠] أظلم نفسي ، أما إذا كان هذا المال ليس لك وإنما حصلت عليه بالخيانة فقبولى هديتك يعد مشاركة لك في الخيانة، لكنني مع ذلك أقبل المسكر الذي حملته إلى على أن تقبض ثمنه من وكيلي لأنني سأمره أن يدفعه إليك".

ويحكى عنه أيضا انه كان يأدب في ليالي رمضان مآدبات يجتمع إليها العلماء والفقهاء ومشاخ والقراء للقرآن<sup>(٥٢٨)</sup>، ولم يكن يؤذن لغير هؤلاء في الحضور فيها، فرأى ذات ليلة رجلا بين الحضور عله ملامح للكتابة ، فأوصى بعض الخدم متى انفض الاجتماع، أن يأتوا به إليه، ففعلوا، فلما حضر بين يديه، أعطاه مصحفا، وأمره أن يتلوا عليه سورة، فتوقف للرجل وجلا، ثم ترمى على قدمي اللبكي متضرعا وقال: " يعيش سيدي اللبكي إني رجل نجار لا أعرف للقراءة، وإنما أتيت إلى هذه للمأدبة متكررا بثوب الفقهاء لأملأ جوفى من الطعام، فإني في حالة من الفاقة شديدة فلتنصفه.

ولم يكتف بالإغضاء عن ذنبه لكنه جعله في عداد خدمته، وجعل لعائلته راتباً معيناً وصار هذا اللجارج بعد ذلك من أصدق الخدمة وأكثرهم عزة وهمة<sup>(٥٢٩)</sup>.

ومازال " إسماعيل " بك شيخاً للبلد ١٦ سنة، تقلب في أثنائها على " مصر " عدة باشوات كانوا اسما بلا مسمى<sup>(٥٣٠)</sup>.

وكان لحسن سياسته قد أوقف الفقاريين عن كل حركة لتظاهرة أنه على وفاق معهم، فلم يترك لهم فرصة يتحدون بها عليه، على أنه لرتكب خطأ واحداً آل إلى قتله. وذلك أن أحد المماليك الفقارية واسمه " نو الفقار " أيضاً كان له عقار يقوم بنفقات عائلته، فاختلسه منه أحد [ص/١٤١] المماليك القاسمية - من مماليك إسماعيل - ، فرفع " نو الفقار " دعواه إلى شيخ البلد إسماعيل ، فلم يصغ لطلبه فرفع دعواه إلى زعيم الفقارية، ويقال له " شركس بك" ، وكان خصماً لإسماعيل بك بالفطرة، فسار إلى الباشا وخاطبه بشأن تصرف إسماعيل، وكان في قلب الباشا حزازات من الحسد عليه، فوافق على الإيقاع به، ثم قال له: " ليس لك وسيلة أفضل من أن تبعث أحد مماليكك وتأمره بقتله وأنا أجعل له جميع ما يتركه من المال والنساء مكافأة لأتعبه".

فوافق على رأيه، وعين لتلك الفعلة أول يوم يجتمع فيه الديوان، وأمر مملوكه " نو الفقار " أن يستعد لإجرائها<sup>(٥٣١)</sup>، فقبل اعتماداً على وعد الباشا، ففي اليوم المعين، جاء " نو الفقار " إلى الديوان وفيه " إسماعيل بك " فتقدم إليه وقبل يده قائلاً: أرجو أن تأمر بلرجاع عقاري إلى، فأجابه " إسماعيل بك " سننظر في طلبك هذا ، فألح عليه، فانتهره فاستل خنجراً ماضياً بقر به بطنه، فتدفقت أمعاؤه، ومات ساعته في وسط الديوان، فهجم رجال الباشا، وقتلوا كل من كان هناك من رجال إسماعيل<sup>(٥٣٢)</sup> بك سنة ١١٣٦هـ (١٧٢٣م) فنقلت جثته إلى بيته، ثم دفنت بجانب جثة أبيه بجوار باب اللوق<sup>(٥٣٣)</sup>.

فتولى مشيخة البلد " شركس بك " <sup>(٥٣٤)</sup> واستولى " نو الفقار " على جميع ممتلكات " إسماعيل " ونسائه حسب وعد الباشا [ص/١٤٢] فأصبح رجلاً عظيماً يشار إليه بالبنان، وفي حوزته مئات من المماليك، فخافه " شركس بك " وأخذ يسعى في إذاقته ما أذاقه لإسماعيل بك، فعلم " نو الفقار " بتلك الدساتس، فجمع إليه رجاله، وفيهم عدة من رجال العثمانيين، وهجم على شركس بك فجرت واقعة لم يستطع

رجال شركس اللثبات فيها أكثر من ربع ساعة قتل معظمهم، وفر الباقون، وزعمهم معهم يطلبون للصعيد وهو الملجأ الوحيد للبكوات المغضوب عليهم.<sup>(٥٣٥)</sup>

### نو للفقار بك (٥٣٦)

فتولى نو للفقار مكانه مع لقب بك، بعد أن أقر الباشا على ذلك، وأصبح نو للفقار عدوا لأتريبه من البكوات، وعلى الخصوص لأبي دغية، وسمى بذلك لأنه كان يتشح برداء كبير يقال له دغية، ثم أنبئ "نو للفقار بك" أن أبا دغية ساع في إهلاكه، وحاول بذلك مرارا ولم ينجح.

لما "شركس بك" فجمع دعاته في الصعيد، وسار بهم نحو للقاهرة، فأرسل "نو للفقار بك" "عثمان كاشف" أحد كبار قواده في فرقة من المماليك لمحاربتة، فتقهقر "شركس" ورجاله فرارا حتى لحق ببلاد البربر.<sup>(٥٣٧)</sup>

فسكر "ذو الفقار" من خمرة النصر، وأخذ في الانتقام من البكوات الذين في للقاهرة، وقتل منهم من يظن فيه الانتماء إلى "شركس"، وهم كثيرون - فتحد من بقى حيا مع رئيس للشرطة، والأغا رئيس الإنكشارية، وبعثوا إلى شركس بك بما كان من [ص/١٤٣] فعلة "ذو الفقار" وتماهدوا جميعا على محاربتة، وانضم إليهم "مصطفى القرد" وكا من أعداء ذي الفقار ومعه جماعة من الرجال الأشداء، فقسم "شركس بك" إلى القطر للمصري، فعلم "ذو الفقار" بذلك، فجمع إليه للعلماء والمشايخ، وشاورهم في الأمر، فأجمعوا على عدم مناسبة الهجوم في تلك الحال، إلا إذا تأكد الفوز، فلم يصغ لمشورتهم، فأرسل "عثمان بك" أحد قواته لمحاربة "شركس بك"، فحصل بينهما واقعة، قتل فيها "مصطفى القرد" وغرق "شركس بك" في النيل وهو يحاول الفرار.

فبعث "عثمان بك" برأسيهما إلى ذي الفقار، لما هذا فلم يهنأ بذلك للنصر لأنه قتل بعد قتل عدوه "شركس" بيومين.<sup>(٥٣٨)</sup> بمكيدة أعدها له البكوات في للقاهرة وذلك أنهم ألبسوا واحدا منهم دغية، وجاءوا به إلى بين يدي "ذو الفقار" وقالوا له: "هذا أبو دغية قد جعله الله في أيدينا". وكانوا قد جعلوا تحت دغيته عيارين ناريين، فلما وقف بين يديه، أطلقهما دفعة واحدة، فسقط "ذو الفقار" مضرجا بدمائه في وسط

ديوانه سنة ١١٤٢هـ (١٧٢٩م) ، فعلم " عثمان بك " بما أصاب رئيسه، فهرع للأخذ بنأره، فدخل القاهرة، وجعل يفتك بمن يصادفه في طريقه فخافه الجميع.

ثم أن " محمد بك " أحد البكوات الذين كان يترقبهم " عثمان بك " رأى منصب مشيخة البلاد خاليا فطمع فيه، فعاهد صديقه " صالح كاشف " على أن يقتلوا من بقي من زملائه البكوات بمكيدة ينصبها لهم، فأدب " محمد بك " مأدبة فاخرة دعاهم إليها [ص/١٤٤] ، فلجوا دعوته، ثم علموا بمكيدته فقاوموه مقاومة شديدة وتمكنوا من قتله، فياس " صالح كاشف " من مرامه، ففر إلى القسطنطينية بعد أن شاهد رؤوس البكوات ملقاة على الطريق أمام جامع الحسين.

ثم عقب هذه القلاقل ضربة أشد وطأة، نعنى الوباء الذي أصاب مصر فى تلك السنة، ويدعى طاعون الكي، فإنه انتشر فى البلاد انتشارا سريعا، وفتك فى العباد فتكا ذريعا ووافق كل هذه الضربات خلع السلطان أحمد الثالث فى جمادى الأولى سنة ١١٤٣هـ (٥٣٩) وهذه صورة نقوده وقد ضربت فى القاهرة بتاريخ سنة ١١١٥هـ.

## ٢- سلطنة محمود بن مصطفى

من سنة ١١٤٣-١١٦٨هـ ومن ١٧٣٠-١٧٥٤م

هو محمود الأول، ولد سنة ١١٠٨هـ (١٦٩٦م) فكانت سنه لما تولى العرش العثماني ٣٥ سنة، وكان النفوذ عند توليه لرئيس الإنكشارية حتى نقم عليه الإنكشارية أنفسهم، فقتلوه وعادت السكينة وأمن الناس.

وفى أيامه ظهر " نادر شاه " (٥٤٠) القائد الفارسي الملقب " بنابليون الشرق " [ص/١٤٥] لكثرة فتوحه وكانت الدولة تحارب الفرس، وكادت تذهب فيها (٥٤١)، فعاض (٥٤٢) " نادر شاه " ووقف فى طريقها.

وجرت فى أيام هذا السلطان حروب ومعاهدات مع دول أوروبا. وقد توفى السلطان المذكور، وأسفه (٥٤٣) العثمانيون لأنه كان عادلا حلما فيه ميل إلى المساواة بين الرعايا.

وفى أيامه اتسع نطاق المملكة العثمانية بآسيا وأوروبا وعقد معاهدة فى بلغراد مع الروس محت العار السابق (٥٤٤).

ومن آثاره أنه أسس أربع كتبخانات ألحقها بجوامع آيا صوفيا، ومحمد الفاتح، والولادة وغلطه سراي.

وكان الباشوات الذين تولوا مصر في أيامه أكثر أهلية من سابقهم، ولكن الأحكام كانت بالحقيقة قائمة بمشاخ البلد، ولهم الحل والعقد لا يستطيع الباشوات معارضتهم في شئ.

### مشيخة عثمان بك (٥٤٥)

بعد قتل ذي الفقار بك تولى مكانه عثمان بك، المتقدم نكره، فرقى كثيرين من ممالئكه إلى رتبة البكوية ليقوموا مقام الذين هلكوا بالحوادث الأخيرة. وكان "عثمان بك" حازما، ولكنه كان صارما لا يراعى في تنفيذ العدل جانبا، فعلم أن أحد بكواته سعى في إقليمه ظلما فاستدعاه إليه، فتحقق ارتكابه، فقطع رأسه. ويحكى عن "عثمان بك" حوادث كثيرة تشير إلى حزمه واستقامته، وقسطه، لا بأس من ذكر بعضها على سبيل المثال:

يحكى أن حمارا من حماري للقاهرة أراد ترميم مذود حماره، وهو يفعل ذلك عثر في أحد جدران البيت على [ص/١٤٦] وعاء مملوء ذهباً ففرح جدا، وأخذ للوعاء وسلمه إلى امرأته، وأوصاها أن تكتم الأمر لئلا ينكشف للحكومة، فتأخذ المال منه لأن لها وحدها الحق بالاستيلاء على مخزونات الأرض، فطلبت للمرأة من زوجها أن يبتاع لها حليا وثيابا فاخرة لتتمتع بتلك الهبة. فأبى زوجها إجابة طلبها لئلا ينول ذلك إلى كشف للحقيقة، فاعتظت، وأسرعت لساعتها ووشت به إلى "عثمان بك" فاستدعى الحمار، وبعد أن سمع حقيقة الحال صرفه قتلا: "احفظ ما وهبك الله، وطلق امرأتك، وعش بسلام".

ولما جاء الوباء إلى مصر (٥٤٦)، كان "عثمان بك" في أول حكمه، فلما رأى الجوع الذي عقب الوباء، فتح مخازنه وخزائنه، وفرق الأقوات والأموال في الناس. ومع ذلك لم يستطع للنجاة من مكابد نوي المطامع، وفي مقدمتهم "إبراهيم وإسماعيل رضوان" الأول كخيا الإنكشارية، والآخر كخيا للعزب، وكان كلاهما من الممالئك الولحد من طائفة للزردغلية، والآخر من طائفة للجلفية، وأصل الطائفة الأولى مملوك

يقال له : " للكردغلي" كان سروجيا، وأصل الطائفة الثانية " أحمد الجلفي" كان فـي أول أمره شبالا، وأغناه الله بطريقة في غاية الغرابة- لا بأس من ذكرها وهي :  
 جاء بعض المماليك إلى إحدى معاصر الزيت ليبتاع مؤونة بيته من الزيت مدة السنة، وكان " أحمد الجلفي" في تلك المعصرة، فابتاع المملوك الزيت، واستأجر " أحمداً" فحمله وسار معه حتى بلغ بيته، فأنزل الحمل ووقف ينتظر أجرته، فجاءه المملوك وطلب إليه [ص/٤٧] أن يساعده في إخفاء مبلغ من النقود في أحد جدران البيت، وألح عليه أن يكتم الأمر سرا، وأعطاه بضعة دراهم مكافأة لذلك فساعده، وأخذ الدراهم وسار في سبيله حامدا شاكرا. وبعد ثلاثين يوما اتفق له المرور بالقرب من ذلك البيت، فشهد جماهير متجمعة، ثم علم أن المملوك توفي وقد تركته للمبيع، فتقدم أحمد وابتاع البيت الذي فيه المخبأة، وبعد انفضاض الجمع استخرج النقود، وسار بها إلى قريته " جلف" في الصعيد وامتلك ممتلكات كثيرة.

ثم اتسعت ثروته، وما زال حتى أصبح زعيما لعصابة كبيرة نسبت إليه.

وكان " إبراهيم وإسماعيل رضوان" في بادئ الرأي على تباين كلي بالأدبيات والماديات: كان إبراهيم في ضيق من المعاش مع إقدام وبسالة ومطامع كبيرة. وكان "إسماعيل" غنيا بليدا لا يهमे إلا التمتع باللذات والشهوات. فكان إبراهيم في احتياج إلى إسماعيل ولذلك كان يتقرب منه، ثم تزوج " إبراهيم" ابنة " محمد البارودي" أحد التجار الأغنياء، وأخذ معها مالا كثيرا، فتمكن بذلك من التقرب إلى بيت شيخ البلد، وإلقاء المفاسد فيه بواسطة بعض المماليك والأتراك وغيرهم من ذوي الرتب، كان يستعملهم آلة لتنفيذ مآربه.

ثم تأتي له الارتقاء إلى رتبة البكوية مع صديقه "إسماعيل رضوان" فصار اسمه "رضوان بك" ، واتحد الاثنان على السراء والضراء، ووجدا ممتلكاتهما، واجتزءا بالسواء في محصولاتها، [ص/٤٨] فأوجس " عثمان بك" خيفة من سوعة نمو ثروتها، وملفأة لما كان يخشى حدوثه من طموح أنظارهما ضم إليه ثلاثة أحزاب: أحدهما حزب " إبراهيم بك القطامش" وفيه ثلاثة بكوات. والثاني حزب " على بك الدمياطي" وفيه بيكان والثالث حزب " على كخيا الطويل" وشاورهم في الأمر فأفكروا على قتل " إبراهيم بك"، وكان إذ ذاك كخيا الإنكشارية، و" رضوان بك" فولفقوه على ما أراد.

وكان وكيله أحمد السكري من مماليك " إبراهيم بك" فلم يمكنه كتمان ذلك عنه، فجاء إليه وأخبره بجميع ما كان من التواطؤ على قتله وقتل رفيقه فسار للحال إلى " رضوان بك" وأخبره وتشاوروا بشأن ذلك ، فقررنا نصب أجبولة بقتلان بسها " عثمان بك" ، فبعث إليه رجالا يترصده في طريقه إلى القلعة فمر ووثبوا عليه، ففر بجواده حتى دخل القلعة، ولم يظفروا به، فلاقاه وكيله وقد أضمر له الشر فسأله عما ألم به، فأخبره بما كان يفكره بلسان الثعلب ناصحا له أن يبرح للمدينة حالا، لأن الناس قد قاموا يطلبون قتله، وما زال حتى أقتعه ففر إلى " سوريا" وسار هو معه حتى إذا دنوا من غزة تتحى أحمد عن الطريق بوأختبا في قرية يقال لها : الأشرافية، بحجة استطلاع الأحوال لحماية " عثمان لك" فتربص هناك مدة ثم عاد إلى " القاهرة " بمن معه من المماليك، وسار إلى " إبراهيم بك" وأعلمه بما فعله، فكفأه على تلك الخيانة برتبة البكوية، وهم الأهلون ببيت عثمان فأحرقوه، واقتسموا تركته.

أما هو فوصل " سوريا" وحده، وسار منها إلى الأستانة، فولي [ص/١٤٩] بروصه ولبث فيها حتى توفاه الله<sup>(٥٤٧)</sup> . وجميع هذه الحوادث توالى على " مصر" في أثناء سنة ١١٥٦هـ (١٧٤٣) (٥٤٨).

### إبراهيم كخيا ورضوان بك

فلما خرج عثمان بك" من " مصر" صفا للجو " لإبراهيم كخيا" و" رضوان بك" . فعلا على قيادة الأحزاب التي تأمرت عليهما فأخذ" رضوان بك" على نفسه قتل "على كخيا الطويل" .

فأمر أحد مماليكه أن يقتله بالرصاص في وليمة حفلة، فلبى للملوك الأمر، لكنه أخطأ للرمي ، وعضا من أن يصيب " عليا" أصاب مملوكه الذي كان بجانبه، فقبض عليه وقتل للحال.

أما " إبراهيم كخيا" فتكفل لإهلاك من بقى من الأحزاب، وكان على ولاية مصر إذ ذلك " كيور أحمد باشا"<sup>(٥٤٩)</sup> فطلب إليه إبراهيم أن يوفقه على قيادة البكوات، فوافقه. وربما فعل ذلك، خوفا منه أو لأنه يعود عليه بالنفع للشخصي، واستعانوا بالنقود، فبذلوا فسهلت مشروعهم حتى قتلوا" على بك اللمياطي" بيد وكيله " سليمان" في وسط الديوان. وقد وعدهم هذا بتسليم رؤوس البكوات الآخرين من أحزابه، فلأمر

" إبراهيم كخيا" و" رضوان بك" أن تقفل جميع منافذ القلعة على من فيها من البكوات المنوي قتلهم، وجعلا على بابي الإنكشارية والعزب جندا، وحافظ " سليمان" على وعده، فبوشرت المذبحة وأول من قتل فيها " خليل بك" من دعاة " الدمياطي" و" محمد بك" من دعاة " قطامش" وكثيرون غيرهم.

وحاول " على بك" و" عمر بك البلاط" للفرار، فتبعهما الباشا بنفسه. ثم لاقاهما " إبراهيم" و" رضوان" وقتلاههما عند باب القلعة، ولم يدفن من القتلى إلا " محمد بك" و" خليل بك".

ولم يبق من مناظري " إبراهيم كخيا" و" رضوان بك" إلا " إبراهيم [ص/١٥٠] قطامش" و" على كخيا الطويل" ، فالأول مات من الحزن بعد مدة قصيرة، والثاني هاجر من تلقاء نفسه تاركا الدار تنعي من بناها، فصفا الجو لإبراهيم كخيا، فتولى مشيخة البلد وسمى " رضوان بك" أميرا للحج ثم جعل يتبادلان هذين كل سنة ، وعاد كل منهما إلى ميله الطبيعي: " إبراهيم " إلى مطامعه، و" رضوان" إلى ملاهيه، فأخذ " إبراهيم كخيا" يفسد الأحكام ، ويستخدمها لاسترجاع ما بذله للحصول عليها، فلم يفاذر وسيلة إلا استخدمها في سبيل مطامعه من قتل وهتك.

فابتدأ بسليمان قاتل " علي بك الدمياطي" ، فحجر عليه في القلعة، ولم يفرج عنه حتى استرجع منه ما كان أعطاه من النقود. ثم باغت من بقي من الأغنياء في القاهرة، ووضع يده على ممتلكاتهم بعد أن قتل بعضا منهم، وبقي البعض الآخر فاستولى في يوم واحد على أموال ثمانين بيتا من بيوت القاهرة ، ووضع يده على محصولات البلاد والجمارك والقرى والمخازن حتى الحوانيت الصغيرة، فلم يبق ولم يذر.

وكان " كيور أحمد باشا" قد استدعى إلى الأستانة، وولي حكومة قبرص فأقيم مقامه باشا<sup>(٥٥٠)</sup> آخر سنة ١١٥٦هـ فعامله " إبراهيم كخيا" بالاحتقار، فحقد عليه ، ثم اتفق غياب " إبراهيم" في قافلة الحج إلى مكة، فاغتم الباشا غيابه. وتواطأ مع " حسين بك الخشاب" على مكيدة يعدانها لإبراهيم. فاتفق على أن يقوم الخشاب بقتل " إبراهيم" ورفيقه " رضوان" [ص/١٥١] وأن يكافئه الباشا على ذلك بمشيخة البلد.

فلما رجع " إبراهيم" سعى " الخشاب" في إنجاز وعده، ففاز بالقبض على الاثنين، فسجنهما في القلعة، فولاه الباشا مشيخة البلد، لكنه لم يهنأ بها لأن دعاة "

إبراهيم كخيا " اتحدوا وهجموا على " حسين بك" والباشا، وأخرجوا المسجونين غفيرا للخشاب إلى مصر العليا واختبأ من إبراهيم في بلاد النوبة، أما الباشا، فاستدعى إلى الأستانة وعاقبه السلطان عقابا انتهى بالموت.

### نشأة علي بك الكبير

وكان في حوزة " إبراهيم كخيا" أكثر من ألفي مملوك، من جملتهم " علي" الذي سيلقب بعلي بك الكبير ويكون له شأن عظيم لهذا التاريخ، وسترى في سيرته أنه من أفراد الدهر حزما وبطشا وحكمة. وكان " علي" سلحدارا بين مماليك " إبراهيم كخيا" وكان إبراهيم يحبه كثيرا ويجل مواهبه حتى جعله ناقل سيفه. ومما زاده تعلقا به أنه لصطحبه إلى الحرمين في قافلة. وكان قد صار كاشفا فصار قائدا لتلك القافلة، فلاقاهم في الطريق عصابة من اللصوص، فدفعهم " علي" بقلب لا يهاب الموت، فلقبوه بالجنى. ولما رجع " إبراهيم كخيا" إلى القاهرة عزم على مكافأة " علي" برتبة بك، لكن صغر سنه وديسة الخشاب حالا دون ذلك .

ثم عقب بذلك مشاغل أكثر أهمية زاد الأمر تأخيرا [ص/١٥٢] وذلك أنه جاء للقاهرة خبر وصول باشا جديد إلى الإسكندرية بدلا من الباشا الذي أخرج منها، وكان من عادة رجال الحكومة في مصر إذا علموا بمجيئ باشا جديد أن يبعثوا وفدا يلاكونه في الإسكندرية، وفيهم العيون والجواسيس فيحيطون به يستطلعون مقاصده ونواياه ويطلعون على ما في يده من الأوامر السلطانية، فإذا رأوا تلك الأوامر سليمة ومقاصده حسنة رحبوا به وفتحوا له الطريق حتى يصل بسلام، فيحتفل الأمراء بقلته، أما إذا تبينوا من أحواله غير ذلك، وبلغوا الأمراء بالقاهرة فيجتمعون ويقومون بإعلانه أن يقف حيث هو ويكتبون إلى ديوان الأستانة بعدم موافقة ذلك لباشا الجديد، وأن يقاءه في مصر مخذ بالنظام العمومي أو ربما حمل للرعية على الثورة، ثم يطلبون استبداله بأخر أكثر موافقة للبلاد منه.

فلما اتصل بهم خبر قدوم هذا الباشا واسمه " راغب محمد باشا" (٥٥١) سار شيخ البلد بنفسه لاستقباله ومعه البكوات فخلع على كل واحد منهم خلعة كالمعتاد، ثم اجتمعوا جميعا بجلسة رسمية وأقسموا على الطاعة والإخلاص لأمير المؤمنين، وأحب الأمراء " راغب باشا" محبة عظيمة لأنه عرف كيف يعامل شيخ البلد، فأحبته

الرعية ومالوا بكليتهم إليه ففضى بين ظهرانيهم سنتين كلهما سلام وطمأنينة حتى أجمع للبكوات على استبقائه بينهم زمنا طويلا [ص/١٥٣] وهم في ذلك ، ورد إلى الباشا خط شريف أن يسعى جهده في قطع دابر البكوات، وفي جملتهم شيخ البلد ومن يلوذ به، فاستنتج الباشا من نص ذلك للخط أن ديوان الأستانة مشتبته بتصرفه في مصر وأنه وشى إلى جلالة السلطان بأن اتفاه مع بكوات مصر ليس إلا لعزمه على استخدامه في مآربه بالاستقلال بحكومة مصر وإخراجها من طاعة الدولة العلية. فوقع في حيرة وتردد بين أن ينفذ الأوامر للشاهانية مع ما فيها من الخطر، أو أن يعصياها، أو يؤخرها، فيعرض حياته للخطر ويؤيد التشنجات التي تقدمت بظهقه. وبعد أن نظر في المسألة من سائر وجوها، فضل الفتك بأصدقائه البكوات، فتواطأ مع عصابة من رجاله أنه متى اجتمع البكوات في مجلسه، ليكونوا على استعداد للهجوم عليهم معا عند أول إشارة.

فعلوا ما أمرهم به ، لكنهم لم يفوزوا كل الفوز لأن ثلاثة من البكوات تمكنوا من النجاة، وفي مقدمهم شيخ البلاد بعد أن جاهدوا الجهاد الحسن وأوسعوا الباشا تعنيفا على فعلته هذه التي لم يكونوا ينتظرونها من بعد ما أظهره نحوه من اللطف والإخلاص. فبرأ ساحته بإطلاعهم على الفرمان السري الوارد له بهذا الصدد. فكفوا عن الانتقام منه، لكنهم عزلوه. وكتبوا إلى الأستانة يطلبون بدله، وعينوا ثلاثة بكوات في مكان الثلاثة الذين قتلوا بتلك المكيدة.

واغتتم " إبراهيم كخيا" هذه الفرصة لترقية " على " كاشفا<sup>(٥٥٢)</sup> [ص/١٥٤] فرقاه إلى رتبة بك، فشق ذلك على أحد البكوات المدعو " إبراهيم بك شركسي المولد يعرف " بإبراهيم بك الشركسي " وكان من دعاة " إبراهيم كخيا" لكنه تظاهر عند ذلك بعداوته، ونمت بينهما الضغائن ولم تنته إلا بقتل " إبراهيم كخيا" بعد ذلك بخمس سنوات بيد " إبراهيم بك الشركسي" المذكور سنة ١١٦٨هـ (١٧٥٤م)، وفي تلك السنة ، توفي السلطان " محمود بن مصطفى" ، وهذه صورة نقوده مضروبة في القاهرة سنة ١١٤٣هـ .

## [ص/ ١٥٥] سلطنة عثمان بن مصطفى

من سنة ١١٦٨-١١٧١هـ

أو من ١٧٥٤-١٧٥٧م

هو عثمان الثالث، ولم يحكم إلا ثلاث سنوات لم يحدث في أثنائها<sup>(٥٥٣)</sup> ما يستحق الذكر في المملكة العثمانية حتى في مصر. فلن " إبراهيم الشركسي" شفي غلبه بقتل " إبراهيم كخيا" لكنه لم يرو مطامعه، لأن مشيخة البلد انتقلت إلى " رضوان بك " صديق " إبراهيم كخيا".

ثم ظهر لرضوان منافس آخر من زعماء حزب إبراهيم يقال له " حسين بك" <sup>(٥٥٤)</sup> أصبح بعد قتل الكخيا أكبر رجال ذلك الحزب، فدعى لنفسه الأولوية بمشيخة البلد، فلم تقبل دعواه، فجمع إليه بعض دعائه للمماليك، وصعد إلى قلعة القاهرة واستولى على بطارية من المدافع تشرف على بركة للفيل حيث يقيم رضوان بك" فأطلق بعض القنابل على المنازل، فخرقت جدرانها، فتداعت أركانها " ورضوان بك" مشغول بحلقة لحيته، فلما أحس بالأمر، طلب جواده، ولم يعمل ظهره حتى أصيب برصاصة كسرت فخذه، وتمكن من الفرار ومعه بعض المماليك إلى قرية للشيخ " عثمان" وهناك توقف عن المسير لزيادة الألم، ومعه رئيس الضابطة، وكان مجروحاً ثم توفي الاثنان ودفنا معا.

سمى " حسين بك" من ذلك الحين " شيخ البلد" وأخذ يتقرب من أترابه لبيكوات وهم لا يزيدون منه إلا نفورا. ولم تمض بضعة أشهر من توليته، حتى كمنوا له في مكان مصاطب الشباب في السهل الواقع بين القاهرة وأرض " إبراهيم بك" وكان مشتغلا بعرض جنوده للمماليك، فهموا به ونبحوه [ص/ ١٥٦] ثم قطعوه إربا إربا " وصلر يعرف من ذلك الحين بحسين بك المقتول<sup>(٥٥٥)</sup>، وتولى مكانه " خليل بك" واشتهر بحب القتل. وكان متظاهرا بالعداوة والحمد لعلي بك على الخصوص لاعتقاده أنه أشد أعدائه وطأة وأقوام عزيزة.

سلطنة مصطفى بن محمد

من سنة ١١٧١ - ١١٨٧ هـ

أو من ١٧٥٧ - ١٧٧٤ م (٥٥٦)

وهو "مصطفى الثالث" تولى الملك وسنه ٣٢ سنة (٥٥٧) وكان ميالا إلى الإصلاح بوزر له " راغب باشا" (٥٥٨) وهو ذو حزم ونشاط وعمل، فأعانه في ما أراده من الإصلاحات وحفظ السلام طوال حياته. فلما توفي عادت " روسيا " إلى الحرب، وكانت " كاترينة" الثانية (٥٥٩) إمبراطورة الروس، قد تولت العرش الروسي بعد " بطرس"، فعينت صديقها " ستسلاس يونياتسكي" ملكا على " بولونيا" وكان بذلك مخالفا للمعاهدة بين " روسيا" والدولة، وإنما عمدت " كاترينة" إلى خرق هذه المعاهدة عملا بوصية " بطرس الأكبر" وهي تقضي أن يبذل الروس جهودهم في إزالة الحواجز الثلاثة الحائلة بينهم وبين أوروبا الغربية، وهي " أسوج" (٥٦٠) و" بولونيا" و" الدولة العثمانية وقد أزيل الحاجز الأول باستيلاء " الروس " على الولايات الأسوجية الفاصلة بينها وبين " ألمانيا"، وأزيل الثاني تقريبا بتعيين أحد أتباع الإمبراطورية على " بولونيا"، ولم يبق إلا إزالة الدولة العثمانية من " أوروبا".

فنبهت الدولة لهذا الخطر، لكن بعد فوات الفرصة، إذ كان ينبغي لها أن تتجد شارل الثاني عشر (٥٦١) على " الروس" ولكنها عمدت [ص/١٥٧] إلى استتراك ما فات، وفتحت حربا طال أمدها، وتعاطم لهيبها، وبنلت كل من الدولتين جهدهما في التغلب، وأرسلت " روسيا" عمارتها إلى البحر الأبيض لمصادرة السفن العثمانية وضرب الثغور العثمانية فاغتمت "على بك الكبير" تلك الفرصة، واستعان " بالروس على استقلاله بمصر في الدولة العثمانية (٥٦٢) كما سيحي.

وكان " على بك " كثير الإخلاص " لإبراهيم كخيا" لا ينفك ساعيا في الانتقام له، ولكنه كان يرى السبيل الأقرب والأسهل لبلوغ مرامه، إنما هو القوة، فأخفى ما في ضميره ثماني سنوات، اشتغل في أثنائها بجمع القوة، فابتاع عددا وافرا من المماليك ووطد علاقته مع البكوات الآخرين واكتسب تقتهم بما كان يظهره من الغيرة عليهم والإخلاص لهم، وما كان يكرمهم به من الهدايا. وما زال يخطو خطوة بعد أخرى حتى اقترب من النقطة المطلوبة، فأوجس " خليل بك " خيفة منه، وجعل يتجسس حركاته بالأرصاد والعيون، وبعد المكائد في شوارع " القاهرة".

ففي ذات يوم هجم عليه " حسين كشكش " (٥١٣) " بأمر خليل بك" وبعد وقعة هائلة اضطر " على بك " أن يفر إلى الصعيد في طائفة من اصدقائه البكوات، يستعد للانتقام مضاعفا.

فصرح " خليل بك " أن " على بك " وأتباعه البكوات مجردون من رتبهم وحقوقهم، وولي مكانهم بكوات من نويه، وقتل من ظفر به في القاهرة من اصدقاء " على بك" أو المنتمين إليه، أما " على بك" فالتقى في الصعيد بواحد من مماليك "مصطفى أنور" يدعى " صالح بك" (٥١٤) كان منفيا هناك وفي قلبه من " خليل بك " حزازات [ص/١٥٨] فاتحد الاثنان ورجالهما وزحفا على " القاهرة " فخرج " خليل بك " و " حسين كشكش " ، فدارت رحى الحرب ، فكان للفوز " لعلي " ورفيقه. فطاردا " خليل بك" ورجاله حتى قطعوا مديرية " القليوبية" وأوصلوهم إلى المسجد الأخضر على ضفاف النيل، واشتد الكفاح هناك، فالتجأ " خليل بك " ورجاله إلى " طنطا " . فبعث " على بك " كاشفه " محمد الملقب " بأبي الذهب" ليهاجمهم، فهاجمهم ، واستلم " طنطا" بعد أن قتل " حسين كشكش " . أما " خليل بك فاختبأ بالمسجد وبقي فيه، وقد غلبه للجوع، ثم قبض عليه، ونفي إلى " الإسكندرية " وخنق هناك، ونقلوا رؤوس القتلى إلى القاهرة، وطاقفوا بها في أسواقها(٥١٥).

### الدور الثالث

#### سيادة الدولة العثمانية على مصر

أو

على بك الكبير

من سنة ١١٧٧-١١٨٧هـ (٥٦٦)

أو من سنة ١٧٦٣-١٧٧٤

فتمكن " على بك" بهذا الانتصار من استلام مذيخة البلاد " في القاهرة" سنة ١١٧٧هـ (٥٦٧)، ولول أمر باشره قتل " يراهيم الشركسي" الذي قتل سيده، فنشرت عليه أحزابه يطلبون الانتقام، وهم عديدون، فخاف على بك على حياته ففر إلى " سوريا" وللتجأ إلى متسلم ( حاكم ) بيت المقدس، وكانت بينهما صداقة قديمة إلا أن هذا للملجأ لم يحمه إلا شهرين، لأن أعداءه البكوات لما علموا بمقره [ص/١٥٩]

شكوه للسلطان" مصطفى" وأخبروه بمقره. فأنفذ إلى متسلم القدس فرمانا يأمره به أن يرسل " على بك" مخفورا إلى الباب العالي.

فعلم " على بك" بذلك، ففر إلى " عكا"، وهناك اكتسب صداقة الشيخ" ضاهر العمر" (٥٦٨) أمير تلك المدينة الحصينة فأكرم وفادته وسعى في تبرئته أمام الباب العالي، وبمساعدة نصرائه من أصدقاء " إبراهيم كخيا" اكتسب له العفو من الحضرة السلطانية ، فألغيت الأوامر بالقبض عليه. وأعيد إلى " القاهرة" بمنصبه الأول.

وفي سنة ١١٧٩هـ - (١٧٦٥م) أي بعد ذلك بستين، هدد" على بك" بالإقالة من ذلك المنصب، وذلك أن " محمد راغب باشا" الذي كان على مصر وعزل منها" على ماهر بك" كان يتذكر كرم أخلاق " على بك" منذ كان كاشفا، فبعد استقالته من مصر، ولي بر الأناطول(٥٦٩)، وبعد تسع سنوات صار صدرا أعظم، وما انفك متذكرا صداقة " على بك" لا يفتر عن معاضدته، وتسهيل مطالبه سرا وجهرا.

ففي سنة ١١٧٩هـ (٥٧٠)، توفي الوزير " محمد راغب باشا" المذكور، فأصبح " على بك" في حاجة لمن يعضده، فاغتنم أعداؤه هذه الفرصة، ووشوا به إلى الأستانة، فاضطر أن يفر إلى اليمن، ولم تأت سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) حتى عاد إلى القاهرة، واسترجع منصبه بمساعدة أحزابه وموت أربعة من دعاة " إبراهيم الشركسي". ثم تراءى له أن صديقه " صالح بك" تحدثه نفسه بخرج حرمة الصداقة، واتباع داعي المطامع الشخصية، فوكل أمر قتله إلى " إبراهيم كاشف" أحد أتباعه، فقتله طعنا(٥٧١)، وسرى أن " إبراهيم" هذا سيرتقى حتى يتولى مشيخة البلد.

[ص/١٦٠] ورأي " على بك" أن قبائل العربان في مصر السفلى قد شقت عصا الطاعة، فأنفذ إليها أحد مماليكه المدعو " أحمد" في فرقة من الرجال، فحارب أولئك العربان، وأمعن في قتلهم حتى لقبوه بالجزار، وهو الذي تولى " عكا" بعدئذ واشتهر " بأحمد باشا الجزار" أما من بقى من أعداء " على بك" فخافوا ولزموا للسكوت، وتحقق تخلصه من القلائل والمفاسد والمقاومات، ورأي من باب الاحتياط والحرص أن يرقي ثمانية عشر مملوكا من أتباعه إلى رتبة البكوية لينصروه وقت الحاجة وهي أسماؤهم:

١- من جورجيا

١- رضوان ابن أخيه

٢- من جورجيا

٢- على الطنطاوي

من جورجيا	٣- إسماعيل
من جورجيا	٤- خليل
من جورجيا	٥- عبد الرحمن
من جورجيا	٦- حسن من
من جورجيا	٧- يوسف
من جورجيا	٨- ذو الفقار
من جورجيا	٩- عجيب
من جورجيا	١٠- مصطفى
من أماسيا	١١- أحمد للجزار
لنكشاري	١٢- سليم أغا
لنكشاري	١٣- سليمان كخيا
شركسي	١٤- لطيف للشركسي [ص/ ١٦١]
شركسي	١٥- عثمان
شركسي	١٦- إبراهيم
شركسي	١٧- مراد

ولهذين الأخيرين شأن في هذين<sup>(٥٧٢)</sup> التاريخ لأنهما سيبتازعان السلطة

بمصر.

١٨- محمد

وكان يعز محمدًا أكثر من الجميع وستراه رجلا عقوقا منكرا للجميل<sup>(٥٧٣)</sup>. ولما تقلد البكوية، لقب بأبي الذهب، فأحب أن يجعل هذا اللقب اسما على مسمى، فتظاهر بالكرم المفرط وبدلا من أن يفرق العطايا بالبارات، فرقها بالأرباع. أما " على بك " فكان ساهرا مصلحة البلاد سهرا تاما، وكان مخلصا في أعماله، فطهر البلاد من اللصوص، وسعى جهده في إصلاح شئونها، فساد الأمن فيها بعد أن كانت معرضا للقلق والمفاسد. ولم تقف مطمح " على بك " عند هذا الحد، فإنه رأى من تحامل اللواشين بينه وبين ديوان الأستانة، وإيقاع ذوي الأغراض به وبسلطته، ما حمله على السعي في الاستقلال بمصر، وتجريدها من رعاية الدولة العثمانية، لكنه كتم مقاصده، وجعل يسعى في تنفيذها تحت طي الخفاء.

## مساعيه في سبيل الاستقلال

وأول خطوة خطاها نحو هذه الغاية، أنه انتحل أسبابا بنى عليها عزل مستخدمى الملكية والجهادية ورؤساء الوجاقات، واستبدلهم برجال على دعوته إلا وجاق الانتشارية فإنه لم يمسه بعد أن [ص/١٦٢] تمكن من استبقائه تحت حمايته، وسد جميع السبل التي يمكنه بها التطرق إلى مقاومته . وأخر دفع مرتبات الوجاقات الأخرى عمدا ، وصار يدفع رواتبهم أقساطا عملة ورق بول كان تخسر المائة منها تسعين، فكان يربح أرباحا عظيمة باسترجاع الورق بالأثمان البخسة، وصرفه ثانية بثمنه الأصلي، فلما رأت رجال الوجاقات أنهم لا يستولون من ماهياتهم إلا على العشر، كرهوا، الاستخدام بالمسكرية، وجعلوا يستقبلون منها شيئا فشيئا ويتعاطون أشغالا أخرى أكثر فائدة لهم.

ثم سعى في تقليل العساكر العثمانية واستخدام المماليك من دعائه حتى صاروا نحو ستة آلاف، وحظر على سائر البكوات والكشاف الذين يخشى تغييرهم عليه أن يقتنى أحدهم أكثر من مملوك أو مملوكين. وكان على ولاية مصر إذ ذاك "محمد باشا"<sup>(٥٧٤)</sup> فازعته إجراءات "على بك" وخشى عاقبتها، فنصح له أن يقف عند حده، فلم يكثرث بقوله. فأقر على مقاومته لأن هذه الإجراءات مضادة لمصلحة الباب العالي، ولكنه لم يكن يستطيع المجاهرة بمقاصده هذه. فأخذ يدسها سرا، واتحد مع من بقى من دعاة "إبراهيم الشركسي" وأجمعوا على الانتقام من "على بك" ثم جعلوا يسعون فسادا بين أحزابه واستجلبوا بعضا منهم إلى جانبهم بالمواعيد المبنية على الحسد والطمع. وفي جملة هؤلاء "محمد بك أبو الذهب" الذي طمره "على بك" بفضلته حتى أزوجه ابنته وكان يناديه كما ينادي أولاده. ولم يكونوا يستطيعون تنفيذ مآربهم جهارا، فأغروا صهره "محمد بك" المذكور بالمال ووعدوه إنه إذا قتل "على بك" يتولى المشيخة [ص/١٦٣] مكانه، فقبل.

لكنه علم بعدئذ أنه يقصر عن مناوأة "على بك" واستعظم الجناية، فعدل عنها إلى جنابة تقرب منها، وذلك أنه شكى إلى "على بك" "معاملة الباشا له، فأسرع إلى إنقاذه منه، وما انفك عن الباشا حتى أخرجه من مصر، فعاد إلى الأستانة، ولم يزد "على بك" إلا ثقة في "محمد بك أبو الذهب" وإخلاصه له، رغم ما كان ينقل إليه من السعى ضده.

وفي سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) انتشبت للحرب بين روسيا والدولة العلية، فبعثت هذه إلى مصر أن تمدّها باثني عشر ألفاً، فوصلت الأوامر لعلي بك بذلك ومشروعاً لم ينضج بعد فلم يسهه إلا مباشرة ما أمر به لما ابتدأ بجمع الجنود. أما أعداؤه فاغتموا تلك الفرصة للوشاية، فضموا إليهم الباشا الجديد<sup>(٥٧٥)</sup> الذي كان قد أرسل إلى<sup>(٥٧٦)</sup> القسطنطينية بدلا من الباشا الذي أخرجه " علي بك ". واتفقوا جميعاً على كتابة تقرير أمضاه الباشا وسائر البكوات أعداء " علي " يشنون به إلى لديوان الشاهاني بدعوى أنه إنما أراد بما يجمعه من الجيوش معاضدة روسيا للاستقلال بمصر، فأنفذ لديوان الشاهاني إلى الباشا أمراً مشدداً أن يقتل " علي بك " ويرسل رأسه إلى الأستانة.

فاتصل ذلك لعلي بواسطة أصدقائه بالأستانة فبعث " علي بك طنطلوي " أحد دعاة في عشرة من أتباعه للمماليك، متكرين بلباس اللبدو ويكمنون على مسافة قصيرة من القاهرة حيث لابد للقاجي باشي<sup>(٥٧٧)</sup> حامل ذلك لفرمان من المرور به، فمكثوا هناك ثلاثة أيام . وفي الرابع بان لهم للقاجي ومعه أربعة رجال، فوثبوا بهم [ص/١٦٤] وقتلوهم وطمروهم بالرمل، وأخذوا ملابسهم والفرمان وصاروا إلى " علي " قرأه. ثم جمع إليه ديوان البكوات العمومي وأطلعهم عليه وأقنعهم أن ذلك ليس لقتله وحده بل لقتلهم جميعاً، ثم خاطبهم قائلًا:

" دافعوا إذا عن حياتهم وحقوقهم واعلموا أن مصر ما برحت منذ القدم بحكمها دول من للمماليك كانوا سلاطين أشداء تفاخر بهم الأرض السماء فأعيدها إليهم، وهذه فرصة لا يضيعوها. فإنهم لن تعثروا عركم على فرصة مثلها. هلم إذا نسعى في الاستقلال، فإن فيه حياتنا وحررتنا".

### استقلال علي بك بمصر

فتأثر البكوات من فصاحة " علي " وبلاغته<sup>(٥٧٨)</sup>، وكانوا ثمانية عشر، قد أجمعوا على دعوته، فعاهدوه على الدفاع عنه ما استطاعوا إلى الدفاع سبيلاً. أما سائر الأمراء المماليك من أعدائه فخافوا العاقبة، ولزموا للسكوت، فكتب ديوان " علي بك " أمراً إلى الباشا أن يبرح للديار المصرية في ٤٨ ساعة، وإذا لم يفعل، يقتل وأن مصر قد أصبحت مستقلة، وبعث علي إلى الشيخ " ضاهر العمر " أمير عكا يعلمه

رسميا باستقلال مصر، ويدعوه للمساعدة في ذلك، فأجابته الشيخ ضاهر مسرورا، وجمع إليه رجاله ورجال بنيه السبعة وصهره. وانضم الجميع إلى جنود " على " وكان قد أضاف إلى الستة الآلاف التي عنده من المماليك الاثنى عشر ألفا التي جمعت مددا للعثمانيين، وأضاف إلى هذه أيضا رجال أصدقائه البكوات حتى رجال أعدائه لأنهم لم يعد يسعهم إلا طاعته.

فاتصل ذلك بالأستانة، فأرسل الباب العالي أمرا إلى والي دمشق [ص/١٦٥] أن يسير في ٢٥ ألفا لمنع جنود عكا من معاضدة " على " فسار الوالي في ذلك العدد من الرجال، فلاقاه الشيخ " ضاهر " في ٦ آلاف بين لبنان وبحيرة طبرية، وردده على أعقابها سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) ، وكانت هذه الواقعة آخر الوقائع لأن الباب العالي أمسك بعدها عن إرسال الجند كأنه نسي علاقته مع " سوريا " و " مصر " بالكلية.

أما " على " فاعتتم اشتغال الدولة العلية بالمحاربة مع روسيا وصرف عنايته في تنظيم مملكته الجديدة، وإصلاح داخليتها من الخلل. فخفض الضرائب وجعل على المالية مدير الكمرك القديم المعلم " ميخائيل فرحات القبطي " بدلا من يوسف بن لاوي الإسرائيلي<sup>(٥٧٩)</sup> وكان قد قتل جزاء خيانتة. ونظم التجارة الخارجية والمواصلات، وأبعد العربان إلى الصحراء، فاستولى الأمن وانتشر الإصلاح في القطر، فزادوا على القاب " على " لقب بلوط قبان (مبيد اللصوص)<sup>(٥٨٠)</sup>.

### قبيلة الهوارة

وكان في جملة القبائل النائرة على " مصر " قبيلة " الهوارة " وهي أشدهن بأسا وأطول باعا. جاءت في الأصل من ضواحي تونس الغرب، واستقرت بين " جرجا " و " فرشوط " في بقعة من الأرض لم تكن تصلح للزراعة. فاعتنوا فيها حتى أنشأوا عدة قرى - ومازوا ينشرون سطوتهم حتى احتلوا البقاع بين هوارة وكفر الشيخ سليم.

ثم اغتتم الشيخ " هامان " <sup>(٥٨١)</sup> -شيخ الهوارة- اشتغال مصر بما تقدم، ووضع يده على البلاد من " أسبوط " إلى " أصوان " <sup>(٥٨٢)</sup> وجمع إليه محصولاتها، وكان قد حارب هذه القبيلة كثيرون ممن تولوا مصر قبل " على " وفرضوا عليها ضريبة مقدارها ٢٥٠ ألف أردب من الحنطة توردها سنويا إلى مصر.

[ص/١٦٦] ففي سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) أرسل " علي بك " صديقه " محمد بك أبا الذهب" لمحاربة الشيخ " هامن" وقبيلته فحاربهم وتغلب عليهم في أواخر تلك السنة. فاضطر أبناء للشيخ أن يبتاعوا حياتهم بما لديهم من ثروة أبيهم، فربح أبو الذهب " من ذلك مالا كثيرا ثم أسرع إلى " للقاهرة " لما علمه من الدساتيس التي كان ساعيا بها رفيقه " أحمد بك للجزار" على " علي بك" وكأنه لم يكن يريد أن يشاركه أحد بالدساتيس على سيده<sup>(٥٨٣)</sup>.

وكان " أحمد الجزار" ينظر إلى أبي الذهب نظره إلى عدو يناظره في ارتكاب الدنيايا، فسعى في قتله، فلم ينجح وكان لأحمد للجزار سيف مشهور بطيب فولاده، وإتقان صنعه، فاتفق يوما أنه اجتمع " بمحمد أبي الذهب" فقال له " محمد" : " لربي حسامك لأجرين فرنده"<sup>(٥٨٤)</sup> فأجابته أحمد " لا يستل حسامي حتى يستباح قتيل"، ثم نهض للحال، وغادر للقاهرة قاصدا " للقسطنطينية" فوصلها، ثم عهدت إليه ولاية " عكا" بعد ذلك وما زال بها حتى توفاه الله<sup>(٥٨٥)</sup>.

### فتوح علي بك ومعاهدته

لما " علي بك " فبعد أن تغلب على الصعيد، ثار في خاطره حب الاقتتاح، فجرد على " اليمن " جيشا تحت قيادة " محمد أبي الذهب" فسار في عشرين ألفا، فقطع برزخ السويس ن ومضيق العقبة، ولم يبق على أحد من القبائل التي حاولت للوقوف في طريقه، وما زال حتى أتى اليمن وافتتحها.

وأمر " علي " فسار " إسماعيل بك " في ثمانية آلاف لاقتتاح للسواحل للشرقية للبحر الأحمر و" حسن بك" لاقتتاح " جده" ن ولقب الجدوي بإشارة إلى انتصاره على تلك المدينة، وما [ص/١٦٧] زال يعرف بهذا اللقب من ذلك الحين، ولم تمض سنة أشهر حتى افتتحت جزيرة العرب وفي جملتها " مكة المشرفة"<sup>(٥٨٦)</sup> ولحق بها نهب شديد وأنزل شريفها، وأقيم مقامه ابن عمه الأمير " عبد الله" فوافق عليها على سلطته وسماه " سلطان مصر وخاقان البحرين" ، فعل ذلك بصفته الدينية تلقا لطي.

فلما حصل على بك " على ذلك من شريف مكة ، أخذ يتمتع بحقوق السلطنة، فأمر أن يخطب باسمه في الصلوات العمومية أيام الجمعة<sup>(٥٨٧)</sup>، وضربت النقود باسمه سنة ١١٨٥ (١٧٧١م) في القاهرة، كما سئرى.

وسعى " على بك " في هذه السنة في أمر سبق به إلى حتفه، وذلك أنه عهد إلى " محمد أبى الذهب " أن يسير في ثلاثين ألفا<sup>(٥٨٨)</sup> لإخضاع بلاد الشام لأنه كان يعتبر هذه الولاية بعد خروجه من طاعة الدولة العلية عدوا قريبا يخشى منه على نفسه وعلى صديقه ومحالفه الشيخ " ضاهر ". وكان ينظر إلى " سوريا " كأنها جزء طبيعي من مملكة مصر، وكانت في الواقع قسما منها في سائر أزمنة التاريخ التي كانت فيها مصر مستقلة، في الدولة الطولونية والفاطمية والأيوبية والمماليك وغيرها. وسعى " على بك " في التحالف مع الدول التي بينها وبين الأستانة عداوة، فاستخدم تاجرا إيطاليا اسمه " روستي " <sup>(٥٨٩)</sup> عقد له معاهدة سلمية مع البندقيين على أن يكونوا حلفاءه، ثم عهد إلى رجل أرمني اسمه " يعقوب " أن يستطلع من الكونت "لكسيس اورلوف" قومندان القوات الروسية في البحرين ( المتوسط والأسود ) عن عقد معاهدة دفاعية هجومية مع قيصرة الروس " كاترينا الثانية " فأجاب الكونت بالإيجاب [ص/١٦٨] وفتحت المخابرات بشأن ذلك، وطال أمرها كثيرا لبعده المسافة بين الطرفين.

أما جنود " على بك " في سوريا، فصاحبها الظفر واتحدت بجنود الشيخ " ضاهر " فاستولوا على " غزة " و " الرملة " و " نابلس " و " القدس " و " يافا " و " صيدا " ، وأخيرا حاصروا دمشق " ولم تلبث يسيرا حتى سلمت<sup>(٥٩٠)</sup>.

### خيانة أبى الذهب

فلما رأى " محمد أبو الذهب " تمام هذه الفتوح العظيمة على يد من حدثته نفسه أن يجعلها لنفسه، ثم قادته مطامعه إلى محاربة على ، واستخراج مصر من يده، ويظن أنه لم يقدم على ذلك من تلقاء نفسه، وإنما حمل [ص/١٦٩] عليه بأوامر جامة من الأستانة لأن المخابرات السرية كانت متواصلة بينه وبينها بواسطة الباشا الذي أخرجه " على " من مصر، فأمسك " محمد " عن المسير في البلاد العثمانية، وحول شكيمة مقاصده نحو الديار المصرية.

فجمع ما كان لديه من الجيوش، وضم إليها للحاميات التي كان قد أقامها في المدن المفتوحة، وسار قاصدا مصر لكنه لم يجسر على المسير إلى القاهرة رأسا خوفا من الإنكشارية واللوجات الأخرى لعلمه بما في قلوبهم من الضغينة عليه. فرجع نحو الصحراء حتى أتى الصعيد. فحط رجاله هناك، واستولى على أسبوط في آخر يوم من سنة ١١٨٥<sup>(٥١١)</sup> ثم استقدم قبائل العربان وطلب محالفتهم ومخالفة بكوات الصعيد، وجهر بعزمه على خلع " على بك " وسار قاصدا للقاهرة، فوصلها في أوائل سنة ١١٨٦هـ (١٨٨٢م)، فنزل بجيشه تجاه البساتين فوق مصر القديمة.

فلما علم " على بك " ندم على ما وضعه من الثقة في رجل كان له أن يعتبر من سيرته الماضية أنه على غير الإخلاص والاستقامة، فجدد ٣ آلاف رجل بقيادة "إسماعيل بك" وأمرهم أن يمنعوا محمدا من عبور النيل، فسار إسماعيل، لكنه خلف سطوة عدوه، وورد عليه كتب مفعمة بالمواعيد يمازجها بعض التهديد فأخذ جانبه، وضم جيشه إلى جيشه فقطع " محمد بك " النيل، فاستقبله رجال إسماعيل بالترحاب، فاتصل ذلك بعلي فينس من الفوز، فانقطع إلى القلعة بأهله وأصدقائه ورجال دعوته، وقد عزم على المدافعة إلى آخر نسمة من حياته.

#### [ص/١٧٠] على بك في عكا

وبعد ثلاثة أيام، ورد إليه كتاب من الشيخ " أحمد " أحد أبناء صديقه الشيخ " ضاهر " أن يبرح للقاهرة حالا ويأتي إلي أبيه في " عكا "، فخرج على من القلعة بمن معه وسار من جهة للجبل الأحمر طالبا سوريا عن طريق الصحراء، وكان خروجه قبل دخول " محمد بك " القاهرة بيوم واحد، أي مساء ٩ محرم سنة ١١٨٦هـ<sup>(٥١٢)</sup> وهذه هي المرة الثالثة لخروجه منها إلى " سوريا " وفي معيته عدد يسير من الجند لا يبلغ ستة آلاف معظمهم من الخدمة الذين لا يستطيعون الدفاع، ولم يحمل معه من المال إلا ثمانمائة ألف زر محبوب يحملها ٢٥ جملا، ونقل معه المصوغات والحلي ما يساوي أضعاف ذلك.

وما زالوا في المسير ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى خان يونس في حدود سوريا بعد ثلاثة أيام. فرأوا أن خمسة من الجمال الحاملة للنقود قد ذهبت فريسة بيد للقبائل البدوية، وأن عددا من رجاله فروا، ومعهم " يوسف للخزندار "، وفي اليوم التالي دخل " على بك " غزة، ثم واصل السير حتى أتى " عكا " بعد ثمانية أيام،

فرحب به أميرها وكانت بينهما مودة شديدة، فاطمان " على بك" هناك غير أن ما تكبده من المشاق في الأسفار مع ما أثر في نفسه من الغيظ للشديد غير صحته ، فلم يصل "عكا" إلا وهو في حالة الخطر من شدة المرض.

وفي أثناء ذلك وصل ميناء عكا أسطول روسي، فلما علمت حاميته بما حلّ " بعلي بك" عقدوا معه معاهدة ثانية وقدموا له كل ما يحتاج إليه من المؤن والذخائر. وكان في خدمة ذلك الأسطول فرقة من [ص/١٧١] الألبانيين مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل، فأمدوه بهم، فلما رأى " على بك" ما كان من نجدة الروسيين مع ما يمكنه الحصول عليه من جنود " ضاهر" عزم على مناوأة " أبي الذهب لكنه لم يكن يستطيع مباشرة ذلك بنفسه لانحراف صحته، فعهد إلى " على بك الطنطاوي" بعد ثلاثة أشهر أن يسيروا أولا لاسترجاع المدن السورية التي دخلت في حوزة " محمد أبي الذهب" فسار واستولى على " صور" و" صيدا" وقرى أخرى من سواحل سوريا، كانت قد احتلتها جنود عثمانية بعد انسحاب جنود " أبي الذهب".

ثم سار " على " بنفسه مع من بقى من الجند إلى " يافا" وافتتحها بعد محاصرة خمسة أشهر استولى في أثناءها على " غزة " عنوة وعلى " الرملة" و" اللد" تسليمًا. فأعاد " يافا " إلى حكومة الشيخ "ضاهر" وجعل على " اللد " حسن بك" الجداوي، وعلى الرملة " سليم بك" .

#### محمد بك أبو الذهب

وفي ٩ القعدة سنة ١١٨٦هـ (٥٩٣) كان " على بك " في " يافا" فجاءته رسل من القاهرة بمهمة سرية من وفاق الإنكشارية والوجاقات الأخرى، وسألوا أعيان القاهرة: أن " محمد أبا الذهب " دخل القاهرة حالما خرج هو منها، وسمى نفسه شيخ البلد، وجعل يعيث في البلاد عيثا لم يسبقه إلى مثله أحد ممن تولى مصر قبله، فجعل الضرائب ضعفين، وبعضها ثلاثة أضعاف، ثم اختلق قانونا غريبا دعاه: قانون رفع المظالم، والمقصود منه بحسب الظاهر إنقاد ملتزمي الأموال الاميرية من الإجراءات الاستبدادية التي كان يسومهم إياها الكشاف إلى ذلك العهد واستبدالها بما يعود بالمنفعة. والحقيقة أن الضرائب [ص/١٧٢] ما انفكت أشد وطأة من ذي قبل ، والإجراءات لم تزد إلا استبدادا فضلا عما رافق ذلك من الفتك بالعباد قتلًا ونهبًا.

ثم قالوا إن مصر بجملتها لما رأنا ما وصلت إليه من الانحطاط، وما لحق بأهلها من المظالم التي ما أنزل الله بها من سلطان قد أنابتهم أن يبلغوا " على بك " أنها بصوت واحد تلتهم رجوعه ليحكم فيها لأنه هو منقذها الوحيد، وأن مدينة القاهرة مستعدة أن تفتح أبوابها لاستقبال أميرها القديم وأن تدافع عنه الدفاع للممكن إذا حاول " محمد بك أبو الذهب" ما يخالف الصوت للعمومي.

### خروج على بك لمحاربة أبي الذهب

فلما علم " على بك " بكل ذلك ، شعر أن أماله عادت إليه وبـرح " يافا " للحال قاصدا للقاهرة، ولم يكن معه من الجنود إلا ألفا وخمسمائة، فاستجد حاميات " اللد " و " الرملة " وانضم إليهم جنود الشيخ " ضاهر " و جنود ابنه الشيخ " شبلي " وصهره الشيخ " كريم " ، و " حسن " شيخ صور، وكان قد استأجر ثلاثة آلاف وخمسمائة من المغاربة ، فكان عدد جنوده جملة ثمانية آلاف محارب.

ففي ١١ محرم سنة ١١٨٧ هـ<sup>(٥١٤)</sup>، وصل " على بك " إلى خان يونس، وفي ٦ منه<sup>(٥١٥)</sup>، اقترب " من الصالحية"، وفي ٨ منه<sup>(٥١٦)</sup>، التقى بمقدمة جيوش " محمد أبي الذهب" وعدتهم اثنا عشر ألف مقاتل، وبعد محاربة بضع ساعات ظهر " على بك" عليهم وقتل عددا غفيرا من رجالهم. فانفتحت له أبواب " الصالحية " فدخلها وقد أصيب بجروح بليغة.

ثم علم أن اعتماده على أحزابه في القاهرة لا يورثه إلا للخيبة لأن أبا للذهب كان قد جمع إليه كبراء البلاد ورجال [ص/١٧٣] حكومتها لما علم بمظاهرتهم " لعلي " وأقنعهم أن " على بك" قد غدر الأمة وخان الوطن وأباح دماء للمسلمين بمعاهدته مع الروسيين وغيرهم من الأمم النصرانية. واستخدم " أبو الذهب " في سبيل ذلك إقناعهم، الدرهم الواضح، فانحازت إليه القوات العسكرية إلا و جلق الإنكشارية، فإنه ظل على ولاء " على بك " .

فلما تحقق " أبو الذهب" اجتماع الأحزاب على دعوته لمن الاضطرب للداخلي فسار بنفسه لمحاربة علي.

لما " على " فانزعج لتلك الأحوال انزعاجا كثيرا فضلا عما كابد من المشق في السفر، وقطع الصحراء، وزد على ذلك الجروح التي أصابته في وقعة

"الصالحية" فأصيب بحمى شديدة عجز معها عن ركوب جواده وقيادة جنوده، وفي ٢٠ محرسنة ١١٨٧هـ<sup>(٥١٧)</sup>، علم بمجئ "أبي الذهب" وهو على ما تقدم م المريض فلم يتردد في وجوب الدفاع، فأمر قواده فانتظمت رجاله على قتلها وتهيأت للدفاع، وكان على أحد جناحي الجيش "على بك الطنطاوي" ومن معه من البكوات، وعلى الجناح الآخر ابن الشيخ ضاهر وصهره، فاستظهرت جنود على بادئ الرأي حتى قاربت الفوز التام.

ثم أرسل أبو الذهب "بعض جواسيسه إلى المغاربة في جيش على بغريهم على خيانة رئيسهم، فوافقوه، ووافقه غيرهم كثيرون من بكوات على، وفي جملتهم "إبراهيم بك" و"مراد بك" وهذا الأخير اشترط أن يأخذ مقابلا لخيانته هذه ما يخلفه "على" من المتاع والنساء وخصوصا امرأته "نفيسة" وكان "على" يحبها ويحترمها لما كانت عليه من الفطنة والجمال [ص/١٧٤] فلما انتشبت الحرب في الصباح التالي، انحاز جميع المغاربة والبكوات الذين خانوا، إلى عسكر "أبي الذهب" وكانت جنود "على بك" قريبة من الفوز. فلما رأت تلك الخيانة تضعضعت، وفر الجند يطلبون النجاة بأنفسهم بعد أن قتل "على بك الطنطاوي" و"الشيخ شبلي" ونجا "الشيخ كريم" و"الشيخ حسن" و"رضوان بك" من المعركة وساروا إلى فسطاط "على بك" وأعلموه بما حصل، وطلبوا إليه أن يمنطى فرسه، ويسير برفقتهم إلى غزة، حيث يلاقيهم الشيخ "ضاهر" بمن معه من الجند.

### مقتل على بك

أما "على بك" فأبى نفسه الإصغاء لما أرادوا، فجلس بباب خيمته وقال لهم: "إني ملازم هذا الموضع لا أبرحه حتى تبرحنى نفسي، لأن الموت هنا أفضل عندي من الفرار، أما أنتم إذا شئتم للنجاة بأنفسكم، فبادروا إلى الفرار قبل أن يغشاكم ما ربما لا تقوون على دفعه"

فاضطر ابن أخيه ورجاله الباقون أن يذعنوا لما أمر، فودعوه، وحولوا الأعداء في طريق خان يونس، فاصدين "غزة" فلقوا الشيخ "ضاهرا" هناك، فأعلموه بما كان، وبوفاة ابنه فأسف كثيرا.

ومكث " على بك " بعد ذهاب أصدقائه بضع ساعات ينتظر منيته، وجانبه عشرة من مماليكه وإذا بخمسين رجلا تحت قيادة للكخيا، نائب " محمد أبى الذهب" قد وصلوا الخيمة ودخلوها وقتلوا من كان فيها من المماليك. ثم وثبوا على " على"، وكان المرض مشتدا عليه وفيه جروح، لكنه نهض بسيفه فقتل أول قادم عليه، وجرح اثنين آخرين [ص/١٧٥] فخاف الباقون الاقتراب منه، فأطلقوا عليه البنادق فجرحوه جروحا بليغة في نراعه اليمنى وفخذة، فجعل يدافع ببسراه دفاعا شديدا إلى أن وثب عليه الكخيا بنفسه، فدافعه" على " حتى أصيب بنراعه اليسرى، وفي أماكن أخرى، فسقط على الأرض وهو لا ينفك عن الدفاع، فتكاثر عليه للرجال حتى أمسكوه حيا. وساروا به إلى " محمد أبى الذهب " وطرحوه عند قدميه فأمر بحمله إلى القاهرة، فحملوه وأنزلوه في داره بدرج عبد الحق في شارع البكري (وراء صندوق الدين) فلبث فيها سبعة أيام ثم توفاه الله (٥١٨). وقد قال بعضهم لن " أبى الذهب " أدخل السم في جراحه فقتله- والله أعلم-، ودفنوه بترية أستاذه " إبراهيم كخيا" بجوار الإمام الشافعي. وكان لموت هذا الرجل تأثير عظيم في قلب كل من عرفه حتى أبى الذهب نفسه لم يسهه إلا الندم في سره، لما فرط منه، وما أتاه من نكران الجميل وارتكاب مثل هذه الخيانة.

#### مناقبه

ومن مناقب " على بك" أنه كان عظيم الهيبة حتى لتفق لأناس نهم ماتوا خوفا من هيئته، وكانت تأخذ الرعدة بعضهم بمجرد المثل بين يديه، فيأخذ هو بتلطيف رعبه فيقول " هون عليك"، وكان صحيح الفراسة، شديد الحنق، يفهم ملخص للدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهيم إلى ترجمان أو من يقرأ له للصكوك والوثائق بل يقرأها هو بنفسه، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم فحواها (٥١٩)

#### [ص/١٧٦] مآثره :

البنية العظيمة " بطنطا"، وهي المسجد والجامع والقبّة على مقام السيد البدوي، والمكاتب والمبضاة الكبيرة، والحنفيات، والمنارتان العظيمتان، والمسبيل المواجه للقبّة، والقيسرية العظيمة، وجدد أيضا قبة الإمام الشافعي، وبنيات ووكالات

في بولاق مصر<sup>(١٠٠)</sup>، ولا يزال هذا الرجل مميزا عند المؤرخين بلقب الكبير، فيدعونه: " على بك الكبير".

وقد ضرب نقودا باسمه بمصر، وقد أضاف اسمه إلى اسم السلطان أحمد خان على الطغراء اسم السلطان المذكور، واسم " على " على الجانب الآخر.<sup>(١٠١)</sup> وبموت " على بك " انتهى الدور الثالث من سلطة العثمانيين على مصر.

### [ص/١٧٧] الدور الرابع من سلطنة

العثمانيين على مصر

من سنة ١٨٧ - ١٢١٣هـ

ومن<sup>(١٠٢)</sup> ١٧٧٤ - ١٧٩٨م

لم يتوال على العرش العثماني في أثناء هذا الدور إلا سلطانان<sup>(١٠٣)</sup>، مدة حكمهما جميعا ٢٥ سنة ، والحال متضعضة كما سترى.

#### ١- سلطنة عبد الحميد الأول

من سنة ١١٨٧ - ١٢٠٣هـ

ومن ١٧٧٤ - ١٧٨٩م

هو ابن السلطان أحمد، تولى العرش العثماني وسنه خمسون سنة، وكان قد قضى مدة حكم أخيه مصطفى محجورا عليه في قصره - كما جرت العادة- ولم يستطع توزيع المال على الجند حسب العادة، لنضوب الخزينة في الحروب الماضية وكانت قد عادت ظافرة منها<sup>(١٠٤)</sup>، فأخذت روسيا تستعد لاسترجاع ما فقدته من الشهرة ففي تلك السنة، زحفت جنودها على نهر الطونة<sup>(١٠٥)</sup> واجتازته، فاعترضهم العثمانيون وهزمهم، وعادوا فقتلوا وتحاربوا، وانتهت الحرب بمعاهدة<sup>(١٠٦)</sup> في يوليو سنة ١٧٧٤ كانت روسيا في الراجحة، لكن العثمانيين تفرغوا لإصلاح داخليةهم والتأهب للمستقبل ، فرموا الأسطول، واشتغلوا بالإصلاح، وتعنت روسيا على القرم وضمتهما إلى أملاكها، ولم يحرك العثمانيون ساكنا.

أما حال مصر، فبعد وفاة على بك " عاد وادي النيل إلى ما كان عليه قبله تابعا لأملاك الدولة العلية، وعادت أحكامه إلى مشايخ البلد والكشاف الذين جعلوا تلك

للمناصب وسيلة لاختلاس أموال الناس، وحقوق الدولة ، وكان " على بك" قد جعل [ص/١٧٨] لهذه المظالم حدا، وأصلح الشنون حتى علقت الآمال باعتراز مصر ورفع شأنها، فلم تبق المنية عليه.

نعم إن مصر بعد وفاته عادت إلى كنف الدولة العثمانية لكنها بالحقيقة لم تعد لها شيئا، لأنها كانت في الحالة الأولى طعمة لرجل محب للإصلاح، مخلص بمقاصده، وإن كانت بمعزل عن سيادة الدولة، فأصبحت في الثانية طعمة لثلاثين رجلا كل منهم يسعى في ابتلاعها، لا يتفقون إلا على كره الدولة التي هم تحت حمايتها.

لما السلطان عبد الحميد، فلم يكن يرسل إليها من الولاة إلا من كان اسما بلا مسمى، كما كان شأنهم قبل ظهور " على " فكان الباشا من هؤلاء آلة يديرها البكوات كيف شاعوا، ولم يكن لديه من الأعمال إلا مخابرة القسطنطينية مرا بما كان يقع بين هؤلاء البكوات من الخلاف، وما كانوا يتداعون إليه من الخصام، وواجبات المهمة أن يستلم الجزية من الحكومة المصرية، ويرسلها إلا الأستانة إذا تمكن من قبضها.

### أبو طيق وعزل الباشاوات

فكانت ولاية مصر منصبا يستحي العقلاء من قبوله لأنهم كانوا يعتبرونها منفى استحقه الباشا أو الوزير الذي يرسل إليها<sup>(٦٠٧)</sup>. وكان يعلم قبل خروجه من الأستانة أنه إذا لم يكن راضيا بما يرضاه شيخ البلد لا يلبث أن يصله منه رسالة ينقلها ناقل يقال له: الأوطه باشي، وفيها الأمر بعزله، أمر لا مرد له ولا مجال للمدافعة بعده . وكيفية ذلك أن شيخ البلد ورجاله إذا رأوا في تصرف الباشا ما يوجب [ص/١٧٩] للشك اجتمعوا اجتماعا عموما في الديوان وقرروا عزله، وكتبوا بذلك أمرا يصلونه إلى الأوطه باشي ليوصله إلى الباشا، فيحمله ويسير على حمار - لأن للقانون لا يسمح له بركوب الخيل أو البغال - وبين يديه فرمان العزل. فإذا مر بالأسواق على هذه الصورة ، علم الناس أنه ساع في أمر هام فيه عزل. فيهرولون وراءه، ولا يزال سائرا في عرض الطريق قائدا لتلك الجماهير نحو القلعة. ومن واجبات أي جندي لقيه في تلك الحال أن يرافقه لقاء ما يخشى عند وصوله للقلعة.

فإذا وصل القلعة يدخل على الباشا، ثم يجثو أمامه باحترام ووقار. وعندما ينهض يطوي السجادة التي كان جاثيا عليها وينادي بأعلى صوته: " انزل يا باشا" وعند طي السجادة، والتلفظ بهذه العبارة تسقط [ص/١٨٠] كل حقوق الباشا، ولا يبقى له أقل سلطة على الجنود التي كانت قبل بضع دقائق تحت أمره، وتصير تحت أمر الأوطه باشي، وكانوا يسمونه " أبو طبق"<sup>(١٠٨)</sup> لأنه كان يلبس على رأسه قبعة مثل الطبق، والباشا يقف ممتلا يسمع تلاوة فرمان سواء كان منطوقه بعزله أو بقتله، فلا يسهه إلا الطاعة التامة، على مثل ذلك كانت معاملة باشوات مصر<sup>(١٠٩)</sup>.

لما مات " على بك" ، اختلف أعداؤه في القاهرة على الاجتزاء من انتصاراتهم، فكان كل منهم يظن لنفسه الحق بالتمتع بأثمار انتصاره كغيره أو أكثر، فاختلفت الأحزاب من بينهم. أما من بقى من رجال " على بك" فلم يجدوا مكانا فيه راحة لهم، وكانوا في " عكا" عند الشيخ ضاهر - على ما تقدم - فتقهقر " أبو الذهب" لأنه كان يحب الانتقام ، حبا يفوق التصديق وقد آلى على نفسه ألا يبقى على أحد من رجال "على".

أما الشيخ ضاهر - أمير عكا- فلم يعد يطيب له السكن بعد أن خسر ابنه في سبيل نصره " على بك" فثارت في خاطره بواعث الانتقام، ولكن " أبا الذهب " لم يعد يستطع صبورا على ذلك. فاسترحم من الباب العالي أن يسمح له بالمسير لإخضاع " سوريا" ولا سيما " عكا". واتهم أميرها ضاهرا بالعصيان، وأنه ساع ضد الدولة. فأجابه الباب العالي بفرمان يثبت في مشيخة البلاد مع لقب باشا ورتبة والي القاهرة، مكافأة لما أتاه من كسر شوكة " على" وأحزابه ، وأذن له أن يتتبع ذلك الشيخ العاصي.

فلما وصل فرمان إلى " أبا الذهب" كاد يطير من شدة الفرح وأعد جيشا تحت قيادته واستخلف في مصر إسماعيل [ص/١٨١] بك، وعهد حكومة مدينة القاهرة إلى " إبراهيم بك" ، وسار في جيشه إلى " سوريا" ولم تنته سنة ١١٨٩ (١٧٧٥م) حتى دخل فلسطين. وكان لشدة عجبه بما أوتيته من الألقاب والرتب وما وعده به الباب العالي من المساعدات لا يزيد إلا كيرا حتى جعل خيمته التي يستريح فيها من أثنى ما يكون، وزينها بأبدع زينة. فمر "بخان يونس" ، " فالرمله" ولم يلاق مقاومة، أما " يافا" فكان عليها الشيخ " كريم" صهر الشيخ " ضاهر" فدافعت قليلا

ثم فتحت عنوة، فدخلها رجال أبي للذهب، وقتلوا القسم الأعظم من سكانها رجالا ونساء، وشيوخا وأطفالا.

فبلغت تلك الفواحش مسامع الشيخ " ضاهر " وهو فى عكا، فخلف أن يصيبه ما أصابها، ففر بعائلته وبمن هاجر إليه من المصريين، ولم يترك فى المدينة إلا ابنه " عليا".

ولما علم باقتراب جيوش أبي الذهب، أخلى للقلعة وانسحب منها لاعتقاده أنه إذا حاول الدفاع إنما يحاول عبثا، فوصلها " أبو للذهب " وأبوليها مفتوحة، فدخلها ولم يبق عليها، ففي هذه المدينة انتهت فظائع هذا الرجل، لأنه بينما كان عازما على العود إلى مصر، أصبح القوم فوجدوه ميتا فى خيمته، ولم يعرفوا القاتل رغم ما اتخذوه من الاحتياطات وما كان لديهم من القرائن الكثيرة. فقال بعضهم إنه أصيب بنقطة- وهى داء السمكة- وقال آخرون إنه مات مقتولا بيد عدو فاك- والله أعلم .

وبعد موت أبي الذهب، عادت الجيوش المصرية تحت قيادة " مراد بك" إلى مصر ومعهم جثة رئيسهم<sup>(١١٠)</sup>، فدفنوها بالقرب من مدفن "على بك"، ومات أبو للذهب بعد موت على بك بسنتين ولقب بالخائن<sup>(١١١)</sup>.

### [ص/١٨٢] مشيخة إسماعيل بك

وتولى مشيخة البلاد بعده" إسماعيل بك " ولم يبق غيره من رجال" إبراهيم كخيا"، وهو من الذين نالوا البكوية بواسطة على بك، وكان لا يزال على دعوته، وإنما انضم إلى " أبي للذهب" خوفا، وقلبه لم يفتّر لاهجا بالمدافعة عن رئيسه، لأنه لم يأت نحوه إلا ما يستدعي نصرته فضلا عن أنهما من طائفة واحدة.

فلما استلم زمام الأحكام نسج على منوال " على بك" فبعث إلى رجال حزبه الذين كانوا لا يزالون فى سوريا فاستقدمهم إليه، وأقرهم فى أملكهم، وطيب خاطرهم استعدادا لمقاومة " مراد بك" و " إبراهيم بك" مناظريه<sup>(١١٢)</sup> على مشيخة البلاد. وكانا قد اتحدا على خلع " إسماعيل بك" فطلبوا لولا طرد " حسن بك للجدوي" صديق " إسماعيل بك " فلم يفوزا، لكنهما تمكنا من احتلال للقلعة، فالتحد " إسماعيل بك " و"حسن بك" وأخرجاهما منها، ففرا إلى الصعيد، ثم جمعا حزبا كبيرا، واستعدا لقتال إسماعيل ، فبعث جيوشا لتخمد أنفسهما، فعادت على أعقابها وفاز الأميران فاضطر

"إسماعيل بك" إلى مغادرة القطر المصري فيم الأستانة. أما "حسن بك" فقبض عليه ونفي إلى جدة بحرا، فاحتال أثناء الطريق فأرضى رئيس المركب الذي نقله، فأنزله في القصير على سواحل القلزم<sup>(٦١٣)</sup>، ومن هناك قطع الصحراء غربا حتى أتى الصعيد فاستكن فيه.

### مراد بك وإبراهيم بك

فلما خلا الجو " لمراد بك " و " إبراهيم بك " اقتسما الأحكام فتعين الأول [ص/١٨٣] أميرا للحج. والثاني شيخا للبلد ورقيا كثيرين<sup>(٦١٤)</sup> من مماليكهما إلى رتبة البكوية، وقلدهم مصالح البلاد.

وكانت الأحكام في عهدهما كما كانت في أيام أسلافهما من الظلم والاستبداد. وبلغهما بعد مدة أن " إسماعيل بك " عاد من " الأستانة " وجاء " حلوان " <sup>(٦١٥)</sup> فبعثا فرقة من المماليك فنكت بكل من كان معه من أهله ورجاله. أما هو فتمكن من النجاة باختبائه في بعض الكهوف ثلاثة أيام. ثم خرج طالبا الشلال، اجتمع هناك بصديقه " حسن بك الجدوي " وسارا معا وأويا إلى الجنادل في السودان.

فاختلف " مراد بك " و " إبراهيم بك " على إرسال حملة للقبض على الهاربين، فارتأى أحدهما وجوب التجنيد، وخالفه الآخر حتى آل الأمر إلى الخصام ، وخروج " إبراهيم بك " مغتازا من القاهرة إلى المنيا في الصعيد. فأرسل إليه " مراد بك " بعض الاختيارية<sup>(٦١٦)</sup> يسكنون من غضبه، فأرضوه وأعادوه إلى مركزه في القلصرة، إلا أن العلاقات الودية ظلت متكدرة بين الاثنين. ولم تمض مدة حتى خرج " مراد بك " إلى المنيا غيظا من زميله، لأنه اتحد مع خمسة من بيت عدوهما القديم وهم البكوات: " عثمان الشراوي " و " أيوب الصغير " و " سليمان " و " إبراهيم الصغير " و " مصطفى الصغير ".

ولبت " مراد بك " بعيدا عن القاهرة خسة أشهر وإبراهيم يظن أنه لا يلبث أن يسكن غضبه ويعود إليه. فلما استبطأه، أرسل إليه الاختيارية كما فعل ذلك معه. فأبى " مراد بك " ورد الاختيارية خائبين، ثم جند جندا من أتباعه المماليك وسار على الضفة الغربية للنيل حتى أتى " الجيزة " - مقابل مصر القديمة - وعسكر هناك وهم بقطع النيل ، فعلم " إبراهيم بك " بذلك ، فجند في الجهة المقابلة على السبر الشرقي

ليمنعه من المرور [ص/١٨٤] وليث الجانبان على تلك الحال ثمانية عشر يوماً لا يتحاربان إلا على سبيل المناوشة بإطلاق مدفع أو مدفعين. ولم يقتل إلا رجل أو فرس، فمل "مراد بك" من تلك الحال، فعاد إلى المنيا<sup>(١١٧)</sup>.

أما إبراهيم بك فكان كثير الرغبة في مصالحة زميله، فأنفذ إليه بعد خمسة أشهر من خروجه وفداً ثانياً من كبار البلاد ومشاخها يطلبون إليه الرجوع إلى القاهرة. فوافقهم لكن اشترط عليهم أن يسلموه [ص/١٨٥] الخمسة للبكوات المنتقمين بذكرهم، حال وصوله إلى القاهرة، فقبلوا بذلك الشرط، فنزل معهم، فلم أولئك البكوات سرا من "إبراهيم بك" بما اشترطه "مراد بك" فخرجوا من "القاهرة" نحو القليوبية على نية للشخص إلى الصعيد عن طريق الأهرام. فاتصل ذلك "مراد بك"، فجعل عند الجسر الأسود قرب الأهرام عصابة من العربان تترصد مرورهم، ولم يستطع صبراً على ذلك، فقطع النيل ببعض رجاله، فالتقى بالمنهزمين عند رأس الخليج، فتلاحموا، فجرح "مراد بك"، ونجا أولئك فلاقاهم للعربان عند الجسر، فأسروهم، وجاعوا بهم إلى "مراد بك" فنفاهم إلى المنصورة و"فرسكور" و"دمياط" تفرقاً لكلمتهم. وبعد مدة يسيرة عادوا واجتمعوا في آخر سنة ١١٩٧ (١٧٨٣م) وانتفخوا أن يفرروا إلى الصعيد ويجمعوا إليهم عصابة يقاومون بها عدوهم. ولم يباشروا ذلك حتى توسط شيخ الجامع الأزهر في أمرهم وحصل العفو لهم من "مراد بك" فصنع عنهم وأعادهم إلى القاهرة بكل إكرام وأعاد إليهم رتبهم ولتميزاتهم.

### حملة عثمانية لحرب المماليك

مضى بعد ثلاث سنوات على "إبراهيم بك" و"مراد بك" وهما على وفاق وسكينة يقسمان إيراد البلاد بينهما بالسواء، لا يقيمون عنه حساباً، لو إذا قنموه كلن حبرا على ورق، فوشي بهما "محمد باشا" والي مصر إذ ذاك إلى السلطان وبما كان فيه من الاستنثار بمالية البلاد. فأمر السلطان "عبد الحميد" - الأول سنة ١١٩٩هـ (١٧٨٥م) أن يرسل إلى مصر جيشاً لإيقافهما عند حددهما فسار الجيش في عمارة بقيادة "حسن باشا قبطان"، فوصلت الإسكندرية في ٢٥ شعبان سنة ١٢٠٠<sup>(١١٨)</sup> فخاف البكوات خوفاً شديداً [ص/١٨٦] واجتمعوا اجتماعاً عاماً في الديوان، وتباحثوا

في ما يجب إجراؤه، فكثر اللغط، واختلفت المقاصد والآراء، فلم يقرؤا على شئ. وأخيرا ارتأوا طلب توسط " محمد باشا" ، ولما عرضوا عليه رأيهم رفض. فطلبوا من الشيخ<sup>(١١٩)</sup> " أحمد العروسي" شيخ الجامع الأزهر، والشيخ " محمد المهدي" الذي بقى في زمن الفرنساوية كاتم سر الديولن- وغيرهما - أن يسيروا إلى " رشيد " ويستعطفوا القبطان باشا<sup>(١٢٠)</sup>.

فركبوا من " بولاق" في زورق فاخر، ومازوا حتى بلغوا رشيداً، فلاقاهم القبطان باشا بما يليق من الاحترام أما هم فلعلمهم أن الأميرين " إبراهيم ومراد " لا يثبتان على رأي خافوا إذا طلبوا العفو، وحصلوا عليه أن ينكتا في ذلك فتكون الملامة عليهم، فقال الشيخ العروسي: " يا مولانا إن رعية مصر ضعفاء، وبيوت الأمراء مختلطة ببيوت الناس" [ص/١٨٧] فقال الباشا " لا تخشوا بأساً، فإن أول ما أوصالني به مولانا السلطان هو قوله " إن الرعية وديعة الله عندي وأنا استودعك ما أودعنيه الله تعالى". فدعوا له بطول العمر ثم قال لهم: " كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران يسومانكم سوء العذاب، لماذا لا تخرجونهما من دياركم؟ " فأجابه أحدهم بقوله " يا سلطانم<sup>(١٢١)</sup> هؤلاء عصابة شديده البأس لا تقوى على دفعهم". فطيب خاطرهم ووعدهم بالحماية. وبالْحَقِيقَةُ أن هذا الوفد تصرف بالحكمة لأنهم لم يكادوا يخرجون من حضرة القبطان حتى سمعوا بقدم "مراد بك" ومعه عشرة من البكوات وبعض الكشاف والمماليك. ثم شاع أنهم نزلوا في الرحمانية عند منشأ الترعة المحمودية الإسكندرية، وسبب ذلك أن " مراد بك" بعدما أرسل الوفد خطر له الدفاع بالسيف، فجمع إليه نوي شوره، وفأوضهم، فأقروا على الدفاع وأن يسير "مراد" لذلك ويبقى إبراهيم للمحافظة على القاهرة.

فسار " مراد بك" بمن معه ، ونزلوا الرحمانية - كما قدمنا- فلاقتهم الجنود العثمانية، وجرت بينهما واقعة لم تطل إلا يسيراً. فاندعرت جنود المماليك من قنابل العثمانيين التي كانت تتدافع بين حوافر الخيل فتشتت شملهم وفاز العثمانيون. ففر مراد بك ومن معه حتى أتوا القاهرة، فأجتمعوا " بإبراهيم بك" وخرجوا جميعاً إلى الصعيد، ومكثوا ينتظرون هجمات العثمانيين، فلما رأي " محمد باشا" الوالى خلو القاهرة من المماليك جمع إليه الوجاقات ونزل بهم من القلعة لاستقبال الجنود العثمانية.

[ص/١٨٨] وفي شوال سنة ١٢٠٠<sup>(١٢٢)</sup>، دخل "حسن باشا" للقاهرة بعد أن أخربت جيوشه ما مروا به من المدن والقرى ونهبوها ولولاه لم يبقوا على شئ أصلا. لكنه كان يمنعهم من ذلك بالقوة، وقتل كثيرين منهم عبرة للباقيين، فكنت الأيدي فسكنت الناس، فلما دخل القاهرة، نزل في بيت "إبراهيم بك" عند قصر العيني على النيل، ثم عرض أمتعة البكوات المنهزمين للمزاد العمومي، ومن جملة حريمهم وأولادهم وماليتهم، فاسترحم المشايخ أن يخرج الأولاد والنساء للحوامل من معرض البيع، لأن ذلك فضلا عن مخالفته للعواطف الإنسانية، فهو مغضب لله<sup>(١٢٣)</sup>. فانتهرهم القبطان باشا قائلا: "ساكتب إلى الأستانة بأنكم تعارضون في بيع أمتعة أعداء جلالة السلطان" فأجابته الشيخ السادات قائلا: "قد أرسلت إلينا لمعاقبة شخصين [ص/١٨٩] وليس لهتك شراعتنا والظعن في عاداتنا فاكتب إلى الأستانة ما شئت".

فعند ذلك أمر الباشا باستثناء المحظيات الحوامل من البيع. وبعد أن بيعت سائر الأمتعة عكف "حسن باشا" في إصلاح الإدارة، فأصلحها على ما يوافق الإرادة للشاهانية.

وكان قد استقدم "إسماعيل بك" و"حسن بك الجدوي" من الصعيد، فأرسلهما في جيش بقيادة "عابدين باشا" و"درويش باشا" قاندي للحملة العثمانية التي جاءت إلى مصر عن طريق البر - فضلا عن العمارة المنتقم ذكرها - وسار في تلك الحملة أيضا نحو ألف مقاتل من رجال الشام تحت قيادة أمير كبير من أمراء شيشي أوغلي، فاجتمعت هذه الحملة، وسارت نحو الصعيد لمحاربة مراد بك ورجاله، فحصلت هناك واقعة عظيمة سفت عن عدة قتلى من الجانبين، وانهزم "مراد بك" ورجاله إلى الشلالات، ورجعت الجنود العثمانية ظفيرة إلى القاهرة. ثم جاءت الأوامر للشاهانية بعزل "محمد باشا" وتولية "عابدين باشا"<sup>(١٢٤)</sup>.

وهنا تنتهي مهمة "حسن قبطان باشا". فاستدعى إلى الأستانة بسبب الحرب مع روسيا، ولكن مصر لم تتج من البكوات، وكانوا لا يزالون في مصر العليا كما رأيت، والمسيحيون يشكون من معاملة "حسن باشا" بأنه أخذ متاعهم وباعه على مشهد من الناس فضلا عن الإهانة التي ساءمهم إياها، وعلى الخصوص للمعلم

"إبراهيم الجوهري" أمير احتساب مصر فإنهم قبضوا على امرأته وأمرها أن تخبرهم بمخابى زوجها من النقود، فأخبرتهم، فاستخرجوها، وأخذوها.

ولما برح "حسن باشا" القاهرة، أقام عليها "إسماعيل بك" شيخ البلد [ص/١٩٠]، فعهد هذا إلى صديقه "حسن بك الجداوي" إمارة الحج واتفقا معا على اقتسام الإيراد.

في سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٩م) توفي السلطان "عبد الحميد الأول" وهذه صورة نقوده (٦٢٥).

### سلطنة سليم الثالث

من سنة ١٢٠٣-١٢١٣هـ-

أو من ١٧٨٩-١٧٩٨

هو ابن السلطان مصطفى الثالث، تولى السلطنة وسنه ٢٨ سنة، ووجه السياسة بظلم والدولة متضعضة، فبذل جهده في الإصلاح، ولكن اليأس كان قد استولى على الجنود وضعفت عزائمهم.

وفي سنة ١٢٠٥ (١٧٩١م) طرأ على القاهرة وسائر القطر المصري وباء شديد الوطأة لم تقاس قبله مثله، حتى بلغ عدد الموتى نحو الألف في اليوم بالقاهرة وحدها. ونقلب على حكومتهم في يوم واحد ثلاثة حكام. وسبب ذلك، أن "إسماعيل بك" أصيب بالوباء، فأقيم آخر مكانه، فأخر حتى فني كل من كان من بيت "إسماعيل بك" إلا واحدا يدعى "عثمان بك الطبل" ولا يزال هذا الوباء مشهورا بفتكه المعروف بطاعون إسماعيل [ص/١٩١] فتولى "عثمان بك الطبل" المذكور مشيخة البلد، ولم يكن قادرا على إدارة الأعمال التي عهدت إليه فاستدعى "إبراهيم بك" و"مراد بك" فدخلوا القاهرة في ٢١ القعدة من تلك السنة، ففر "حسن الجداوي" إلى مصر العليا قانطا. (٦٢٦)

فاستلم "إبراهيم" و"مراد" أزمة الأحكام، وجعلا يعيثان فيها وكانا يتناوبان مشيخة البلد وإمارة الحج سنويا بعد أن أفنيا كل من كان على غير دعوتهما. فصفا الجو لهما، أما قلباهما [ص/١٩٢] فكانا لا يخلوان من الضغائن المتبادلة لما طبع عليه كل منهما من الحب الذاتي. وقد اختلفا في الطباع والمناسب. كان "مراد بك"

شديد البطش مقداما لا يهاب الموت، وكان " إبراهيم بك " أكبر سنا، وأكثر اختصارا، ربعا ضخما القامة، حسن الطلعة، حاد البصر، وكان يتربص لمراد محاذرا بطشه لئلا يطلبه للنزال، ولولا ذلك لم يرض معه بالاجتراء من الدخول على السواء، وكان لا يعارضه في ما يأتيه من الاستبداد ، ووضع الضرائب ، وسلب أموال الناس، لأنه شريكه في الأرباح للنتيجة عن ذلك. وكان في إبراهيم رياء، يظهر غير ما يضممر. إذا استصرخ وعد مع للعزم على الإخلاف. وكان جبانا، فإذا أراد أمرا لا يتظاهر به، وإنما يسعى إليه بالنسائس والمكايد.

لما " مراد بك" فلم يكن يعرف الكر وإنما كان يسعى في أغراضه بالقوة والحزم، وكان طويل القامة، عضلى البنية، شديد اللبس، يقطع عنق الثور بضربة من سيفه وعلى وجهه ملامح الأسود، فإذا غضب يهابه ويخاف منه كل من يراه، حتى أحب أصدقائه ، وكان كريم النفس، لا يبيت على غيظ، حر الضمير لا ينكر الحق، ولو كان عليه ، مخلصا لأصحابه، مقيما على قوله وكان طمعه بمقدار سخائه. وحبه لذاته بمقدار حرية مبادئه وصرلحته. وكان سريع الغضب لا يراعى في حال غضبه أمرا من الأمور وربما فتك بمصلحة نفسه.

والم بالبلاد بعد عود هذين الأميرين إلى "مصر" جوع هائل، ويقال إنه جعل من كثرة ما ضبطاه من الحبوب في مصر العليا طمعا بالكسب ، ثم لتقيا للنظلمات التي وضعها " حسن باشا قبطان" [ص/١٩٣] وأبداهما بما يوافق مطالبهما الشخصية. فكثرت تعديت مماليكهما، وعلى الخصوص تعديت " أحمد محمد الأفسى" ، فثار الأهلون ثورة عامة لم يسعها معها إلا توقيف تلك الإجراءات وقتيا، فخمست الثورة. فعادا إلى ما كانا عليه فعاد الناس إلى الاضطراب، وكمدت سوق للتجارة لقلّة الأمنية، وضربا على التجار الأجانب في الإسكندرية ضرائب فاحشة، فرفعوا شكاوهم إلى قناصلهم، فلم تكن النتيجة إلا زيادة الاضطهاد.

كل ذلك كان يجري والسلطان " سليم الثالث" يعلم بذلك وهو ممن لرغب السلاطين بالإصلاح، ولكنه غلب على أمره، وفي أيامه وهذه حالة مصر، حمل عليها بونايرت سنة ١١٢٣هـ أو ١٧٩٨م، واحتلتها ، وهو آخر المراد بسطه من تاريخ العثمانيين بمصر في هذا الكتاب<sup>(١٢٧)</sup>.

[ص / ١٩٤] العلم والأدب

ومشاهير العلماء والأدباء بمصر

في الأنوار الثماني والثالث والرابع من

العصر العثماني

من سنة ١١١٥-١٢١٣هـ

(١٧٠٣-١٧٩٨م)

إن الاضطرابات السياسية ، واختلال الداخلية في الأدوار الثلاثة الأخيرة ، وقفت من سيل القرائح ، وشغلت الناس عن العلم والأدب ، ومع ذلك فقد ظهر في هذه الفترة جماعة من الشعراء والأدباء والفقهاء ونحوهم . هاك أشهرهم :

#### ١- الشعراء

١- الحسن البدرى الحجازي الأزهرى :

توفي سنة ١١٣١هـ (١١٧٩م) ، وكان شاعرا عاما تعلم في الأزهر ، ومال إلى الانزواء للمطالعة والنظم ، وله فيه طريقة حسنة ، وقد نظم أرجوزة في التصوف نحو ألف وخمسمائة بيت على طريقة الصارح والباغم ، ضمنهما أمثالا وحكايات ونكات ، وله ديوان على حروف المعجم سماه : " تنبيه الأفكار للنافع والضار " (٦٢٨) ، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي شعره صبغة عامية وسهولة يرضاها العامة . وفيها نصائح لهم ولسائر الناس ، ومن أمثلة ذلك قصيدة باتية قال فيها :

أخي فطنا كن ، واحذر الناس جملة	ولا تك مغرور الظنون الكوانب
فكم من فتى يرضيك ظاهر أمره	وفي باطن يرتاغ <sup>(٦٢٩)</sup> روغ للثعالب
إذا بك يلقى ظاهرا كان كافرا	يذيقك نكر النكر من كل جانب
[ص/ ١٩٥] ولا سيما نوع الأقارب إنهم	عقابك في الدنيا وعقر العقارب
إذا كنت في خير تمنوا لك الردى	لإرتك ميتا أو لنهبة ناهب
وإن كنت ذا فقر فأنت لديهم	أخس خسيس من أخس الأكلاب
فلا تك للطلاب للإرث تاركا	طلابا سوى خيبات طلبة طالب <sup>(٦٣٠)</sup>
ونحو ذلك ما تلقى معاينة للجمهور .	

٢- " عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبرلوي الأزهرى " :

أحد أساتذة الأزهر ، توفي ١١٣٢ (١٢٣١) له :

- ١- " ديوان منائح الأقطاف في مدائح الأشراف " ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي مكاتب برلين و غوطا وباريس وقد طبع في بولاق ومصر مرارا. ٢- وكتاب الإستفهاء للشبرلوية، منها نسخة في المكتبة الخديوية. ٣- عروس الأدب وفرجة الباب، منه نسخة في مكتبة ليدن. ٤- " عنوان البيان وبستان الأدهان " طبع في القاهرة مرارا. ٥- " نزهة الأبصار في رقائق الأشعار " في مكتبة باريس. ٦- " حمل زجل " ، طبع في القاهرة. ٧- أسنى المطالب لدراسة الطالب، في مكتبة برلين. ٨- " نظم أسماء بحور الشعر " في المكتبة الخديوية. ٩- "الالتحاف بحب الأشراف" (١٢٣٢) في مكتبة باريس. ١٠- "سرح للدر بفترة البدر" (١٢٣٣)، في المكتبة الخديوية وطبع في القاهرة سنة ١٢٠٣هـ (١٢٤١) ٣- " عبد الله الإدكوي للمصري ":

نسبة إلى إيدكو قرب رشيد [ص/١٩٦] وقد اشتهر "بالمؤذن" ، توفي سنة ١١٨٤هـ (١٧٧٠م) . تقرب من نقيب الأشراف في عصره، فأكرمه وأسناه، ولما مات للنقيب، تزوج وتغيرت حاله، فلزم للشيخ الشبرلوي، ومدحه، وكان يحترمه. ومن مؤلفاته:

- ١- "بضاعة الأريب في شعر الغريب" وهو مجموعة من شعره نيلها بنيل بحكي دمية للقصر (١٢٣٥)، منها نسخة خطية في مكتبة باريس. ٢- " الدر المنتظم في الشعر الملتزم". ٣- " للفوائح الجنائبية في المدائح الرضوانية" (١٢٣٦) ٣- " الدر الثمين في محاسن التضمين " في المكتبة الخديوية. ٤- هداية المتوهمين في كذب المنجمين (١٢٣٧) طعن فيه على أهل النجامة، ومنه نسخة خطية في مكتبة غوطا (١٢٣٨). ٥- " للمقامة للقرية في المجون" (١٢٣٩).

وكان حسن الخط، نسخ عدة كتب وله مفارقات ليفة مع شعراء للعصر

الواردين على مصر ومن مליح شعره، قوله يدعو إلى نبذ التقيد بالتقديم:

كن للمعاصر خير ناصر

لا تحقرن جديدهم

ودع التعصب للأوا

من كان منهم مبدعا

فاعد عليه من الخناجر (١٤٠)

## ٢- علماء اللغة

واشتهر من علماء اللغة في هذا العصر:

١- " إبراهيم بن مصطفى الحلبي المدارسي" توفى سنة ١١٩٠ (١٧٧٦م)، وقد تعلم في مصر ودمشق. وأخذ التصوف عن " عبد الغني النابلسي" الشهير، ثم عاد إلى القاهرة، وتعين معيدا لعلي الضرير، وسافر إلى " الأستانة" وتعرف هناك [ص/١٩٧] إلى " محمد باشا" الوزير المعروف " بالرأغب فتعرف به وقرأ عليه. واجتمع بشيخ الإسلام هناك " عبد الله" الشهير " بالإيراني" وكان إذ ذاك قاضي العسكر ، فصار عنده مفتشا وممیزا، وقرأ عليه علماء الروم، وما زال يرتقي حتى توفي هناك، وأكثر علماء الأزهر في زمانه من تلامذته. ومن آثاره الباقية كتاب " الحلة الضافية في علمي العروض والقافية" منها نسخة في المكتبة الخديوية، و" تحفة الأخبار على الدر المختار" فيها<sup>(٦٤١)</sup>.

٢- " السيد محمد تقي الحسين الزبيدي " الفقيه<sup>(٦٤٢)</sup> اللغوي النحوي الأصولي الناظم الناثر صاحب تاج العروس في شرح القاموس، توفى سنة ب١٢٠٥ (١٧٩١م) ولد في زبيد، ونشأ هناك ، ثم رحل في طلب العلم وجاء مصر سنة ١١٦٧ (١٧٣٣م) ، وحضر دروس أشياخ زمانه، وما لبث أن ظهر فضله عند الخاص والعام وارتقت حاله، فلبس الملابس الفاخرة، وركب الخيول المسومة، واشتغل بعلوم أهلها أسلافه كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث، وألف من ذلك كتبا ومنظومات، وكان مظهره مخالفا في زيهِ وحاله لعلماء عصره، ويعرف اللغة التركية والفارسية وبعض لغة الكرج وكان الوجهاء يتسابقون إلى دعوته والإيلاء له وإلى مجالسته ومحادثته. وزادت منزلته على الخصوص لما فرغ من كتابه " تاج العروس" وهو أشهر مؤلفاته، وفي شهرته ما يغني عن وصفه، فإنه يدخل في عشرة مجلدات طبع في " القاهرة " سنة ١٣٠٦، وفي صدره مقدمة نفيسة في اللغة ومراتب اللغويين، وأول من ألف في اللغة وترجمة الفيروز ابادي وغير ذلك، وله كتاب " نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقдах" منه نسخة خطية في " برلين" وله كتب أخرى<sup>(٦٤٣)</sup>.

٣- " موسى بن أحمد البيلى العدوي المالكي" كان شيخ رواق الصعايدة [ص/١٩٨] بالأزهر، توفى سنة ١٢١٨ (١٨٠٣) ، وله من المؤلفات المنح المتكفلة

بطل ألفاظ القصيدة العربية الموسومة بمورد للظمان في صناعات البيان وهي مشروحة ومنها نسخة خطية في مكتبة "برلين" وكتاب "فائدة الورد في الكلام على أما بعد" منه نسخة في المكتبة الخديوية، وفيها أيضا له "البشارة لقارئ الفاتحة" ومنظومة في الصرف.

### ٣- المؤرخون

١- "إبراهيم بن أحمد أفندي للخطاط شاهزاده" (١٤٤) كتب نحو سنة ١١٣٣ (١٧٢١م)، له كتاب "مبدأ العجائب بما جاء في مصر من المصائب" منه نسخة في المكتبة الخديوية (١٤٥).

٢- "الأمير كتحده الدمرداش عزبلن" (١٤٦)، توفي سنة ١١٦٩ (١٧٥٥م) وله كتاب الدررة المصانة في أخبار الكنانة بلغة العامة ومنه نسخة خطية في مكتبة غوطا ومنشن والمتحف البريطاني.

٣- "عبد الرحمن بن الحسن بن عمر لبي اللطائف الأجهوري للملكي المغربي" "سبط القطب الحديدي"، تعلم في "القاهرة وتعين أستاذا في الأزهر وفي السنانية ببولاق، وتوفي سنة ١١٩٨ (١٧٨٤م) وله كتاب "مشارك الأنوار في أهل البيت الأخير" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية (١٤٧).

### ٤- الفقهاء ونحوهم

#### لفقه المالكي

١- "ناصر الدين النشرتي للملكي" من أساتذة الأزهر: توفي سنة ١١٢٠هـ (١٧٠٨م)، له كتاب "الأنوار الواضحة في السلام والمصافحة" في المكتبة الخديوية.

٢- "شمس لدين الزرقاني للملكي" :

توفي سنة ١١٢٢هـ (١٧١٠م)، وله كتاب [ص/ ١٩٩] "وصول الأمانى بأصول التهانى"، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وله شرح الموطأ، وشرح المواهب للدونية للقسطاني.

٣- أبو الحسن الصاعدي (١٤٨) العدوي للملكي:

من أساتذة الفقه المالكي، توفي سنة ١١٨٩هـ (١٧٧٥م) ، له رسالة فيما تفعله فرقة " المطلوعة من المتسوفة من البدع في المكتبة الخديوية، وله عدة حواشي على كتب فقهية.

### الفقه الشافعي

١- " شمس الدين البديري الدمياطي " :

درس في دمياط وفي الأزهر ومكة، وتوفي سنة ١١٤٠ (١٧٢٧م) وله " إرشاد العمال" إلى ما ينبغي في يوم عاشوراء وغيره من الأعمال، منه نسخة في المكتبة الخديوية. وكذلك كتاب بلغة المراد في التحذير من الافتتان بالأموال والأولاد. وله كتاب تحرير الإفهام في كيفية توريت ذوي الأرحام منه نسخة في مكتبة بطرسبورج.

٢- " أحمد بن عمر الديربي الشافعي الأزهري ":

توفي سنة ١١٥١هـ (١٧٣٨م) ، له كتاب " غاية المقصود لمن يتعاطى العقود" منه نسخة في المكتبة الخديوية، وفي مكتبة برلين ، وطبع في بولاق سنة ١٢٩٧. وكتب " غاية المرام في ما يتعلق بانكماش الأنام" (١٤١)، في المكتبة الخديوية، وكذلك كتاب " فتح الملك الجواد لتسهيل قسمة التركات على بعض العباد" ، وكتاب المجربات (٦٥٠) طبع في القاهرة.

٣- " الحسين بن أحمد المحلى " :

توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦م) ، له كشف اللثام عن أسئلة الأنام منه نسخة في المكتبة الخديوية (٦٥١).

٤- " نجم الدين محمد بن سليم الشافعي المصري الحفني الحسيني " فسي

حفنة قرب بلبيس ، درس في القاهرة ، ودخل طريقة الخلوتية الرائجة في تلك الأيام [ص/ ٢٥٠] وتوفي سنة ١١٨١هـ (١٧٦٧م) ، وله : " الثمرة البهية في أسماء الصحابة البدرية " وذكر أسماء أهل بدر . وعدة رسائل في أمثال ذلك ، منه نسخة في المكتبة الخديوية.

وهناك طائفة كبيرة من الفقهاء الشافعية نبغوا في ذلك العصر بمصر منهم:

- " عيسى بن أحمد البراوي<sup>(٦٥٢)</sup>، توفي سنة ١١٨٢ (١٧٦٨م). وأحمد السجاعي<sup>(٦٥٣)</sup> سنة ١١٩٠ (١٧٧٦م) وله مؤلفات كثيرة أكثرها موجودة في المكتبة الخديوية. و" حسن الكفرلوي" من أساتذة الأزهر، توفي سنة ١٢٠٢ (١٧٨٨) فضلا عن فقهاء الحنابلة والشيعة ومن هؤلاء. " أبو السعود أحمد بن عمر بن السقاطي<sup>(٦٥٤)</sup>، توفي سنة ١١٥٩هـ (١٧٤٦م) في القاهرة، وله كتب في القراءات، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. و" الحسن بن على الأزهرى المنطاوي المدابغى" من أساتذة الأزهر، توفي سنة ١١٧٠، (١٧٥٦م)، وله كتاب "تحائف فضلاء الأمة للمحمدية ببيان جمع القراءات السبع من طريق التيسير" في المكتبة الخديوية، وكتاب في مولد النبي، فيها أيضا.

#### ٤- المتصوفة

وهناك طائفة من المتصوفة نبغت في مصر بذلك العصر منهم:

- " على بن محمد المصري" المتوفى سنة ١١٢٧هـ (١٧١٥م) وله تعاليف وشروح<sup>(٦٥٥)</sup>.

- و" على بن حجازي البيومي للمرداشي" توفي سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م)، وله كتاب في الطريقة الدمرداشية منها نسخة في برلين. وكتاب "الأسرار الخفية" منه نسخة في المكتبة الخديوية. ورسائل عديدة، بعضها موجود في المكتبة المذكورة.

ومن مشاهير الصوفية وكبارهم: للشيخ " عبد الرحمن العيدروسي" أصله من بلاد اليمن، ولد في نريم، وتقل في بلاد اليمن وغيرها في تاريخ طويل حتى استقر له المقام في القاهرة، واشتهر فيها، وقصده للطلاب حتى توفي سنة ١١٩٢هـ (١٧٧٨م)، وهو من أساتذة الشيخ " عبد الرحمن الجبرتي" صاحب التاريخ المشهور،

وقد [ص/٢٠١] ترجمه مطولا، وله مؤلفات تزيد على بضعة عشر منها. ١- "النفحة العيدروسية في الطريقة النقشبندية" منها نسخة في برلين. ٢- "النفحة المدنية في الأناكار القلبية والروحية والسرية" منها نسخة في المكتبة الخديوية. ٣- "طائف الجود في مسألة وحدة الوجود"، منها نسخة في برلين. ٤- "العرف

الوردى في دلائل المهدي"، فيها. ٥- "تحائف الخليل بالمشرب الجليل الجميل"، في المكتبة الخديوية. وله عدة رسائل وقصائد، منها في هذه المكتبة وغيرها<sup>(٦٥٦)</sup>

- و" محمد بن حسن بن محمد السنودى، الأزهرى جمال الدين" تتقف فى الأزهر، ودخل الطريقة الخلوتية. ثم تولى قراءة القرآن بالقاهرة<sup>(٦٥٧)</sup>، وتوفى سنة ١١٩٩هـ (١٧٨٥م)، وله " تحفة السالكين ودلالات السائرین منهج المرقبيس<sup>(٦٥٨)</sup>، طبعت بمصر سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م).

- وأبو البركات أحمد بن محمد الدريير المالكي العدوي الأزهرى الخلوتى: " تعلم فى الأزهر ، ثم صار ناظر وقف الصعايدة وشيخ الرواق وتوفى سنة ١٢٠١ (١٧٨٦م) ، وله عدة كتب منها.

- " الخريدة البهية فى القوائد التوحيدية"، طبع فى الإسكندرية سنة ١١٨١<sup>(٦٥٩)</sup>، و تحفة الإخوان فى بيان تاريخ أهل العرفان"، طبع بالقاهرة سنة ١٢٨١ (١٨٦٤م)، وكتب أخرى موجودة خطأ فى المكتبة الخديوية وغيرها.

ومنهم " سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهرى الجمال"<sup>(٦٦٠)</sup> المتوفى سنة ١٢٠٢هـ (١٧٩٠م).

ونبغ غير واحد فى علم النجوم أو النجامة منهم:

- " حسن بن إبراهيم الزيلعي الجبرتي" من أسرة الجبرتي المورخ، كان أستاذًا فى القاهرة، توفى سنة ١١٨٨ (١٧٧٤م)، وله عدة مؤلفات ورسائل فى هذه الفنون يمكن الاطلاع عليها من المكتبة الخديوية<sup>(٦٦١)</sup>.

ونبغ من الأطباء: المؤلفين " أحمد بن عبد المؤمن<sup>(٦٦٢)</sup> المنهورى" المتوفى [ص/٢٠٢] سنة ١١٩٢ (١٧٧٨م)، كان أستاذًا فى الأزهر ، وله مؤلفات عديدة فى أكثر الفنون تجد أكثرها فى المكتبة الخديوية.<sup>(٦٦٣)</sup>

ولو أردنا تعداد المشاهير فى ذلك العصر لضاق المقام وإنما أردنا إيراد الأمثلة لحالة تلك الأيام الأدبية والعلمية وقد رأيت أنها فى حالة الانحطاط، لأن ما تقدم ذكره من المؤلفات العديدة قل فيه المستنطب أو الوافى . ولعل هذا العصر أحط عصور التمدن الإسلامى.

ويلاحظ فى لغة ذلك العصر، أن الإنشاء انحط إلى أقصى درجاته حتى صار أقرب إلى لغة العامة وانحطاط اللغة تابع لانحطاط نفوس أهلها، ومن أشهر أمثلة إنشاء ذلك العصر تاريخ " الجبرتي" وتاريخ " ابن إياس" . أما كتب الفقه،

فيرجع إجماليتها إلى المصطلحات الفقهية وهي قلما تتغير مع الوقت، وأكثر ما كتب في تلك الفترة، إنما هو من قبيل التقليد أو التلخيص أو الشرح أو التعليق. وقد رأيت أن أكثر المؤلفات في علوم الدين الإسلام، لأن اللطم تنحصر يومئذ في الأزهر تقريبا. فإن أكثر طلابه من الفقهاء، إلا من كان فيه ميل خصوصي لعلوم أخرى، مع أن أوروبا كانت قد أفاقت من غفلتها وأخذت في تأسيس العلوم الحديثة. ولم يبلغ خبر ذلك إلى مصر إلا على يد الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨، فإنها أتت معها بحملة علمية، فضلا عن الحملة العسكرية، فبهر العقلاء من أحوالهم وإن لم يأخذوا عنهم شيئا. وإنما ترى ذلك الفضل للأسرة للمحمدية العلوية ولؤلؤ من أخذ من هذه النهضة " محمد على باشا" مؤسس هذه الأسرة العلوية.

### [ص/ ٢٠٣] الحالة الاجتماعية والاقتصادية

أما الهيئة الاجتماعية في ذلك العصر، فإنها تختلف عما نحن فيه الآن اختلافا كبيرا، فإنهم لم يكونوا يدركون ما ندركه نحن من لفظ الوطن والاستقلال والدمستور والحرية الشخصية، وحقوق الفرد، وحقوق الجماعة. وإنما كانت الأمة مؤلفة من الحكام أصحاب الأمر والنهي والسطوة والنفوذ، والشعب وما عليه إلا الطاعة وتحمل المصائب بالصبر، فإن أحدهم كان إذا نهض من فراشه خرج من بيته وهو لا يدري ما يلقاه من أنواع المظالم أو ضروب الإهانة إذا كان له فرس أو بغل أو دابة كانت عرضة للسخرة بأمر الحاكم أو بعض رجاله.

وناهيك بالضررائب المتواليية التي لا يسأل ضاربها ولا ينجو أحد من دفعها مرة أو غير. راضيا أو غاضبا، حتى نساتهم وأولادهم إنهم لم يكونوا آمنين عليهم من السطو والنهب.

فالأمة التي حالها من الضنك والذل والظلم لا غرو إذا ظلمت فيها للمرأة وصارت كالأمة لأن ظلمها تابع لظلم الحكام، فإن للرجل يقضي نهاره مظلوما لا يستطيع ردا ولا دفاعا أو انتقاما، فإذا أتى بيته تشبه بحكامه لأنه في عائلته كالأمير في بلده، يأمر وينهى فيعامل أهله كما عومل. وبذلك كانت المرأة تظلم وتتحط في عهد للحكومة الاستبدادية الظالمة<sup>(١٦٤)</sup> ولا غرو إذا انصرف أولئك المظلومون من الرجال إلى تسلية أنفسهم، وتصريف تغيظهم بالمشروبات الروحية أو تدخينها

المخدرات كالحشيش ونحوه. ولذلك كثر تناول هذا العقار في تلك الأثناء يخدر الناس أعصابهم وينسوا حالهم<sup>(٢٦٥)</sup>.

### [ص/٢٠٤] الزراعة

وطبيعي أن يرافق ذلك الانحطاط السياسي والعلمي، انحطاط اجتماعي واقتصادي، فتناقص عدد السكان في أواخر ذلك العصر حتى أصبح أقل من ٢,٠٠٠,٠٠٠ نفس في القطر المصري أعلاه وأسفله، وتناقصت البقاع المزروعة في وادي النيل حتى نقصت عن مليون فدان وبعض المليون. والأرض يومئذ ملك الحكومة وليس للناس إلا أن يتمتعوا بربعها وللحكومة حصة من ذلك الربيع في مقابل حمايتها أو إصلاح شئونها وهو الخراج. على أن فساد الأحكام في عهد المماليك شغل الناس عن الزراعة فقلت الجباية فتعسر حالها، والحكام في ذلك العهد إنما يلتمسون السلطة طمعا بالمال، فعمدوا إلى طريقة "الالتزام" وهو تضمين الخراج لأناس يتولون جمعه عن الحكومة، ويشاركونها في نفوذها، فلا يزيدون الأهالي إلا ضغطا وعسفا.

وذلك أن الحكومة كانت تعرض خراج البلاد بالمزايدة لمن يضمه من أهلى النفوذ، فيضمن أحدهم بلدا أو بضعة بلاد، فإذا وقع عليه المزداد أعطاه كبير المماليك "شيخ البلد" عهدا بذلك يسمونه تقسيط ويصبحونه بأمر يسمونه "فايك". وهو عبارة عن خطاب من الحكومة إلى أهالي البلد الواقع فيها التزام ذلك الملتزم، توصيهم فيه أن يطيعوا الملتزم ويؤدوا له الخراج. والملتزم يدفع للخزينة في مقابل ذلك مال سنة معجلا، ويقوم مقام الحكومة في السيادة والإمارة في البلاد الداخلية في التزامه. وله عدا ذلك بقعة من الأرض يستغلها بنفسه، لا يدفع عنها شيئا وتسمى "أوسيه" جمعها أوسى" وعلى الأهالي أن يحرثوها له ويزرعوها ويحملوا إليه غلاتها بلا أجره فضلا عن منافع أخرى.

[ص/٢٠٥] وكان الالتزام في بادئ الرأي لمدة محدودة، ثم جعلوه لمدى العمر فلا ترجع الأرض للحكومة إلا بعد وفاة الملتزم، فكان الانتفاع بغلة الأرض مقسوما بين الحكومة والملتزمين، والفلاح عبد رق يعمل بقوته ويشقى بعمله، فهل يلام إذا قعد به القنوط من العمل أو حمله الخوف على الفرار؟

## التجارة

أما التجارة فكانت في زمن للممالك ضعيفة جدا، لأنها لا تنمو إلا في ظل الأمن والعدل. فكانت قاصرة على بعض ما يحمل من محصولات هذه البلاد إلى "أوروبا" وأهمها الحبوب والسكر والرز، وما يمر بها من واردات السودان كالصمغ والعاج والريش ونحو ذلك. وبعض ما يحمل إليها من المصنوعات الإفرنجية من "إيطاليا" و"فرنسا" و"ألمانيا" وغيرها.

ذكر "فولني" الرحالة الفرنسي في رحلته إلى "مصر" أواخر القرن الثامن عشر أن تجارة "مصر" كان معظمها في أيدي السوريين المسيحيين ثم أهل البنديفة والإنكليز والفرنساويين. وكانت الجمارك يومئذ "بالإسكندرية" و"رشيد" و"دمياط" (٥٦٦) و"السويس" و"القصور" وفي "بولاق" و"مصر القديمة" (٥٦٧). وكانت للحكومة تضمن (٥٦٨) دخل هذه الجمارك كما كانت تضمن خراج الأرض. والغالب أن يضمها بعض اليهود. فلما أفضت مصر إلى "على بك الكبير" المتقدم ذكره تحولت ضمانة الجمارك إلى أيدي السوريين، ولم يكن منهم يومئذ في مصر إلا عائلات قليلة من أهل دمشق وكانوا يتعاطون التجارة فيها.

على أن الجمارك كثيرا ما كان يتولى شؤونها أمراء الممالك أنفسهم وخصوصا في أواخر القرن الثامن عشر. إن "إبراهيم بك" [ص/٢٠٦] و"مراد بك" لقسما الانتفاع بها، فاختص "إبراهيم" بجمرك السويس وعهد به إلى عمال يدبرونه بالنيابة عنه، واستولى "مراد" على سائر الجمارك فضمنها بعض أهل الوجاهة، وكانت إيرادات الجمارك نحو مليون ريال أبو طافية (٦٦٩) أو نحو ١٢٠,٠٠٠ جنيه أكثرها (٦٧٠) تجمع من جمرك السويس.

## النفود المصرية

وقد تقدم الكلام عن حل (٦٧١) النفود المصرية لوسط العصر العثماني وهي الانصاف (٦٧٢) والبنديقي والزر محبوب في آخر القرن الثاني عشر للهجرة كان الدينار يسوي ١١٠ أنصاف، والبنديقي ٢٢٥ نصفًا، والبننتو ٤٠٠ نصف. فكانت الأنصاف تقل قيمتها بتوالي الأعوام مع بقاء قيمة الذهب على حالها تقريبا، فالدينار كان يسوي سنة ١١٩٣ هـ ١١٠ أنصافا مثلا، فصار يبذل بعد عشر سنين بنحو

١٥٠ نصفًا، وهكذا ، وكانت أسعار الأشياء التي تد بالأنصاف ترتفع كل سنة عما قبلها ارتفاعا تدريجيا، ولم يكن ارتفاعها من توفر الثروة كما حدث لهذا العهد، وإنما كان سببه تلاعب رجال الحكومة بالنقود الفضية وغشها، فإذا رخصت قلت النقود وظهرت المبيعات غالية، وهاك مثلا على ذلك بأثمان أهم المأكولات في أول القون الثالث عشر للهجرة إلى سنة ١٢١٩م (١٨٠٤م) باعتبار الأنصاف من كل رطل:

سنة	للبن	للضأن	الصابون	المسلى	القمح بالأربب
١٢٠٤	٣٦	٧٢/١	١٢	١٨	٢٠٠
١٢٠٩	٣٨	٨	١٨	٢٠	٤٠٠
١٢١٦	٥٠	٨ ٢/١	١٨	٢٥	٨٠٠
١٢١٩	٧٠	..	٢٤	٣٦	١٦٠٠

[ص/٢٠٧] فيتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن الغلاء سائر على سنة طبيعية بالتدريج. والواقع أن الأشياء لم ترتفع أسعارها إلا بالنظر إلى الفضة. أما بالنظر إلى الذهب فظلت باقية على حالها تقريبا، وكثيرا ما كان أولو الأمر والأغنياء يرجون الأموال الكثيرة في تبديل النقود.

فلما استتب الأمر " لمحمد علي " (١٧٣) شاع استعمال القرش (١٧٤) وهو ألماني الأصل، وكان سنة ١٢٣٠م - (١٨١٥م) يساوي ٤٠ نصفًا ثم أصاب القروش بتوالي الأعوام ما أصاب الأنصاف على الكيفية المبينة في الجدول الآتي. وهي أسعار النقود الذهبية المعروفة يومئذ بالقروش المصرية من سنة ١٢٥٠م (١٨٣٤م) إلى ١٢٨٦م (١٨٦٩م).

سنة	الفرنجة	المصري	البنو	المجر	الجنه المجرى	البنغلي
١٢٥٠	٥٣	٠٠	٠٠	٤٤	٠٠	٤٥
١٢٥٦	١٠٠	١٠٣	٠٠	٤٧	٠٠	٤٩
١٢٦١	١٠٣	١٠٥	٧٧	٤٧	٠٠	٥٠
١٢٧٠	١١٤	١١٧	٩٠	٥٤	١٠٥	٥٦
١٢٧٧	١٤٧	١٥٠	١١٦	٧٦	١٣١	٧٢
١٢٨٥	١٩٢	١٩٧	١٥٢	٩١	١٧٢	٠٠
١٢٨٦	١٩٩	٢٠٣	١٥٨	٩٥	١٧٩	٠٠

فدرى في ذلك أن القرش نزل سعره إلى النصف. وباعتبار الجنيه الإفرنجي إلى الربع في ٣٥ سنة. وكانت الحكومة المصرية قد أخذت في تنظيم شئونها التجارية على عهد " إسماعيل باشا" الخديوي غير أن اختلاف أسعار النقود على هذه الصورة لا يرجي منه نجاح ، فأصدرت سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) تعريفة للنقود جعلت للمعاملة فيها على المناصفة، فالجنيه الإفرنجي كانت قيمته ٩٩ قرشاً [ص/٢٠٨] فجعلتها ١/٢ ٩٩، وللمصري ٢٠٢ قرش جعلت قيمته ١/٢ ١٠١ قرش ، وقس على ذلك. ثم تنوعت الأسعار قليلا حتى وقفت على قيمتها المشهورة الآن. وهذا هو أصل للمعاملة التعريفية والساغ في مصر.

### التعليم في مصر في ذلك العصر

ونختم للكلام بفذلكة في حال التعليم في ذلك العصر، فإنه كان يختلف عن تعليم هذه الأيام. ومعلوم أن التعليم في إيان التمدن الإسلامي كان محصورا بالمساجد، كما كانت مدارس النصارى محصورة في الأديرة والكنائس. وكان المعلمون يسمون التلامذة المجتمعيين حول أستاذ يتلقون منه العلم " حلقة" وتفرعت العلوم بتوالي الأعوام، واتسعت دوائرها حتى أصبح العلم الواحد عدة حلقات. والغالب أن تنسب للحلقة إلى أستاذها ، فيقولون مثلا حلقة " أبي إسحاق الشيرازي" في جامع " المنصور" أو نحو ذلك.

على أن للتعليم لم يكن خاصا بالمساجد، فكثيرا ما كانوا ينشئون حلقات للتدريس في المارمونات أو الربط أو المنازل أو غيرها، وكان الأغنياء إذا أرادوا تعليم أولادهم، أحضروا المعلمين إلى منازلهم.

وكانت مصر في القرن الأول للهجرة ولاية من ولايات المملكة الإسلامية، تابعة للمدينة أو دمشق أو بغداد، فكان التعليم فيها ثانويا، ودخل للقرن الرابع للهجرة وليس في عاصمتها إلا جامعان، جامع " عمرو" وجامع" ابن طولون" تلقى فيها العلوم الإسلامية على مذهب أهل السنة لأنها كانت تابعة للدولة العباسية. فلما تغلب الفاطميون على مصر في أواسط القرن الرابع، وانتقلوا إليها [ص/٢٠٩] وبنوا مدينة القاهرة، وأنشأوا فيها مسجدا يعلمون فيه مذهبهم " للشيعة" وظل الأزهر مدرسة شيعية طوال خلافة الفاطميين نحو ٢٠٠ سنة حتى غلبهم " صلاح الدين الأيوبي" سنة

٥٦٧هـ (١١٧١م)، وكان سني المذهب ، وليس له بد من متابعة خليفة يثبت به في منصبه فبائع للخليفة العباسي في بغداد، وخطب له في الأزهر. وكان "صلاح الدين" على مذهب الإمام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير في طرق التعليم، وقبل الناس سلطته على أهون سبيل، ولكنه لم ير مندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسيين وهو مذهب "أبي حنيفة" ، ورأي بحكمته وسداد رأيه أن يكتسب ولاء سائر المسلمين، فأجاز التعليم فيه على المذاهب الأربعة . وكل مذهب يحضره أهله. فال ذلك إلى اتساع شهرة هذه المدرسة، وتقاطر إليها الطلاب من أربعة أقطار المسكونة، ولم يبق التعليم قاصرا فيها على الفقه وعلوم الدين واللغة، ولكنه تناول شيئا من الرياضيات والنجوم وبعض علوم الطبيعة.

وما زال ذلك شأنها في أيام الأيوبيين ومماليكهم حتى جاء السلطان "سليم العثماني" ، وفتح مصر، ثم استبد الأمراء المماليك بالحكومة، فاشتغل الناس عن العلم، وكان العنصر العربي قد ضعف شأنه في سائر المملكة الإسلامية إلا في مصر، لأن مدرسة الأزهر فيها، وكانت أكبر وسيلة لاستبقاء اللغة العربية حية بتعليم العلوم الدينية واللسانية لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم، وأهملت سواها من الطبيعيات والرياضيات.

وما زال الأزهر أهم مصادر التعليم في القطر المصري إلى النهضة الحديثة بعد إنشاء المدارس على النسق الجديد في أيام "محمد علي" لتعليم العلوم الحديثة، كالطبيعيات والطب والهندسة وغيرها [ص/٢١٠] أما قبل هذه النهضة، فكانت هذه العلوم ولاسيما الطب يدرس في المارستانات أهمها في دولة الأمراء المماليك "المارستان المنصوري" في شارع النحاسين ، ولا تزال آثاره باقية هناك إلى الآن.

تم الكتاب ويليه الفهرس

\*\*\*

## فهرس الفصول لتاريخ مصر العثمانية

### مقدمات تمهيدية

#### التاريخ الإسلامى بالنظر إلى مسير للتورخ

٤٢	للتاريخ العام
٤٣	ما هو معنى لفظ تاريخ
٤٤	أقسام التاريخ لعام
٤٥	أقسام تاريخ الإسلام
٤٦	مزيا للتاريخ الإسلامى
٤٧	تمدين الأترك
٤٧	تمدين المغول
٤٨	تمدين البربر
٤٨	تمدين للزوج
٥٠	تاريخ مصر بالنظر إلى سواه وأقسامه
٥١	موضوع هذا للكتاب
٥٢	ما كانت عليه مصر عند الفتح العثمانى
٥٢	أصل السلاطين الممالىك
٥٣	دولة الممالىك الأولى أو الأترك أو البحرية
٥٤	الملك الظاهر بيبرس
٥٥	بقية دولة الممالىك الأولى
٥٦	دولة الممالىك لثانية أو الشركسة
٥٧	لؤل علائق للدولة العثمانية بمصر
٥٩	حروب أخرى مع العثمانىين " قنسو الغورى "
٦١	الدولة العثمانية أصلها ومنشأها
٦٣	الإنكشارية أصلهم وتاريخهم وسائر أحوالهم
٦٧	السلطان سليم للفتح
٧٠	كيف كانت مصر لما جاءها للسلطان سليم فاتحاً؟

٧٣	سلطنة الأشرف طومان باي آخر سلاطين المماليك تاريخ مصر العثمانية
٧٤	فتح العثمانيين مصر ( المعركة الفاصلة )
٨٠	الدور الأول من الفتح العثماني بمصر
٨٠	سلطنة السلطان سليم الفاتح
٨٠	الخلافة والسلطنة في الإسلام
٨٤	الخلافة في غير قريش
٨٦	نظام الحكومة المصرية
٨٨	سلطنة سليمان القانوني
٨٨	نظام الحكومة المصرية أيضا
٩٠	حاصلات البلاد
٩١	ولاية مصر في زمن السلطان سليمان
٩٤	سلطنة سليم بن سليمان
٩٥	سلطنة مراد بن سليم
٩٥	قتل الإخوة في الدولة العثمانية
٩٧	أحوال مصر في أيامه
٩٩	سلطنة محمد مراد
٩٩	أعماله في مصر
١٠١	سلطنة أحمد بن محمد
١٠٤	سلطنة مصطفى بن محمد
١٠٧	سلطنة مراد بن أحمد
١٠٨	الوباء وبيرام باشا
١٠٩	محمد باشا وموسى باشا
١١١	خليل باشا
١١٢	أصل النقود المصرية
١١٣	مظالم وتعديات
١١٤	سلطنة إبراهيم بن أحمد

١١٦	الوباء
١١٦	مقصود باشا
١١٨	أيوب باشا
١١٨	رضوان بك وعلى بك
١١٩	سلطنة محمد بن إبراهيم
١٢١	سلطنة ثلاثة سلاطين

### العلم والأكبر

١٢٢	مشاهير العلماء في الدور الأول العثماني
١٢٤	الشعراء والأدباء
١٢٥	المؤرخون
١٢٧	اللغويون
١٢٨	المحدثون
١٣٠	الفقهاء
١٣٠	علماء المذهب الحنفي
١٣١	علماء المذهب المالكي
١٣٢	علماء المذهب الشافعي
١٣٣	للمتصوفة
١٣٤	سائر العلماء
	الدور الثاني من العصر العثماني
١٣٥	انتقال النفوذ إلى المماليك
١٣٦	سلطنة أحمد بن محمد
١٣٧	قاسم بك ونو الفقار بك
١٣٨	مشيخة إسماعيل بك
١٤١	نو الفقار بك
١٤٢	سلطنة محمود بن مصطفى
١٤٣	مشيخة عثمان بك
١٤٥	إبراهيم كخيا ورضوان بك

- ١٤٧ نشأة على بك الكبير
- ١٤٩ سلطنة عثمان بن مصطفى
- ١٥٠ سلطنة مصطفى بن محمد
- الدور الثالث من العصر العثماني
- ١٥١ على بك الكبير
- ١٥٤ مساعيه في سبيل الاستقلال
- ١٥٥ استقلاله
- ١٥٦ قبيلة الهوارية
- ١٥٧ فتوح على بك ومعاهداته
- ١٥٨ خيانة محمد أبى الذهب
- ١٥٩ على بك في عكا
- ١٦٠ محمد بك أبو الذهب
- ١٦١ خروج على بك لمحاربه
- ١٦٢ مقتل على بك
- ١٦٣ مناقب على بك
- الدور الرابع من العصر العثماني
- ١٦٤ سلطنة عبد الحميد الأول
- ١٦٥ أبو طبق وعزل الباشوات
- ١٦٧ مشيخة إسماعيل بك
- ١٦٨ إبراهيم بك ومراد بك
- ١٦٩ حملة عثمانية لحرب المماليك
- ١٧٢ سلطنة سليم الثالث

## العلم والأدب

## مشاهير العلماء في الأدوار الثلاثة الأخيرة

- ١٧٤ الشعراء
- ١٧٦ علماء اللغة
- ١٧٧ المؤرخون

١٧٧	الفقهاء
١٧٩	المتصوفة
١٨١	الحالة الاجتماعية والاقتصادية
١٨٢	الزراعة ( حالها )
١٨٣	التجارة ( حالها )
١٨٣	النقود المصرية (تاريخها)
١٨٥	التعليم في ذلك العصر

obeikandi.com

مصر العثمانية

الحوادث

obeikandi.com

## الحواشي

- (١) يقصد للقاموس المحيط.
- (٢) ماه روز: بمعنى حساب اليوم والشهر، انظر عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية ص ١/٦١٢، دار الكتاب اللبناني، القاهرة ١٩٨٢، "وماه روزه" يعنى التاريخ. انظر حسن عبيد، فرهنگ فارسى عبيد، ص ٩٠٩، مؤسسة انتشارات امير كبير، طهران ١٣٤٢.
- (٣) بحيرة بايقال: في آسيا: شرق سيبيريا وشمال منغوليا (مغولستان). وهي اعقق بحيرة في العالم. مساحتها ٢م٣٣,٠٠٠. ونهر سلنجا، هو أهم الأنهار التي تصب فيها شمس الدين سلمى، قاموس الأعلام، جلد ٢، مهران مطبعة سي، استانبول ١٣٠٦، ص ١٢٣٦.
- (٤) جنكيز خان: مؤسس امبراطورية المغول الكبرى، اسمه تيموجين لما جنكيز خان فهو لقبه، ولد سنة ٥٤٩هـ (١١٥٥م)، كان والده وهو يسكي بهادر، كان في بداية أمره يرأس القبائل التي تزول للحل والترحال على ضفاف نهر أونون في شرق منغوليا، وبعد أن بسط سلطانه على القبائل القاطنة شمالي صحراء غوبي بين نهر ايرتيش وجبال خنغان (في أقصى شرق منغوليا)، جمع تيموجين في سنة ٦٠٢هـ (١٢٠٦م) مجلسا من رؤساء جميع القبائل، وأخبر رؤساء بلن السماء قد أضفت عليه اسما جديدا هو "جنكيز خان" ومعناه "الملك الأعظم أو "ملك الملوك"، وقد شرع سنة ٦٠٧هـ (١٢١١م) في فتح الصين. ونطلق بعضها إلى أنريجان وبلاد الكرج وجنوب روسيا، وكان القسم الثالث يواصل إخضاع الصين والاستيلاء عليها. وفي هذه الفتوح توفي جنكيز خان في سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٧م). أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج ٢، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٤٦٧-٤٦٥.
- (٥) لوكتاي وتولوي وجوجي وجغتاي: هم أبناء جنكيز خان، وقد كون هؤلاء الخانات الكبار للشعب الأيتية:
- شعبة لوكتاي: ٦٠٣-١٠٤٣هـ (١٢٠٦-١٦٣٤م) وكانت تحكم قبائل جنغلريا.
- شعبة تولوي: ٦٤٦-١٠٤٣هـ (١٢٤٨-١٦٣٤م) وكانت تحكم قبائل منغوليا.
- شعبة جوجي: وقد حكمت قبائل الترك بخانية للقبجاق، وخانات الأق أورودو وخانات القبيلة الذهبية وما تفرع عليهم جميعا من خانيات أجدرخان وقازان والقرم ثم خانات خيوه وبخاري.
- شعبة جغتاي: وقد حكمت فيما وراء النهر. انظر أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٦٨-٤٧٦.
- (٦) جنغلريا: هي المنطقة الواقعة في آسيا الوسطى والمحدودة جنوبا بتركستان الصينية وغربا بسيبيريا، وهي جزء في بلاد الصين، وكانت بها مضارب قبائل لوكتاي. وكلمة جنغلريا في اللغة المنغولية تعنى "ناحية اليسار". أحمد السعيد سليمان المرجع السابق، ص ١/٤٧٠.
- (٧) الأدراسة: في المغرب الأقصى: (١٧٢-٣٦٤هـ (٧٨٨-١٩٧٤م).
- (٨) للفاطميون: في المغرب ومصر: ٢٧٩-٥٦٧هـ (٩١٠-١١٣٧م).

## مصر العثمانية: جورجي زيدان

تحقيق: د. محمد حرب

- (٩) المثلثون: في المغرب ومصر: ٤٦٢-٥٤٢هـ (١٠٧٠-١١٤٧م).
- (١٠) المرابطون: في المغرب الأقصى وجزء من الجزائر وفي تونس: ٤٤٨-٥٤١هـ (١٠٥٦-١١٤٧م).
- (١١) الموحدون: في المغرب: ٥٢٤-٦٦٨هـ (١١٣٠-١٢٦٩م).
- (١٢) آل زيدي: في تونس: ٣٦٢-٥٤٣هـ (٩٧٢-١١٤٨م). وفي غرناطة: ٤٠٣-٤٨٣هـ (١٠١٢-١٠٩٠م).
- (١٣) كافور الإخشيدى: وفي المصادر العثمانية يسمى كافور الأسود، حكم مصر تابعا للخلافة العباسية من سنة ٣٥٥هـ إلى ٣٥٧هـ. شمس الدين سامي، المرجع السابق، ص ٨٠٤.
- (١٤) كتب المؤلف مخطوطه هذا عام ١٩١١م = ١٣٢٩/١٣٣٠هـ.
- (١٥) الفتح: اصطلاح إسلامي بمعنى أخذ بلد أو منطقة سلما أو عنوة. انظر عمر نصوحى، قلموس الشريعة الإسلامية والمصطلحات الفقهية، ج ٣ ص ٣٣٦، دار بيلمان، استانبول بدون تاريخ.
- (١٦) للصحيح سنة ٢٠هـ، فالثابت أن فتوح مصر بقيادة عمرو بن العاص كانت في المحرم سنة ٢٠هـ (ديسمبر ٦٤٠م). وليس كما ذكر المؤلف. انظر ابن عبد الحكم: كتاب فتوح مصر وأخبارها ص ٨٠، ليدن، ١٩٢٠م، ومحمد مختار باشا، التوقيفات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الإيرانية والتبطينة ص ١٠، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٣١٠هـ.
- (١٧) للصحيح سنة ٩٣٥م، فقد تسلم ابن طنج الإخشيدى أمر مصر في ٢٥ رمضان سنة ٣٢٣هـ (٢٨ من أغسطس سنة ٩٣٥م) بعد أن تغلب على ابن كيفلغ. محمد مختار باشا: المرجع السابق، ص ١٦٢، أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٩.
- (١٨) هكذا في الأصل وهو خطأ، أما الصحيح فهو سنة ٦٤٨هـ.
- (١٩) هكذا في الأصل، والمقصود "سيطرة الحكم الفرنسي".
- (٢٠) قد يقصد المؤلف هنا بأظلم أقسام التاريخ، قلة من كتب في هذه الحقبة من مؤرخين. والمعروف أن الحركة للتاريخية المصرية في تأريخ مصر العثمانية قد بدأت حديثا في شكل دراسات جامعية وتحقيق مخطوطات عربية وترجمة مخطوطات تركية - عثمانية إلى اللغة العربية. وهذه الحركة - في حد ذاتها تحتاج إلى تأريخ، لأنها جهد واضح واهتمام علمي ووطنى. إن ترجمة عمل واحد مثل رحلة أوليا جلبي إلى مصر ونشرها، لدليل وشاهد على أن عهد الدولة العثمانية في مصر لم يكن ظلاما، بل حضارة. وأسهم جرجي زيدان بدوره في وضع بدايات لتأريخ مصر في العهد العثماني سياسيا وحضاريا، في جلاء هذه النقطة وتويرها بالكتابة في هذا العمل الذي بين أيدينا من حركة التأليف في مصر.
- (٢١) السلطان سليم الفاتح، هو السلطان سليم الأول: ٨٧٥-٩٢٦هـ (١٤٧٠-١٥٢٠م)، سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، دفعة ٣٢، ص ٢٤، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط ٢، تحقيق إحصان حقي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٣، ص ١٩٧.
- (٢٢) السلطان صلاح الدين الأيوبي: ١١٣٩-١١٩٢م و٥٦٧-٥٨٩هـ.

(٢٣) وهم: "العزیز بن صلاح الدین" و" المنصور محمد" و" المعادل سیف الدین بن ایوب" و" الكامل بن المعادل" و" المعادل بن الكامل" و" الصالح بن الكامل" و" المعظم توران شاه"، وذلك في الفترة ٥٨٩-٦٤٨هـ (١١٩٣-١٢٥٠م). -عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي: نزهة السلاطين قومن ولى مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، ص ٥٣-٦٤، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

(٢٤) للصحيح "ماجورين أو مبتاعين" هكذا أو ماجورين أو مبتاعين.

(٢٥) المعتمد محمد بن هارون الرشيد: ٢١٨-٢٢٧هـ (٨٣٣-٨٤٢م).

(٢٦) الأمين بن هارون الرشيد: ١٩٣-١٩٨هـ (٨٠٩-٨١٣م).

(٢٧) للمأمون بن هارون الرشيد: ١٩٨-٢١٨هـ (٨١٣-٨٢٣م).

(٢٨) هذا تفكير المؤلف مع أن الحضارة لا تضر المسلمين، ولكن الذي يضر المسلمين، هو التمسك بقصور الحضارة، والتترف، وإشاعة الفاحشة، وحب للدنيا، والبعد عن الدين، وترك أسباب القوة، وتوك الجهاد في سبيل الله.

(٢٩) هكذا في الأصل.

(٣٠) يرجع اتخاذ المماليك في مصر إلى أيام الدولة الطولونية، فقد اشترى أحمد بن طولون: ٢٥٧-٢٧٠هـ (٨٧٠-٨٨٤م) للمماليك الدبلم ليقوي بهم جيشه. وفي عهد الدولة الإخشيدية، كان معظم الجيش من الأتراك والدبلم، وفي عهد الدولة الفاطمية كان الأتراك من العناصر التي يتألف منها الجيش، وعلى يد هذه العناصر كان انحلال للدولة الفاطمية. انظر محمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، ص ٢٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

(٣١) في المخطوط "وقد زادها مركزها الطبيعي مناعة وجمالا"

(٣٢) هكذا وردت في المخطوط ص ١٨.

(٣٣) وفي ذلك قال بعض الشعراء:

ترك بدوائه بثمن محبوب      الصالح المرتضى أيوب أكثر من  
فاناس قد أصبحوا في ضر أيوب      قد أخذ الله أيوبا بفطته

محمد جمال الدين سرور، المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٣٤) المقصود أنها "محظية كانت لها منزلة عند الملك الصالح" ولد الملك المعظم، فهي أم الملك المعظم كما ينكر جورجي زيدان في كتابه: جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، مع فتلحة في تاريخ مصر القديم ص ٥، ٢، ج، القاهرة، ١٨٨٩م.

(٣٥) وهما: المنصور نور الدين على: ٦٥٥-٦٥٧هـ (١٢٥٧-١٢٥٩م) وسيف الدين قطز: ٦٥٧-٦٥٨هـ (١٢٥٩-١٢٦٠م) عبد الباسط الملطي: للمصدر السابق، ص ٧٢، ٧٣.

(٣٦) البندقدار: هو حامل كيس البندق خلف السلطان في الحرب. انظر: مسعود عبد الفتاح عشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٣٩٨، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٣٧) أجمع المؤرخون على أن الظاهر بيبرس ببلاد التفجاق وهي تشمل حوض الفولجا والأراضي التي حول بحر قزوين، ونكر بعضهم سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) تاريخا لمولده، ونكر البعض ٦٢٥هـ

(١٢٢٧م). وقد بيع لأحد تجار الرقيق إثر هجوم المغول على هذه البلاد سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م)، واشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البنقداري ثم أخذه منه الملك الصالح، الذي اتخذ بيبرس سنة ٦٤٤هـ (١٢٤٦م) رئيساً لإحدى فرق حرسه الخاص، وظل يتدرج حتى أصبح قائداً لفرقة المماليك التي كان لها الفضل الأكبر في صد حملة لويس التاسع عن مصر، وكان لبيبرس دوراً كبيراً في خلع الملك المعظم - الذي مات غريباً سنة ٦٤٨هـ. وفي نيابة سيف الدين قطز على مصر، أصبح بيبرس قائداً للجيش الذي انتصر على التتار في عين جالوت (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م)، وبعد هذا الانتصار الكبير تخلص بيبرس من سيف الدين قطز، وتولى السلطنة، وتلقب بالملك الظاهر بيبرس. انظر: محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص ٢٩-٥٥.

والقبجاق أيضاً ويعرفهم الأوربيون باسم القومان وفي المصادر العربية القبجاق، شعب تركي، لعب دوراً هاماً في تاريخ أوروبا الشرقية بين القرنين العاشر والثالث عشر الميلادي. وعاشوا رحالة رعاة على دين الشامانية. تسلطوا على بلدان شمال البحر الأسود، ثم دخلوا بلاد المجر. وعندما أغار المغول على بلاد القبجاق عام ٦٤٠هـ - ١٢٤٢م أسروا قسماً كبيراً منهم - أي من القبجاق - وباعوهم، ونقلوا إلى مصر، وهؤلاء هم الذين أسسوا دولة المماليك فيها. انظر شمس الدين سامي ٣٥٩٩/٥.

(٣٨) وقعت بين القوات المصرية بقيادة الظاهر بيبرس وقوات التتار بقيادة قرابغا معركة دموية انتهت بانتصار التتار، واستشهد الخليفة العباسي بتلك الموقعة سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م). محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣٩) وضع المؤلف هنا عبارة (هنا توضع صورة نقود الملك الظاهر) بين قوسين ولم يضعها. انظر المخطوط ص ٢٠.

(٤٠) تولى من سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧هـ) إلى سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م)، وتزوج من ابنة الأمير قلاوون الأنفي، وقد خلعه الأمراء وسجن.

(٤١) هكذا في الأصل، وحتى يستقيم المعنى:

" مات الملك الظاهر سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م)، وخلفه على الملك ولداه بركة خان ثم سلامش، ولم يكونا أهلاً للرئاسة، فتغلب عليهما الأمراء، فخلعوا بركة خان، وبايعوا أخاه سلامش، وكان عمره سبع سنوات وقاموا الأمير سيف الدين قلاوون الأنفي وصياً عليه، فخلع سلامش وتسلم زمام الأحكام، فنوبع ولقب بالملك المنصور". انظر: جرجى زيدان، تاريخ مصر الحديث مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٢٣.

(٤٢) وهم: " الأشراف صلاح الدين خليل" و" الناصر محمد بن قلاوون" و" زين الدين كتبغا" و" المنصور حسام الدين لاجين" و" القاهر سيف الدين طنجي" و" الناصر محمد بن قلاوون" و" ركن الدين بيبرس الثاني" و" الناصر محمد بن قلاوون" وذلك في الفترة ٦٨٩-٧٤١هـ (١٢٩٠-١٣٤١م). الملطي: للمصدر السابق، ص ٨١-٩٤.

(٤٣) وضع المؤلف هنا عبارة (توضع هنا صورة مجرة الماء) بين قوسين، ولم يضعها. للمخطوط ص ٢١.

(٤٤) وهم: المنصور سيف الدين أبو بكر" و" الأشراف علاء الدين كوجك" و" الفاضل شهاب الدين أحمد" و" الصالح عبد الدين إسماعيل" و" الكامل سيف الدين شعبان" و" الفاضل حسن" و" المنصور صلاح الدين محمد" و" الأشراف زين الدين شعبان" وذلك في الفترة ٧٤١-٧٨٤هـ (١٣٤١-١٣٨٢م).

الملطي، المصدر السابق، ص ٩٥-١١١.

(٤٥) الظاهر سيف الدين برقوق فيما بعد.

(٤٦) هكذا في الأصل، وللصحيح سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م).

(٤٧) تيمور لنگ ١٠١٣٣٦-١٤٠٥م): فتح مغولي ولد قرب سمرقند، ويعرف بتيمور الأعرج، ادعى أنه من سلالة جنكيز خان، واستل أعماله الحربية بإخضاع مناصبه في المنطقة المعروفة باسم تركستان، وسيطر سنة ١٣٦٩م تماما على المنطقة كلها، ومن عاصمته سمرقند غزا فارس وجنوبي روسيا والهند واستولى على حلب حيث استباحها لمدة ثلاثة أيام، وسقطت دمشق في يده فدخلها للمرة الثانية، وزحف على آسيا الصغرى، وهزم العثمانيين في موقعة أنقرة سنة ١٤٠٢م، وأسر السلطان بايزيد، وقد توفي في أثناء غزوه للصين. انظر مادة تيمورلنگ، مفصلة، في شمس الدين مسامى ١٧٢٧/٣. ويبدو أن تاريخ تيمورلنگ وشخصيته التأخية في حاجة إلى إعادة نظر وتقويم تاريخي، خاصة وأن مؤرخين كبارا من الأتراك العثمانيين، رغم عدائهم له، إلا أنهم وصفوه بصفات طيبة. مثال: قال تيمور: أنا لا أسفك الدم بغير حق". منجم باشي أحمد دده، جامع الدول، بايزيد رقم ٥٠٢٠ ورقة ١٢٢٢ و" أحسن استقبال بايزيد وأكرمه وطيب خاطره، منجم باشي المصدر السابق ١٢٣٩. و" لما سمع بوفاة بايزيد تأسف وتحزن وبكى ونكر أنه كان يريد الخير به ويعوده إلى ملكه"، نفس المصدر والورقة. و" كان يحب الصدق ويختاره وإن كان عليه. ورقة ٢٤٠ب و" كان يحب العلماء والمنجمين والأطباء ويجالسهم في أكثر الأوقات. مولعا باستماع التواريخ والقصص وسير الملوك. كان له اهتمام تام في مراعاة القوانين اللنكيزية... منجم باشي أحمد دده، جامع الدول، مكتبة بايزيد، رقم ٥٠٢٠ ج ٢ ورقة ١٢٤١.

(٤٨) السلطان الغزالي يلديرم بايزيد خان: ٧٦١-٨٠٥ (١٣٤٧-١٤٠٣م).

(٤٩) هو السلطان أحمد بن لويس الجلثري، الذي حكم بغداد سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م)، وهو من سلالة المغول الذين اجتاحتوا بغداد. وقد فر بعد أن دخل تيمور لنگ بغداد سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٣م)، والتجأ إلى السلطان المملوكي برقوق، وعندما اجتاحت تيمور لنگ بلاد قره يوسف التركماني سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٤م) واقتربت من حلب حيث انهزمت، عبأ السلطان برقوق جيشا وسار به إلى دمشق بصحبة أحمد بن لويس، ومن دمشق تجهز الجيش بقيادة أحمد بن لويس، الذي دخل بغداد سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٤م)، وضرب السكة باسم السلطان برقوق. وعندما لجمع تيمور لنگ بغداد مرة أخرى سنة ٨٠٢هـ (١٣٩٩م)، التجأ أحمد بن لويس وحليفه قره يوسف التركماني إلى السلطان العثماني بايزيد يلديرم، فأحسن استقبالهما، وأقطع أحمد بن لويس "كوتاهية"، وأنعم على قره يوسف بـ" آسراي"، فخشى تيمور لنگ من قيام تحالف عثماني - جلثري تركماني قد ينضم للملوك إليه، فطلب من السلطان بايزيد تسليمها إليه، فرفض طلبه، فكان ذلك من عوامل الحرب بينهما في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢م، منجم باشي أحمد دده، جامع الدول، مرجع سبق ذكره، ج ٢، ورقة ٢٣٦-٢٣٨ت-

١٢٣٩ و٤٤٤٣ ب. وحكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك لثانية ص ١٢٣-١٣٠، القاهرة، ١٩٦٦م،  
ومحمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار بيروت المحروسة،  
بيروت ١٩٩٥ م، ص ٥٧. ويضع المؤلف عبارة (ضع صورة تيمور لك هنا) بين قوسين ولم  
يضمها. المخطوط ص ٢٣.

(٥٠) توفي السلطان سيف الدين برقوق سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م).

(٥١) أتاك الصاكر: مقدم العسكر والقائد العام للجيش المماليكي.

رأس النوبة: وظيفة يقوم أصحابها بالحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم وقد جرت العادة  
أن يكونوا أربعة أمراء.

أمير مجلس: يتولى صاحب هذه الوظيفة أمر مجلس السلطان

أمير آخور: وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف على اسطبل السلطان ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات.  
الودادار: أي ممسك الدواة. وصاحبها يحمل دواة السلطان ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم الشكاوي  
إليه.

حاجب الحجاب: ويقوم بالنظر في مخصصات الأجناد واختلافهم في أمور الإقطاعات ونحو ذلك .

انظر الكشاف الموجود في: سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سبق ذكره، ١٩٦٥م.

(٥٢) وهما: الناصر فرج: ٨٠١-٨٠٨هـ ١٣٩٨-١٤٠٥م) والمنصور عز الدين عبد العزيز:

٨٠٨هـ ١٤٠٥م) ثم الناصر فرج مرة أخرى: ٨٠٨هـ (١٤٠٥-١٤١٢، الملطى: المصدر السابق،  
ص ١٢٠-١٢٣.

(٥٣) وعددهم ثلاثة عشر سلطانا في الفترة ٨١٥-٨٧٢هـ (١٤١٢-١٤٦٨م).

(٥٤) أوزون حسن أو "حسن الطويل" لم يكن ملك الفرس، بل كان حاكما تركمانيا.

وأوزون حسن: (١٤٢٨-١٤٧٨). حاكم دولة الآق قيونلو. تولى الحكم عام ١٤٥٣ فسي ديار بكر  
بالأناضول. قام بأسر حفيد تيمور لك- وكان حاكما للقره قيونلو- وأعمه. واستولى على تبريز عام  
١٤٦٦ واتخذها عاصمة لدولته. كما استولى أيضا على بلاد الكرج. وكان ذلك في وقت نمو النوبة  
العثمانية. وكانت هناك ثلاث مواجهات بين جيشه وبين العثمانيين. كانت آخرها الموقعة التي هزم فيها  
هزيمة كبيرة أمام السلطان محمد الفاتح في وادي ترجان في أرضروم عام ١٤٧٣. شمس الدين سلمي  
١٠٨٥/٢

(٥٥) صحة كتابتها بايزيد وتعنى أبو يزيد باللغة العربية

(٥٦) كان "بايزيد" قد جلس على العرش في ربيع الأول ٨٨٦هـ (مايو ١٤٨١م)، أما "جم" فسلر  
إلى بروسة ودخلها عنوة، واستولى على المناطق المجاورة. وأرسل جم وفدا برئاسة عمته ابنة  
السلطان محمد جلبي وهي سلجوق خاتون إلى بايزيد باقتراح تقسيم الدولة العثمانية إلى قسمين بينهما،  
يحكم جم قسم الأناضول من الدولة ويحكم بايزيد قسم الروملي منها أي الولايات العثمانية في أوربا،  
ورفض بايزيد هذا العرض وكان ذلك في ١٦ ربيع الآخر من عام ٨٨٦هـ الموافق ١٤ يونيو  
١٤٨١م. وتحارب الأخوان في موقعة ينى شهر في واد أخذت الوقعة اسمه. وانتصر بايزيد وفر جم

إلى مصر لاجئا عند قايتباي. إسماعيل حامي وانشمند، ISMAIL, HAMI DANISMEND

YAYINEVI.ISTANBUL، ص ٣٦١-٣٢٦ وطقوش، مرجع سبق ذكره، ص ١٢١.

توفي السلطان محمد الفاتح في ٤ ربيع الأول ٨٨٦هـ الموافق يوم الخميس ٣ مايو ١٤٨١م في مكان يسمى خنكار تشاييري في حي مال تبه ويقع بين اسكدار وكيزه في الناحية الآسيوية من استانبول. ويطلق على خنكار تشايير: تكفور تشاييري وكذلك سلطان تشاييري. وكتبهاها بقاءه والشين مقابلة لحرف للجيم المثناة لحم وجودها في الأبجدية العربية. وبالتالي فقد كتبها المؤلف هنا خطأ. انظر إسماعيل حلمي داتشمند، تقويم للتاريخ العثماني، للجزء الأول ص ٣٥٠، دار نشر تركيا، استانبول.

(٥٧) فأنفذ "بايزيد" جيشا كبيرا

(٥٨) هو الأمير أزيك بن ططخ: وأصله من مماليك الأشراف برسباي، ثم اشتراه الظاهر جمقق، وقربه ورقاه، وصاهره مرتين في لبنتيه. وقد تولى عدة وظائف عالية حتى عين نائب الشام في دولة الظاهر بلباي ثم أتبعها في عهد الأشراف قايتباي، واستمر أتبعها نحو ثلاثين سنة. وتوفي سنة ٩٠٤هـ (١٤٩٨م) عن ٨٥ سنة، وترك ثروة طائلة بخلاف الخيول والتحف، والأربكية وغيرها من الدور. وقد خلط على باشا مبارك بينه وبين الأمير أزيك اليوسفي؛ وكان أيضا من مماليك الظاهر جمقق، وهو صاحب الجامع الموجود بحي الصليبية بالقرب من مسجد ابن طولون، وربما كان سبب هذا الخلط أن الاثنين توفيا في اليوم نفسه (٢٠ من رمضان سنة ٩٠٤هـ)، وقد تلعب على مبارك في الخطأ كتاب آخرون. انظر: محمد كمال السيد محمد: أسماء ومسميات في مصر القاهرة، ص ٢٧٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

(٥٩) وقد أزيل هذا للجامع ضمن ما أزيل في تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد علي (القلمة) في عهد أسرة محمد علي. المرجع نفسه، ص ٢٧٤.

(٦٠) ٣ ربيع الآخر سنة ٨٩٣هـ (١٧ مارس ١٤٨٧م).

(٦١) للصحيح "قاصو". وقد أثبت نطق الكلمة بارتولد في مادة قاصو من دائرة المعارف الإسلامية وكذلك بسم دار فوت في ترجمته وإضافته لمادة قاصو إلى اللغة التركية انظر لترجمة للتركية لدائرة المعارف الإسلامية ج ٦ مادة قاصو.

(٦٢) أربعة سلاطين، هم: الناصر محمد بن قايتباي و"الظاهر قاصو الأشرفي" و"الأشرف جلالط الأشرفي" و"العادل طومان باي"، وذلك في الفترة من سنة ٩٠١هـ إلى سنة ٩٠٦هـ ١٤٩٦م. - (١٥٠٥م). انظر: المطبخ: المصدر السابق، ص ١٤٧-١٥٤.

(٦٣) اعتمد المماليك على التكنولوجيا الإيطالية في صنع المدافع، وكانت مفصلاتهم ثقيلة يصعب تحريكها، أما للتكنولوجيا العثمانية في صنع المدافع فقد كانت أكثر تطورا وخفيفة بمعنى سهولة تحريك المدفع في أي اتجاه بعكس المدافع المملوكية، ضخمة وثابتة، وهذا ما دفع سليم أن يدخل القاهرة من خلف هذه المدافع وليس من أمامها كما بنى المماليك خططهم في سحق العثمانيين، ولما اكتشف المماليك - بعد قوات الأوزان - مرور الجيش العثماني من خلف المدافع لسقط فسي أيديهم لاستحالة تحريك المدافع. وكان لدى المماليك في الريدانية ٢٠٠ مدفع، انظر: سلاحشور، فتحمله ديار صوب، مخطوط تركي، مكتبة نور عثمانية باستانبول رقم ٤٠٨٧ ورقة ٣٧/ب وأحمد عبد الرحيم مصطفى،

- في أصول لتاريخ العثماني، ص ٨٣، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨. ومحمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٨-١٥٩.
- (٦٤) الدولة الإليكية: ٣٠٢-٦٠٩هـ (٩٣٢-١٢١٢م). وهي دولة "الإيلك خانات" أو "خاقانات تركستان" التي حكمت البلاد الواقعة شمال جبال تيان شان وجنوبها من القرن الرابع الهجري إلى السابع. أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٩-٢٨٢.
- (٦٥) الدولة الفزنوية في أفغانستان والبنجاب: ٣١٥-٥٧٩هـ (٩٦٢-١١٨٣م) أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٨٧-٥٩٣.
- (٦٦) يقصد جرجي زيدان هنا، سلجوق بن دقاق وهو مؤسس دولة السلاجقة. وكان إسلامه نتيجة التقائه بالأتراك المسلمين في جند وليس طمعا في دولة. انظر إبراهيم قنص أوغلو، مادة السلاجقة، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة التركية ج ١٠، استانبول ١٩٦٧.
- (٦٧) سلاجقة خراسان، وكرمان، وسوريا، والعراق، والأناضول.
- (٦٨) دولة من دول الأتابكة في أحمد السعيد سليمان: مرجع سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٤٣-٣٨٣.
- (٦٩) إمارات: قره سي في باليق أسير، وصاروخان في مغنيسيا، وأيدين في أزمير، ومنشأ بولاية منشأ، وتكة في أنطاليا، وحמיד إيلي في يكيشهر، وكرميان في كوتاهية، وقرمان في قونية، وقزل أحمدلي في قسطنطيني، وجانيك. يلماز أوز تونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة، عدنان محمود سليمان، الجزء الأول، ص ٧٤-٧٥، مؤسسة فيصل للتعميل، استانبول ١٩٨٨. ومحمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠،١٥. ومحمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٢٥م، ص ١٧٢.
- (٧٠) لم يذكر المؤلف مصدره في أن للأتراك جدا يسمى ترك. انظر معاني كلمة ترك، في جاغاتي اولوجاي، دائرة معارف التاريخ (بالتركية) مادة ترك، دار باتش، استانبول ١٩٦٩.
- (٧١) تولى علاء الدين كيقباد الثاني بالمشاركة مع ركن الدين قليج أرسلان الرابع من سنة ٦٤٧ إلى سنة ٦٥٥هـ (١٢٤٩-١٢٥٧م). ولعل المؤلف يقصد علاء الدين كيقباد الثالث: ٦٩٨-٧٠١هـ (١٢٩٨-١٣٠١م). انظر: أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٢٢، ٣٢١.
- (٧٢) وقد سقط بالقرب من قلعة "جعبر" سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨م) ويعرف قبره هناك باسم "تورك مزاري" أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٤١.
- (٧٣) هذه المعركة تسمى باسم "ياسي جمن" بين سلطان قونية السلجوقي وجلال الدين خوارزمشاه خاقان تركستان، وقد ساعدت عشيرة قايمي بقيادة كوندوز آلب ووالد أرطغرل والد عثمان، سلطان قونية، فأهالته من عثرته وتسميت في انتصاره. ويرجع المؤرخون تاريخ وفاة كوندوز آلب سنة ١٢٣٠، وخلفه ابنه أرطغرل وكان عمره ٣٩ عاما. انظر: يلماز أوز تونا، المرجع السابق ص ٨٦.
- (٧٤) علاء الدين السلجوقي أو علاء الدين كيقباد: ١٢١٩-١٢٣٧م.
- (٧٥) وهي البقعة التي تلتقي فيها ولايات اسكيشهر وبيلاجيك وكوتاهية في تركيا اليوم.
- (٧٦) توفي أرطغرل سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م). أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٤٢.
- (٧٧) انظر صورة السلطان عثمان الغازي: ٦٥٦-٧٢٦هـ (١٢٥٨-١٣٢٦م).

- (٧٨) نسب عثمان كالاتي: عثمان بن أرطغرل بن كوندوز ألب.
- (٧٩) هذه الفقرة روائية فببية تختلط فيها الرواية بالتاريخ.
- (٨٠) ينكر محمد فريد الواقعة كالاتي: ( أنه رأي القمر صعد من صدر هذا الشيخ ويعد أن صار بدرا نزل في صدره- أي في صدر عثمان- ثم خرجت من صلبه شجرة نمت في الحال حتى سطت الأكران بظلمها، ونظر كبير للجبال تحتها، وخرج للنيل والدجلة والفرات والبطونة من جذعها ورأي ورق هذه الشجرة كالسيوف يحولها الريح نحو مدينة القسطنطينية" وفي رأي محمد فريد، أن هذا الحلم لابد وأن يكون موضوعا كما يضع المؤرخون مثل هذه الأحلام لتعليل ظهور وتقدم كل دولة في الشرق أو الغرب.
- انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ١١٦. ووضع المؤلف بعد هذه الفقرة صورة تحتها (السلطان عثمان للغازي).
- (٨١) المؤلف يقصد للقواز وتكتب على وجهين: " للقواز" و" قفلميا".
- (٨٢) يرى محمد فؤاد كوبريلي أن هذه الروايات ما هي إلا محاولة لدعم مشروعية حكم العثمانيين على سائر القبائل التركية بأسيا الصغرى بتدخل إلهي. ويرجح أن قبيلة عثمان كانت من القبائل التي وفدت على الأناضول بعد فتحة على يد السلاجقة. انظر: محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٠-١٩.
- (٨٣) هكذا في الأصل: "وطرا". وأغلقت طبعة الهلال الأولى صحتها والمؤلف يقصد هنا السلطان بلهزيد للصاعقة (١٣٤٧-١٤٠٣م) الذي حاصر لقسطنطينية سبعة أشهر.
- (٨٤) للسلطان محمد الفاتح هو فاتح القسطنطينية يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٥٧ هـ - ٢٩ من مايو سنة ١٤٥٣م.
- (٨٥) فريدان الأول: أرشيدوق النمسا (١٥٥٨-١٥٦٤م) والمطالب بمرش المجر. وقد استمرت للنمسا على دفع الجزية للدولة العثمانية من سنة ١٥٤٧م إلى سنة ١٦٩٩م، عندما أبطلت بمقتضى معاهدة كارلوفت. انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مرجع سابق ص ٢٣٨.
- (٨٦) وضع المؤلف هنا صورة تقليدية تحتها عبارة ( السلطان محمد الفاتح يوم دخوله لقسطنطينية بعد فتحها سنة ١٤٥٣) ولا تكاد ترى من رداة الطباعة.
- (٨٧) الانتشارية: انظر كليمان أوار، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، ص ١١٣.
- (٨٨) لم يكن قره خليل وزيرا للسلطان أورخان، وإنما كان وزيرا للسلطان مراد الأول من سنة ٧٧٠هـ إلى سنة ٧٨٨هـ (١٣٦٨-١٣٨٦م). وكان قره خليل قبل ذلك في منصب قاضي بروسة، وهو أول قاضي عسكر في الدولة العثمانية. انظر: سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٨، على همت يركى الأوسكى: المعامل العثماني أبو الفتح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية وحياته العلوية، تريب محمد إحسان عبد العزيز، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م، ص ١٥٣.
- (٨٩) حاجي بكتاش: تنسب إليه طريقة الدرلويش البكتاشية، ويقال إنه ولد بنيسابوروتوفي سنة ٧٣٨هـ (١٣٢٧م)، وترجع أهمية هؤلاء الدرلويش السبسية إلى اتصالهم الوثيق بالانتشارية، فيقال لهم أبناء الحاج بكتاش ( حاجي بكتاش أو غلري). وقد اشترك البكتاشية في الفنون المتعددة التي قام بها

الإنكشارية إلى أن قضى السلطان محمود الثاني على الإنكشارية في ٩ من ذي القعدة سنة ١٢٤١هـ — (١٦ من يونيو سنة ١٨٢٦م). انظر: دائرة المعارف الإسلامية: للمجلد السابع، ص ٤٦٧-٤٧٠، محمد فريد: للمرجع السابق، ص ١٢٣.

(٩٠) بلاد سيس: كانت عاصمة دولة الأرمن الذين التجأوا إلى جبال طوروس وأطنة في كيليكيا، وقد تمكن المماليك من الاستيلاء عليها فانقرضت سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م). محمد جميل بيهم: المرجع السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

(٩١) فوق هذا السطر في المخطوط عبارة: (ش ١ أعا الإنكشارية ونائبه وخادمه، وفوقها للصورة رديئة الطبع غير واضحة).

(٩٢) أوجاق: كلمة تركية تستعمل في العربية "وجاق"، وتعنى في الأصل "موقد"، واستعملت بمعنى فرقة من المسكر.

(٩٣) لورطة: وحدة. والمعنى الحرفي لها هو "مركز"

(٩٤) سكبان: رجال الصيد أو حفظة الكلاب، ويسمون "سيمن" وهم ٣٤ لورطة. كليمان أوار، دائرة المعارف الإسلامية، مادة الإنكشارية، المجلد الخامس، ص ١١٣.

(٩٥) يقصد المؤلف العهد الذي عاشه.

(٩٦) قول كخيا: مراقب الرقيق، وكان يرأس أثناء الحرب هيئة أركان حرب الفرق.

(٩٧) زغرعى باشا: رئيس حفظة الكلاب.

(٩٨) المحضر أعا: رئيس الحجاب.

(٩٩) خصكي: وكانا خصكي أكبر وخصكي أصغر، وهما المكلفان بمهام خصوصية، وكانا يرسلان إلى الأقاليم لفض المسائل التي تتعلق بفرق الإنكشارية هناك.

(١٠٠) باشجاويش: رئيس صف الضابط.

(١٠١) كخيا يري: كبير النظار، وعليه إيلاغ أوامر الأعا إلى الأقاليم.

(١٠٢) أوده باشي: رئيس إحدى أوط الإنكشارية التي تقم عادة في أوده (غرفة).

(١٠٣) باش اسكي: رئيس الجنود، وهو أكبر أفراد الفرقة سنا، وكان رئيسا للقره قول "الحراس" ولهذا سمي "باش قره قوللوقجي". كليمان أوار دائرة المعارف الإسلامية: مادة إنكشارية، المجلد ٥، ص ١١٣، ١١٤.

(١٠٤) هكذا في الأصل، والصحيح "الطاهي" والمقصود الأشجي باشي: رئيس الطهارة. ويضاف إلى ضباط الأورطة كذلك: "سقا باشي"، وهو رئيس السقائين. انظر صورة توزيع الشرباء على الإنكشارية. وهي غير واضحة وديئة للتصوير.

(١٠٥) وردت في مقالة جرجى زيدان عن "تاريخ الجند العثماني" بمجلة الهلال: ج ٨، السنة ١٧ مايو ١٩٠٩م، ص ٤٥٩.

(١٠٦) صفحة ٣٨ من المخطوط عبارة عن صورتين غير واضحتين الأولى كاد المؤلف يكتب تعريفا بها وتراجع والثانية أسفلها (ش ٢) أنفار الإنكشارية، ووضع المؤلف رقما تحت كل شخصية في الصورة ١-٢-٣-٤-٥-٦.

(١٠٧) العلوقة: مرتب مرة كل ثلاث شهور للعاملين في العسكرية العثمانية. أصلها عربي من العلف وهو أكل الحيوانات. وقد أخذت من هذه الكلمة على اعتبار أنها كانت في البداية تعطي نظير علف حيوانات عساكر الفرسان، ثم صارت مرتب. وزيادة هذا المرتب كانت تسمى ترقي. انظر

**MIDHAT SERTOGLU, OSMANLI TARİH LUGATI, S.348/1, ENDERUN KİTABEVİ, İSTANBUL 1986.**

(١٠٨) منحة الجلوس: منحة كانت تصرف للجنود والعلماء وموظفي الدولة، عند اعتلاء السلطان الجديد العرش. وقد بدلت هذه العادة، عند جلوس السلطان بايزيد الصائقة الذي حكم الدولة من عام ١٣٨٩ إلى عام ١٤٠٢م وهو بايزيد الأول. لكن منحة الجلوس هذه لم تكن إلا في عهد السلطان محمد الفاتح الذي حكم من ١٤٤٤ - ١٤٤٦م ثم من ١٤٥١م إلى ١٤٨١م. انظر مدحت سرت لوطو، المرجع السابق، ص ١٦٨.

(١٠٩) وقد ذكر جرجي زيدان أن مجموع ما يعطى من "بخشش الجلوس" قد يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهما، وكان بخشش الصدر الأعظم ٣٠,٠٠٠ درهما، ومثله لشيخ الإسلام. وهنا يستخدم زيدان كلمة درهم محل كلمة آقجة، جرجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، المرجع السابق، ص ٤٦٣.

(١١٠) انظر للصورة بملحق الكتاب.

(١١١) ولد السلطان سليم الأول سنة ٨٧٥هـ (١٤٧٠م). وتوفي في ٩ من شوال سنة ٩٢٦هـ (٢٢ من سبتمبر سنة ١٥٢٠م). سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، نغمة ٣٢، ص ٢٤، محمد فريد: المرجع السابق، ص ١٩٧.

(١١٢) سقطت كلمة عثمان من المؤلف فوضعناها بالشكل المذكور.

(١١٣) هي ولاية تكة انظر: إبراهيم حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، القاهرة، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، ص ٧٥.

(١١٤) في الأصل لويضا: "سليما".

(١١٥) كفة: عاصمة ولاية القرم العثمانية وهي شبه جزيرة في البحر الأسود، مدحت سرت لوطو المرجع السابق ص ١/١٨٢.

(١١٦) "وبعث إلى لييه... وجاءت غير ذلك في طبعة الهلال الأولى.

(١١٧) ديموتيقا DIMOTIKHOM بالتركية الحديثة DIMOIKA تقع إلى الجنوب من أدرنة في اليونان على الحدود لتركيا. محمد فريد: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(١١٨) الأرجح أن المؤلف يقصد الإيحاء بأن "ابنه سليما" قتله.

(١١٩) "ولاولادهم" أي لولاد أخويه.

(١٢٠) يقصد سليما.

(١٢١) الدولة الصفوية: أصل هذه السلالة من أنريجان، وتنسب إلى الشيخ صفي الدين المتوفى سنة ١٣٣٤م، وهو تركي منى وشيخ طريقة، انتقل إلى أربيل في شمال فارس وقد اعتنق أحد أفضال الشيخ، وهو الجنيد (١٤٤٧ - ١٤٦٠م) المذهب الشيعي الإثنى عشري، ولخذ بيته في الأفاضول، وقد تزوج الجنيد من شقيقة لوزون حسن "زعيم الأقي قونلو". وخلف الجنيد ابنه حيدر، الذي زاد

أبتاعه، واتخذ شعرا لهم يميزهم عن غيرهم، وكان على صورة قلمسوة حمراء ذات اثنتي عشرة نوابية كناية عن الأئمة الإثني عشرية، ومن هنا أطلق العثمانيون عليهم "قزل باش" أي "الرؤوس الحمراء". ومع تولى إسماعيل بن حيدر عم ١٤٩٤م، توالى الأحداث، فاستولى على شيروان سنة ١٥٠٠م، وعلى تبريز عام ١٥٠٢م وجعلها عاصمة له، وسيطر على أصفهان ويزد وكروان وجنوب خراسان، وأعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا لفارس. محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٨٨، ١٨٩؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٣٦-١٣٨.

(١٢٢) يشبه بعض للمورخين هذه المنبحة بتلك التي وقعت في بساريس سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) والمشهورة بمنبحة سان بارلتمي، والتي ذبح الكاثوليك فيها ستين ألفا من البروتستانت بأمر الملك شارل التاسع. انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٩٠.

(١٢٣) هي موقعة جالديران في ٢ من رجب سنة ٩٢٠هـ (٢٣ من أغسطس ١٥١٤م). نفس المرجع والصفحة.

(١٢٤) في ٤ من رجب سنة ٩٢٠هـ (٤ من سبتمبر سنة ١٥١٤م). محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٩٠.

(١٢٥) نشر جرجى زيدان ثلاث مقالات بعنوان "الاستانة العلية" في مجلة الهلال، الجزء الأول والثاني والثالث من السنة ١٨، أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م.

(١٢٦) فتح سليم قلعة كوماش وإمارة ذي القدر أو القدرية عام ١٥١٥م، وهي إمارة صغيرة في شوق الأناضول إلى الجنوب. أشار المؤلف أنه سيضع صورة عرش شاه إيران هنا، ولم يضعها. محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٩١.

(١٢٧) جعفر جلبي: هو تاجي زاده جعفر جلبي، قاضي عسكر مشهور في عهد السلطان سليم الأول، وحامل الطغراء السلطانية ومؤلف محروسة استانبول فتحنا مه سي وزوج بهروزه خاتون زوجة الشاه إسماعيل الصفوي بعد أسرها في جالديران. داتشمند، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٤٣١.

(١٢٨) الأثرى الذهب: (أشرفي آلتون) اسم أطلقه المصريون على المسكة التي ضربت في مصر عام ١٥١٧م باسم السلطان سليم بعد فتحه مصر. وإن كانت ترجع إلى عهد السلطان الأثرى برسباي (١٤٢٢-١٤٣٨) وسماها المصريون أيضا بالشريفي وراذفت كلمة سلطاني. في هذا الموضوع انظرو مدحت سرت أو غلو، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٤.

(١٢٩) التجريدة حملة عسكرية لمحاربة المتمردين في المماليك أو العربان.

(١٣٠) الشاشات: جمع شاش؛ وهو ما يلف حول غطاء الرأس من قماش رقيق. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٤٢٧.

(١٣١) المكوس : ومفردها مكس، وهي كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاع أو لموظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي. عاشور، للمرجع السابق، ص ٤٥٣.

(١٣٢) رجع المؤلف إلى ابن إياس بقوله بدائع الزهور ٦١ ج ٣ ولم يذكر الطبعة. انظر الطبعة المحققة: ابن إياس "بدائع الزهور في وقائع الدهور" تحقيق مصطفى. القاهرة ١٩٨٤م الطبعة الثالثة صفحات ٨٩-٩٢-٥.

- (١٣٣) وقد تولاها سنة ٩٢١هـ (١٥١٥م)، وهو سادس عشر للخلفاء العباسيين وآخرهم بمصر.
- (١٣٤) هكذا في الأصل، والصحيح "سودون".
- (١٣٥) الأصل فيها "لمير أخور"، وهو أمير المزود الذي يقوم بالإشراف على إسطنبول السلطان، ورعاية ما فيه من خيل وحيوانات. الجبرتي عبد الرحمن، عجائب الأثر في التراجم والأخبار، مطبعة الأتولر المحمدية، القاهرة، ١٩٨٦ ج٤ ص ١٠٦١ وسعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٣٩١.
- (١٣٦) مع أن من المعروف أن المماليك أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن مصر والوقوف للتاريخية كثيرة ولم يقصروا في ذلك.
- (١٣٧) هو الأمير قفصو الأثرفي.
- (١٣٨) ينقل المؤلف هنا عن ابن يليس، ج ٥، ص ٨٦ و٨٥.
- (١٣٩) يمكن قراءتها أيضا على شكل "بهاري".
- (١٤٠) كنبوش: وجمعها كنبيش، وهو خمار لتغطية الوجه، وقد أطلق اللفظ على البردعة توضع تحت سرج الفرس، سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٤٤٥.
- (١٤١) الزردخاتل: بيوت السلاح.
- (١٤٢) يمكن قراءتها في النص على شكل "قيه" لكنها في الأصل "قه"، فنظر: ابن يليس: ج ٥، ص ١٠٥.
- (١٤٣) الصحيح "قليا". فنظر: ابن يليس: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٤٠.
- (١٤٤) بركة الحاج: قرية في شمال شرق القاهرة تقع في جنوبي الخانكة وشرقي المرج (محلها اليوم القرية التي تعرف باسم البركة من قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية). وقد تشتهر اسمها ببركة الحاج لنزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودتهم. وفي هذا المكان كان يتقد اجتماع الديوان العالي في مصر العثمانية، لتسليم أمير الحج الحصرة لشريفة وإيرادات أوقاف الحرمين من مال وغلال، كانت تعرف بصرة الأوقاف. فنظر: ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٤٣، ١٤٤.
- (١٤٥) الجمعة ٢٩ من ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ (٢٢ من يناير سنة ١٥١٧م).
- (١٤٦) الجامكية: وجمعها جولمك؛ الراتب للمربوط لشهر أو أكثر. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٤٠٤.
- (١٤٧) ينقل المؤلف هذه العبارة من ابن يليس، وأصلها: "يا أغوات ما فيها اليوم جامكية، البلاد خراب، والحرب مفتنة في الطراقات". انظر: ابن يليس: ج ٥، ص ١٣٥.
- (١٤٨) يقصد المماليك.
- (١٤٩) كان لدى المماليك مدافع وبارود أيضا في ذلك الوقت لكن التقدم العلمي العسكري لدى العثمانيين كان أكثر. فنظر محمد حرب. العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٤١٩ دمشق ١٩٨٩.
- (١٥٠) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: ١٢٧-١٣٢هـ (٧٤٤-٧٥٠م)، هو آخر خلفاء بني أمية، وقد قتل في مصر على يد صالح بن علي بن عباس بن أخي الخليفة العباسي عبد الله السفاح،

وذلك في ٢١ من ذو الحجة سنة ١٣٢٠هـ (٣١ من يوليو سنة ١٧٥٠م). محمد مختار باشا: المصدر السابق، ص ٦٤-٦٧.

(١٥١) انظر هذا النص في: ابن ياسين: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٤٧. وهذا الأبيات للشيخ بدر الدين الزيتوني، وكان شاعرا شعبيا مشهورا في عهد السلطان المملوكي قانصو الغوري، وله مقطعات صغيرة عن حوادث الفتح العثماني، وقد أورد ابن ياسين مرثيته في السلطان الغوري. انظر ابن ياسين نفس المصدر، ص ٩٦-١٠١، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، العصر العثماني، ١٥١٧-١٧٩٨م، ص ١٣.

(١٥٢) الجمعة ٣٠ من ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ (٢٣ من يناير سنة ١٥١٧م).

(١٥٣) وهم: كمال الدين الطويل الشافعي، ومحيي الدين الدميري المالكي، وشهاب الدين الفتوحى الحنبلي. ابن ياسين: ج ٥، ص ١٤٧.

(١٥٤) انظر هذا النص في: ابن ياسين: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٤٨.

(١٥٥) ٢٦ من يناير سنة ١٥١٧م.

(١٥٦) الجنائب: هي الخيول التي تسيّر وراء السلطان في الحروب. سعيد عبد الفتاح عشور: المرجع السابق، ص ٤٠٦.

(١٥٧) هو المؤرخ المصري ابن ياسين، وقد نقل صفات السلطان سليم سماعا وليس مشاهدا كما يذكر المؤلف. تأمل كلمة قيل في ابن ياسين، الحاشية التالية.

(١٥٨) صفات السلطان سليم ليست هكذا، وقد نقل جورجى زيدان هذه الصفات عن ابن ياسين؛ الذي نقلها سماعا، وذلك على النحو التالي:

"وقيل إن صفته ذريّ اللون، حليق الذنن، وافر الأنف، واسع العينين، قصير القامة، في ظهره حنّية، وعلى رأسه عمامة صغيرة، ويلبس قفطانا مخملا، وعنده خفة ورهج، كثير التالف إذا ركب الفرس. وقيل إن له من العمر نحو أربعين سنة.. ابن ياسين: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٥٠.

(١٥٩) ٣١ يناير (١٥١٧م).

(١٦٠) نقل المؤلف هذا عن ابن ياسين، ج ٥، ص ١٧٢.

(١٦١) المقصود "بالحيلة" الخديعة.

(١٦٢) في "بدائع الزهور.. شئق في ٢٢ من ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ (١٢ من إبريل سنة ١٥١٧م). ابن ياسين: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٦.

(١٦٣) انظر السبب في قتل طومان باي في شهاب الدين تكين ضاغ: طومان باي: مادة كتبها لدائرة المعارف الإسلامية للتركية، الترجمة التركية، الجزء ٢/١٢، ص ٥٤-٥٧. وأساسها أن خير بك وجان بردي الغزالي أوصيا السلطان سليم بإعدام طومانباي، لاستتباب النظام في مصر وللمنع المقاومة ضد العثمانيين. انظر تفصيل أكثر: سعدى بن عبد المتعال، سليمان، مخطوط تركي، مكتبة رولان-طوبقور رقم ١٢٧٧، ورقة ١/٩٩، وجركسلر كاتبى يوسف، تاريخ مصر، مخطوط تركي، مكتبة أسعد أفندي بالسليمانية رقم ٢١٤٦. ورقة ٤١/ب.

(١٦٤) من سنة ٧٨٤هـ إلى سنة ٩٢٣م (١٣٨٢-١٥١٧)

- (١٦٥) سنة تأليف المخطوط سنة ١٩١١ أي قبل فرض الحماية البريطانية على مصر عام ١٩١٤.
- (١٦٦) السلطان عبد الحميد الأول: تولى في ١٠ من شوال سنة ١١٨٧هـ (٢٥ من ديسمبر ١٧٧٣م) وتوفي في ١٢ من رجب سنة ١٢٠٣هـ (٢٩ من مارس سنة ١٧٨٩م). والمؤلف هنا يقصد سلطنة مصطفى بن محمد (مصطفى الثالث)، الذي تولى في ١٦ من صفر سنة ١١٧١هـ (٣٠ من أكتوبر سنة ١٧٥٧م) وتوفي في ربيع الأول سنة ١١٨٧هـ (٣١ من مايو سنة ١٧٧٣م).
- (١٦٧) الصحيح " استنقل فيها".
- (١٦٨) هكذا في الأصل ، والصحيح سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م).
- (١٦٩) هذا قول ابن ليس. انظر أيضا للحاشية التالية.
- (١٧٠) ابن ليس: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٩.
- (١٧١) للمقصود " يقدم".
- (١٧٢) ليس في الإسلام سلطة مطلقة، فالحاكم مقيد بأحكام الشرع وللشورى، وصلاحيات أمور المسلمين لا يمكن أن يتحقق ويتم في ظل سلطة مطلقة. في تقرير مفصل عن أسس نظام الحكم في الدولة العثمانية يمكن إيجاز هنا بغية الإفادة منه في تجلية وعرض للرؤية الأوربية للحكم الإسلامي. كتب هذا التقرير قاتوني هولندي غير مسلم رأي " أن الدولة العثمانية دولة مسلمة للحكم والأحكام. الحقوق فيها- في رؤية المسلمين - أوامر إلهية. هذه الأوامر تنقسم إلى قسمين " ديني ودينيوي. يعنى عبادات ومعاملات. وكلاهما متم للأخر ولا انفصال بينهما. والقرآن - كما يراه المسلمون - كتاب مقدس فيه الأوامر الإلهية وبمعد كل البعد عن الشك. والأحكام القانونية التي يحتويها القرآن، تشمل كل ميادين الحقوق، في شكل أحكام منفصلة أو في شكل أسس عامة. والقرآن مصدره للوحي، وليس الإلهام. والقرآن - عند المسلمين - كتاب تسرى أحكامه بل وكل حرف من حروفه على كل الأراضي وعلى كل الأزمنة. هذا عن القرآن . أما السنة فهي أفعال النبي: كلمات وعمل . والفرق بين السنة والقرآن أن السنة ليست عن طريق الوحي وإنما عن طريق الإلهام، يليق الله في قلب النبي. يرى المسلمون أن للنبي محمد بشر، لكنه نبي ورسول: صادق الكلمة وصادق للعمل، إيمان ممتاز لأنه جمع في شخصه كل الأخلاق الصنة وكل العلم، وذلك بإحسان من الله، إليه هو والنبي محمد - عند المسلمين - مبالغ للقرآن وتمتع للدين. والخليفة أو السلطان أو بمعنى آخر الإمام للشرعي، هو وكيل الله على الأرض، وهو المسئول أمامه، مكلف بطاعة أحكام القرآن والسنة. وإذا حدث وترك هذا السلطان ما كلف به من إطاعة الأحكام للورد في القرآن والسنة، فلا يمكن لهذا السلطان أن يكون مطاعاً من رعيته. ويجب على السلطان أن يشاور المهرة والمقتدرين، عندما يقوم بإدارة للدولة. وسلطة السلطان للخليفة محدودة مباشرة مشروعة والقانون الإلهي في الإسلام يقيد استبداد السلطان. والشرعية التي بلغها النبي للناس ليست قابلة للتغيير ولا للأرجحة في أي وقت من الأوقات. واعتقد اعتقاداً واضحاً أن الشيء الذي ترغبه أوروبا من الدولة العثمانية- وهي دولة دينها الرسمي هو الإسلام- أن يشير الأتراك دينهم، وبالتالي ترغبه أوروبا أن تتحول الدولة العثمانية المسلمة. ويتشكل الإسلام من عنصرين: الدين والدولة. والشرعية لا تفصل بين الدين والدولة ولهذا السبب يجمع للشرع لشريف كلا من العبادة والمعاملات معا. والسلطان هو الحاكم الحقيقي للدولة، وهو أيضا قائدها العسكري وإمامها الأول.

وكما أن الحكومة في الإسلام مسنولة عن تنفيذ الأحكام الشرعية وتحصيل الضرائب، فإنها أيضا - وبنفس القدر - مسنولة عن إجراء العبادات. والمعنى الذي يعطيه المسلمون للشرعة لا يشبه معنى القانون عندنا في الغرب. الشريعة - عند المسلمين - عبارة عن القرآن أولا ثم السنة ثانيا ثم للفتاوى ثالثا. والفتاوى تعنى الرؤى الحقوقية التي قال بها الإنمة والمجتهدون المتخصصون في علم الفقه. أصل الأسس في كل الأحكام الحقوقية هي: القرآن والسنة والإجماع والقياس. وتعتبر قواعد العرف والمعادن، في حكم القانون المكمل للأحكام الشرعية الشريفة ولا يمكن للدولة أن تنفذ أي فرمان أو إرادة سلطانية أو أي قانون يصدره السلطان، إلا إذا صدق عليه شيخ الإسلام في الدولة العثمانية.

AHMET AKGUNDUZ OSMANLI KANUNNAMELERI VE HUKUKI TAHLILLERI. I. KITAP. OSMANLI HUKUKUNA GIRIS VE FATIH DEVRI KANUNNAMELERI. ISTANBUL 1990. C. I. S. 46-47.

(١٧٣) هذا القول لم نعم أن قائله أحد من علماء الإسلام، لأن الإسلام والشورى في الإسلام أساس الحكم.

(١٧٤) قهارة: جمع قهرمان، وهي كلمة تركية تعنى: بطل شجاع. انظر: محمد على الأسي، للدراري اللامعات، بيروت ١٣١٨هـ، ص ٤٤٣.

(١٧٥) "القطر" هو المطر.

(١٧٦) لم يذكر المؤلف مصدره في هذا القول. وقد قتل الأمين (١٩٨هـ - ٨١٣م). ولم يخل نظام العالم أو تحتجب الشمس أو يمتنع المطر أو يجف النبات.

(١٧٧) - (١٧٨) سلطة الخليفة ليست مطلقة، ولا يمكن الاستدلال على سلطته المطلقة من أقوال الشعراء، لأن الشعر شعر وليس علما. أما القول بأن الخليفة ظل الله الممدود بينه وبين خلقه فهو مجازي أو استعاري، ويقصد به أن السلطان أو الحاكم العادل يقيم العدل بين الناس وينفذ الشريعة بهو ينفذ حكم الله، أي أنه بمثابة ظل الله يحتسى به الناس من الظلم. عبد الحميد الشافعي: الدرر للبهية في فضل العرب ومآثر الدولة العثمانية، الإسكندرية، ١٩٠٢، ص ١٥.

(١٧٩) آل بويه في جنوب إيران وفي العراق: ٣٢٠ - ٤٤٧هـ (٩٣٢ - ١٠٥٥م).

(١٨٠) عضد الدولة البويهى: ٣٦٧ - ٣٧٢هـ (٩٧٨ - ٩٨٣م).

(١٨١) التقليد معناه: تقليد الولاية الأعمال. انظر القاموس المحيط ج ٢ سنة ١٩٨٧ بيروت ص ١/٣٩٩.

(١٨٢) خلط المؤلف هنا بين الإسلام دينا قويا لا يتضعع وبين المسلمين وما يتقاهم من ضعف أو تضعع.

(١٨٣) ألف جورجى زيدان مصنفه هذا سنة ١٩١١م.

(١٨٤) حدد الفقهاء شروط الخلافة وتنصيب الإمام بأربعة شروط هي: العدل والكفاية والعلم وسلامة الحواس واختلفوا على شرط خامس وهو النسب القرشي. إلا أن ابن خلدون يقرر أن الهدف والمقصود من هذا الشرط ليس للنسب القرشي في حد ذاته بل إن ابن خلدون يرشدنا إلى فائدة هذا الشرط والمقصود منه إنما هو العصبية فيقول " .. إذا الفائدة في النسب إنما هي العصبية .. وطردنا العلة المشتبهة على المقصود من القرشية هي وجود العصبية فاشتربنا في القائم بأمر المسلمين أن يكون

من قوم أولى عصبية غالبية على من معها لصرها ليستبخوا من سواهم وتجمع للكلمة على حسن الصلاة" ابن خلدون مقدمة ابن خلدون: المطبعة للبيهية ص ١٦٩، ١٧٠.

(١٨٥) للطائع بالله للخليفة العباسي: ٣٦٣-٣٨١هـ (٩٧٤-٩٩١م).

(١٨٦) طغرل بك: مؤسس دولة السلجوقية سنة ٤٣٢هـ (١٠٤٠م).

(١٨٧) القاقم بأمر الله: ٤٢٢-٤٦٧هـ (١٠٣١-١٠٧٥).

وكان طغرل بك قد دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٦م)، وأقيمت له الخطبة بها، وقد عقد للقاقم بأمر الله عقد نكاحه على أرسلان ختقون ابنه داود أخى السلطان طغرل بك. وفي سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) تمرد الأمير أرسلان اليبسايري قائد جيش الخليفة في بغداد ورفع العلم الفاطمي ودعا للمستنصر، ولكن طغرل بك أعاد الخليفة إلى منصبه سنة ٤٥١هـ (١٠٥٩م) وقطعت رأس اليبسايري. انظر: صدر الدين على الحصيني: أخبار الدولة للسلجوقية، تصحيح محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣م، ص ١٥-٢٠، عماد الدين محمد بن محمد حامد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن على محمد البنداري الأصفهاني، القاهرة، مطبعة الموسوعات، ١٣١٨هـ-١٩٠٠م، ص ١٣-٢٠، محمد مختار باشا: التوقيعات الإلهامية، ص ٢٢٤-٢٢٦.

(١٨٨) يبدو أن الخيال الروائي قد لعب دورا في هذه الحكاية، فلقد تزوج طغرل بك ابنة القاقم بأمر الله على صدق مائة ألف دينار، وذلك في الخامس عشر من صفر سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م)، وتوفي في الثامن من رمضان سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) وعمره سبعون سنة. صدر الدين على بن على الحصيني: المصدر السابق، ص ٢٢، ٢١.

(١٨٩) سنة تأليف هذا المخطوط ١٩١١م.

(١٩٠) هذه نظرة للمؤلف إلى مفهوم الحكم العثماني.

(١٩١) تولى خاير بك نيابة مصر في ١٢ من شعبان سنة ٩٢٣هـ (٣٠ من أغسطس سنة ١٥١٧م).

ابن إيس: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٣.

(١٩٢) لوجاق المتفرقة: لم يتكون إلا في عام ٩٦٢ (١٥٥٤م) وهو يختص أساسا بخدمة الباشا والديوان؛ لذا عرف في الوثائق باسم متفرقة ديوان مصر، وكان خليطا من المشاة والفرسان. ولم يكن ينقسم إلى بلوكات، بل كانت إدارته تجري بواسطة كتبه المتفرقة تحت الإشراف المباشر لأمرام مصر. وكان عدد أفراد هذا الأوجاق في أواسط القرن ١٠هـ/١٦م خمسون فردا. انظر: عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٢٠٣، ٢٠٤، سيد محمد السيد: مصر في العصر العثماني في القرن ١٦، دراسة وثائقية في النظم الإدارية والمالية والقضائية، للقاهرة، مكتبة منبولي، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٣٢٢.

(١٩٣) لوجاق الجاويشية: تشكل بموجب قانون نامة مصر سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م) من المماليك الذين أئتبوا لإخلاصهم للسلطان العثماني، وكان يختص بخدمة الباشا والديوان لذا عرفوا باسم "جاوشان ديوان مصر" أو "جاويشية الديوان". وفي أواخر القرن ١٠هـ/١٦م شكلت جماعة لأخرى عرفت باسم "جاويشية مصر" كانوا يرقون وينتسبون لجماعة جاويشية للديوان. انظر: أحمد فولاد متولي،

قانون نامه مصر ص ٢٧، الأتجلو /١٩٨٦. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٢١٧؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٣١٦-٣١٨.

(١٩٤) ضابطان: جمع كلمة ضابط وتعى ضباط، وهي صيغة جمع تركية على الطريقة الفارسية. (١٩٥) لم يعرف أوجاق بهذا الاسم، وإنما هناك أوجاق كوكلويان وتطلق "جونولويان" بالجيم المصرية أي المتطوعون، وكانوا من الفرسان، وكانوا يتولون حراسة أمن القاهرة والولايات بـجوار الكشاف بطريقة المناوبة. وكان عددهم في أواسط القرن ١٠ هـ / ١٦م (حوالي ٢٠٠٠ فرداً). أحمد فؤاد، مصدر سبق ذكره ص ٩. سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٨٧-٢٩١.

(١٩٦) أوجاق توفنكجيان: وتطلق "تفنكشيان" وهم الفرسان المسلحون بالبندق، وقد تركزت مهامهم على حراسة وحماية الولايات القريبة من مصر، وأحياناً كانوا يستعملون في تحصيل الأموال الميريبة في الولايات. وقد وصل عددهم إلى ١٤٠٠ فرداً في أواسط القرن ١٠ هـ / ١٦م. أحمد فؤاد، المصدر السابق، ص ١٣. سيد محمد السيد: المرجع السابق، ٢٩٣.

(١٩٧) أوجاق العزبان: وقد تشكل بموجب قانون نامة ٩٣١ هـ (١٥٢٥م)، وهي من الجنود المشاة غير المتزوج. وقد أسند للعزبان مهمة حراسة القلعة وضواحي القاهرة، لذا أشير إليها في الوثائق باسم "عزبان قلعة مصر". وكان على العزبان الدفاع عن مصر والاشتراك في الإمدادات الحربية التي يطلبها السلطان، واختص بمهمة إمداد ترسانة الإسكندرية والسويس بالتجارة من رجاله، كما كان عليه تقديم الرجال للقلاع الصغيرة في الأقاليم لحراسة الأراضي الزراعية ضد غارات الأعراب. وقد وصل عدد أفراد هذا الأوجاق ٧٠ فرداً في أواسط القرن ١٠ هـ / ١٦م. أحمد فؤاد، المصدر السابق ص ٢١. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١٩٥، ١٩٦، سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٣١٤-٣١٦.

(١٩٨) الصنجقية: من كلمة "سنجاق" التركية، وتعنى العلم أو القسم من ولاية كبيرة أو الحاكم على قسم من ولاية، وقد تكون الصنجقية مجرد رتبة. وكانت الصنجقية أسمى الرتب في مصر العثمانية. وعرف الصناجق في الوثائق باسم "جماعت أمراء محافظين ولاية مصر". حسين أفندي الروزنلجي: ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، تحقيق محمد شفيق غربال، بعنوان مصر في مفرق الطرق (١٧٩٨-١٨٠١م)، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الأول، ١٩٣٦. المصدر السابق، حاشية (٢) ص ١٤، ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ٣٩١، ٣٩٢.

والجدول التالي يبين الأوجاقات العثمانية في مصر، وتعدادها. بما يمثلته من قوة، عام ١٦٦٤ وتطورها في قرن تقريباً حتى آخر سنة قبل وصول الحملة الفرنسية:

الأوجاق	١٦٦٤	١٧٨٩
١- المستوطنان	٤٨٩٩	٦٨٩٣
٢- للفرسان	١٣٥٦	٣٢٧٤
٣- المتفرقة	٣٢٦٥	١٥١٩
٤- الجاوشان	١٢٥٩	٢٤١٥
٥- الكونوليان	١١٥٤	٢٠٣٧

الأرخاق	١٦٦٤	١٧٨٩
٦- للتفكيكيات	٩٠٧	١١٠٠
٧- للجراسكة	٨٣٣	١٠١٧
المجموع	١٣٦٧٣	١٨٣٠٣

الأمير أحمد الدمرداش كتحدا غربان، مخطوطة الدرّة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق دلفيال كرميلوس وعبد الوهاب بكر، دار الزهراء للنشر، للقاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. المقدمة ص ٣٠، ويلقى عبد اللطيف أحمد، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

(١٩٩) توفي السلطان سليمان القانوني في ٢٠ من صفر سنة ٩٧٤هـ (٥ من سبتمبر سن ١٥٦٦م). وكان عمره ٧٤ سنة، ومدة حكمه ٤٨ سنة. سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٤ سليم فارس: أيدع ما كان في صور ملاطين آل عثمان، مطبعة الجوانب، ص ١٠، محمد فريد: للمرجع السابق، ص ٢٥١.

(٢٠٠) فتح بلغراد في ٢٥ من رمضان سنة ٩٢٧هـ (٢٩ من أغسطس سنة ١٥٢١م). محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٠٢، إبراهيم حليم: المرجع السابق، ص ٨٦، محمد سهيل طقوش: للمرجع السابق، ص ١٦٧-١٦٩.

(٢٠١) فتح رونس في ٢ من صفر سنة ٩٢٩هـ - ٢١ من ديسمبر سنة ١٥٢٢م. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢-٦، إبراهيم حليم: المرجع السابق، ص ٨٦، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧٢.

(٢٠٢) حوصرت فيينا للمرة الأولى سنة ١٥٢٩م لمدة ١٩ يوماً، وفي سنة ١٥٣٢م لمدة سبعة أشهر حتى توقيع الصلح بين الدولة العثمانية والنمسا في ٢٢ من يونيو سنة ١٥٢٣م. محمد فريد: للمرجع السابق، ص ٢١٦-٢١٩، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٧٧-١٨٤.

(٢٠٣) دخل للصدر الأعظم إبراهيم باشا تيريز سنة ١٥٣٤م ودخلها للسلطان سليمان في أوائل سنة ١٥٤٨م. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٢٢، ٢٤٠، د. محمد سهيل طقوش: للمرجع السابق، ص ٢٠٠، ٢٠٦.

(٢٠٤) عرف السلطان سليمان بالقانوني، لازيد حركة الفتوح الإسلامية في عهده وبالتالي لزيداد حركة للتقنين.

(٢٠٥) للصحيح أن إدارة مصر قد رست بمقتضى قانون نامة مصر، وتم العمل به. إلا أن ثورة أحمد باشا اللخان في مصر، جعلت للدولة العثمانية تعيد النظر في قانون نامة مصر، وتعنله وترجع به إلى قانون قايتباي لاتخاذ أساساً للتعديل. انظر، أحمد فؤاد قانون نامة مصر، للمقدمة ص ٤-٥.

(٢٠٦) في المخطوط صورة للسلطان سليمان القانوني.

(٢٠٧) للصحيح أنه اللديوان الكبير، فلقد نص قانون نامة مصر على إنشاء ديوانين، أشار إلى أولهما باسم اللديوان فقط، وأشار إلى الثاني باسم ديوان ناظر الأقال (الدقتردار) وهو اللديوان الصغير.

يلقى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٥.

(٢٠٨) لم يثبت من خلال الوثائق والمصادر المعاصرة أن الباشا كان يحضر الجلسات من وراء ستار، وإنما كان يحضر الجلسات ويشارك في المناقشات بصورة ظاهرة. ليلي عبد اللطيف، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢٠٩) لم يحدد قانون نامه أعضاء الديوان الكبير ولا اختصاصاته وإنما حدد مواعيد عقده بأربع مرات في الأسبوع. ويتضح من سجلات الديوان والمصادر المعاصرة أن عضوية الديوان عضوية وظائف وليست أشخاص وهم: كتحدا الباشا وقاضي عسكر أفندي والدفتردار والروزنامجي والأمراء الصناجق وأغاروات واختيارية الأوجاقات. وفي الجلسات ذات الطابع الخاص كان يحضرها أشخاص ليسوا من أعضاء الديوان وإنما يحضرون بوصفهم أطراف في نزاع أو شهود، وربما أوحى حضور هذه الشخصيات إلى بعض المؤرخين أن التجار والعلماء والأشراف وغيرهم كانوا أعضاء في الديوان. انظر: ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١١٢٧ عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر للحديث ١٥١٧-١٩١٩م الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م، ص ١٣١-١٣٢.

(٢١٠) كان في القلعة، وفي القاعة التي عرفت "بديوان قايتباي".

(٢١١) الدفتردار: رئيس الديوان الدفتري، وله الإشراف العام على مالية مصر، وتحصيل الأموال، وإنجاز مهام الحرمين وصرة أهالي مكة والمدينة، وتشهيل خزينة السلطان ومعدات الاسكفنة، ومحاسبة للباشا في آخر عهده بالولاية. وكان يطرح مقاطعات الالتزامات في المزاد. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق، ص ١٦، حسين عثمان ومحمد محمد توفيق: تاريخ مصر في العهد العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م) في: بعض أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٣٦١هـ-١٩٤٢م، ص ٢٦٠.

(٢١٢) الروزنامجي: رئيس ديوان الروزنامه وكبير الأفندية، وكان مختصا بجمع الأموال الأميرية، أي إيرادات مصر من الأرض والجمارك والمناصب، وصرفها في الوجوه المقررة لها تحت إشراف الديوان الدفتري. وكان يعرض الأوامر الصادرة إليه من الباشا على الأقسام المختصة، ويرفع البيانات إلى الديوان الدفتري. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق، ص ٢٥، ٢٦ ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٢١٣) الصحيح أن هذه الأوجاقات السبع كانت تكون الحامية العسكرية في مصر. وتفصيلها أن: انقسمت الحامية العسكرية العثمانية في مصر إلى سبعة فرق تسمى أوجاقات (مفردها أوجاق). وانقسم كل أوجاق إلى أسام تسمى (بلوكات) مفردها (بلوك) يقود كل منها (بلوك باشي). وكان كل أوجاق تحت قيادة (أغا) يعاونه (كتخدا) ويعاون الاثنين ضباط الاختيارية. وكانت (الانتكشارية) التي يشار إليها في مصر باسم المستحفظان (الحراس) و(العزبان) وهما الأوجاقان اللذان يعسكران داخل أسوار القلعة، هما الأوجاقان المهمتان. أما باقي الأوجاقات فكانت المتفرقة (الحرس الشخصي للحاكم)، والجاووشان (المراسلات)، والجنودليان (المنطوعون) و اللتفنجيان (حملة البنادق) والجراسمة. بالنص من " أحمد الدايمرداش كتخدا عزبان، مخطوطة الدرر المصانة في أخبار الكنانة، مرجع سبق ذكره، ص ٤/٣٠.

(٢١٤) لم يحدد قانون نامه عدد رجال الأوجاقت، وهذا الرقم لم ينكر زيدان مصدره، ولم يثبت في الدراسات الوثائقية، وبخاصة في: ليلي عبد اللطيف وسيد محمد السيد.

(٢١٥) كان السلطان سليم الأول قد أمر بأن يكون لمصر ٢٤ صنجاقاً أمراء طباغقة أي تحقق لهم الطبول وغيرها تعبيراً عن مكانتهم العالية. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق، حاشية (٢)، ص ١٤؛ ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٩١. ونص ما جاء في أحمد النمرش، (في أعقاب فتحه لمصر عام ١٥١٧م أنشأ السلطان سليم (١٥١٢-١٥٢٠) أربعة وعشرون منصباً (سنجق بك) في للولاية لمساعدة الحاكم (الباشا أو الوالي). وكان واحد وعشرون من هؤلاء السنجاقي للبكات الذين شغلوا وظائف (النقردار) و (أمير الحج) بلخ، يتمتعون بحق مصاحبة الطبول لهم في مولكهم، ولذلك فإنهم عرفوا باسم (سنجاقي طباغخاناه).. عبد الوهاب بكر ودانيال كريستوليوس، مخطوطه الدرر المصنفة في أخبار الكنانة، مصدر سبق ذكره، ص ١/٢٩.

(٢١٦) بيك أوبك: بمعنى كبير ثري، وقد استخدمت في تاريخ مصر العثمانية كرتبة لأمرام الممالكة السنجاقي.

(٢١٧) لقباطين.

(٢١٨) هم "لقبودانات" و "القبودان" تعني قائد بحري، وكان لموتى الإسكندرية، نملط، والسويس، ثلاث قبودانات يرسلون من قبل الباب العالي، ويعتبرون من صنجاقي مصر الأربعة والعشرون. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق، ص ٢/١٤؛ ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٨٥.

(٢١٩) للصحيح "والنقردار".

(٢٢٠) شيخ البلاد كبير الأمراء الممالكة؛ وهو منصب استحدث في القرن الثامن عشر، وكان شيخ البلاد للشخص الثاني في الأهمية بعد الباشا. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٤٤٩.

(٢٢١) كشاف: ومفردها، كاشف، وهو الذي يتولى إدارة كاشفة، وهي إقليم لقل في الولاية. وقد حدد قانون نامه أربعة عشر إقليمًا يديرها الكشاف؛ ثلاثة عشر منها في مصر السفلى والوسطى، والرابع عشر يكون في واحة الخارجة في الصحراء الغربية ووجدت بمصر في العصر العثماني خمسة أقسام إدارية كبرى هي: الغربية والمنوفية والشرقية والبحيرة وجرجا. كما وجد بمصر ٢٤ قسماً أصغر عرف بالكشافيات، ثلاثة بمصر السفلى، وسبع في مصر الوسطى، وأربعة عشر كاشفة في مصر العليا. وقد تتاول التعديل أكثر من مرة أقسام مصر الإدارية من حيث العدد والمساحة واعتبارها ولايات أو كشافيات. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٥٢.

(٢٢٢) أعدنا تنظيم كتابة الفقرة من جديد نظراً لسقوط كلمات كثيرة منها، فأصبحت على النحو التالي: "هذا من قبيل الإدارة، أما من قبيل محصولات البلاد فإن للسلطان سليمان صرح بأنه المالك لحر لجميع أرض مصر، فكانت له ملكا وكان يفرقها إقطاعات على مزارعين كان يدعوهم الملتزمين. على أنه لم يكن له أن يمنع إقطاعها أو يوقفه. فلم يكن بالحقيقة فرق بين هذه الإقطاعات والملك الحقيقي. والفلاحون الذين كانوا يحرثون تلك الأراضي كانوا يتمتعون بنصيبهم منها ويورثونها لأحفادهم ولكنهم كانوا مجبورين على العمل فيها بدون حق التصرف بها. وعليهم خراج لا مناص من دفعه للملتزمين. فإذا توفي فلاح عن غير وريث تعطي أرضه للملزم وهو يعهد حراثتها إلى من يشاء ن وإذا مات

الملتزم عن غير وريث تعود الأرض للسultan. وكان على كل من الملتزمين والفلاحين خراج يدفعونه إما نقدا وإما عينا، فإذا تأخر الفلاح عن الدفع يمنع من نوال نصيبه، وإذا تأخر الملتزم يؤخذ الأرض منه". جرجى زيدان، تاريخ مصر الحديث، ج ٢، ص ٧١.

(٢٢٣) سقطت كلمة "مكنا" كذلك في هذا الوضع في المخطوط.

(٢٢٤) أجزيت مساحة جديدة للأراضي المصرية في سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٦) في ولاية سليمان باشا الخادم على مصر: ٩٣١هـ - ٩٤١هـ (١٥٢٥-١٥٣٥م). إيلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٧٩.

(٢٢٥) الصحيح "خان". وقد سقطت من الطبعة الأولى.

(٢٢٦) توفي "خير بك" في ١٤ من ذي القعدة سنة ٩٢٨هـ (٥ من أكتوبر سنة ١٥٢٢م)، ودفن في مدرسته التي أنشأها عند باب الوزير. ابن ياسين: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(٢٢٧) تولى "مصطفى باشا" في ٥ من ذي الحجة سنة ٩٢٨هـ (٢٤ من أكتوبر سنة ١٥٢٢م). ابن ياسين المصدر نفسه، ص ٤٩٠. ومصطفى باشا وتسميه المصادر العثمانية بإيلاق مصطفى باشا، وصل إلى القاهرة في ٢٨ ذي الحجة ٩٢٨هـ وظل بها تسعة أشهر وخمس وعشرين يوما وتولى بعده أحمد باشا الذي تصفه المصادر العثمانية بصفة خان أحمد باشا. كذلك تعتبر هذه المصادر أن مصطفى باشا" الفاتح الجديد للديار المصرية" لأنه قضى على عصيان جانم السيفي كاشف البيهنا وإينال الطويل كاشف الغربية، وأرسل رأس جانم إلى استانبول لإعلان انتهاء العصيان. انظر عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدره عثمانلى واليلرى، مخطوط تركى عثمانى، مكتبة حكيم أوغلو على باشا تحت رقم ٧٠٥، ورقة ٤ب، وهو تاريخ عثمانى تناول الولاة العثمانيين في مصر من البداية حتى عهد عبدي باشا، ١٩ صفر ١١٢٨هـ.

(٢٢٨) الصحيح: "أبدل أحمد باشا به" لأن الباء تدخل على المتروك، وأحمد باشا: تولى في مصر بعد إيلاق مصطفى باشا. ألباني، قدم إلى مصر في ٢٨ شوال سنة ٩٢٩هـ وقُتل في ٢٠ ربيع الأول عام ٩٣٠هـ. تصفه المصادر العثمانية بالخائن وكذلك "لجوج وعنيد، باطل ومغرور، لا يعقل". تمرد على السلطة العثمانية وأراد الاستقلال بمصر، في ٦ ربيع الآخر من عام ٩٣٠هـ وكان يوم خميس، وفي اليوم التالي أمر إمام جامع القلعة بأن يقرأ الخطبة باسمه على أنه "الملك المنصور أحمد". أخذت فنتته وقطعت رأسه وعلقت على باب زويلة ثم أرسلت إلى الأستانة إعلاما بقطع دابر الفتنة وعقب هذا الإعلام أسندت الولاية إلى كوزلجه قاسم باشا، عبد الكريم بن عبد الرحمن، نفس المصدر السابق ورقة ١٧.

(٢٢٩) الصحيح "طمع في الاستقلال".

(٢٣٠) ذكره الإسحاقى "وهب جانم الحمزاوى". الإسحاقى، محمد عبد المعطى: أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، للقاهرة، ١٣٠٣هـ، ١٦٥. (وسوف يذكر فيما بعد مختصرا بأخبار الأول...).

(٢٣١) ذكر أحمد شلبي عبد الغنى أن "قاسم باشا" قدم إلى مصر في غرة جمادى الآخر سنة ٩٣١هـ (٢٦ مارس سنة ١٥٢٥م)، وعزل بعد سنة. أما الإسحاقى فيذكر ولاية "قاسم باشا" في الترتيب قبل

أحمد باشا (١٩٢٩-١٩٣٠هـ)، وهو ترتيب يختلف عن كل المصادر الأخرى في ترتيب الولاية. والسبب في هذا التضارب، أن قاسم باشا تولى مرتان الأولى عقب خروج مصطفى باشا وعودته إلى استنبول، والأخرى بعد إعدام أحمد باشا. والجدول الآتي يوضح هذه المعاملة:

مسلسل	اسم الوالي	بداية ولايته	نهاية ولايته	مدة ولايته		
				يوم	شهر	سنة
١	يونس باشا	١٥١٧/١/٢٤	١٥١٧/٨/٢٥	٢	٧	-
٢	محمد خير بك باشا	١٥١٧/٨/٢٥	١٥٢٢/٩/٢٩	٥	١	٥
٣	مصطفى باشا: جويان، داماد	١٥٢٢/٩/٢٩	١٥٢٣/٥/٢٧	٢	٧	-
٤	قاسم باشا: / كوزلجه	١٥٢٣/٥/٢٧	١٥٢٣/٧/١	٠	١	-
٥	أحمد باشا: / الخانن	١٥٢٣/٧/١	١٥٢٤/٨/١	-	١	١
٦	قاسم باشا: / كوزلجه (للمرة الثانية)	١٥٢٤/٨/١	١٥٢٥/٤/١٤	-	١٠	-

YILMAZ OZTUNA, BUYUK TURKIYE TARİHI, C.14.S.SI, OTUKEN YAYIN EVI, IST.1979.

انظر أيضا: أخبار الأول...، ص ١٦٥، أحمد شلبي عبد الغنى: أوضح الإشارات فيمن ولى مصر للقاهرة من الوزراء والباشات، تقديم وتحقيق وضبط وتحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٠٤. (وسوف يذكر فيما بعد مختصرا بأوضح الإشارات..). وانظر أيضا عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ٥٧٠. الذي يتفق مع أحمد شلبي عبد الغنى في قديم قاسم باشا في غرة جمادى الآخر سنة ٩٣٠هـ.

(٢٣٢) للصراب " استبدل إبراهيم باشا به" لأن "الباء" تدخل على المتروك.

(٢٣٣) كانت مدة ولايته سبعة أشهر في سنة ٩٣١هـ (١٥٢٤-١٥٢٥م). أخبار الأول...، ص ١٦٥، أوضح الإشارات، ص ١٠٦.

(٢٣٤) للصحیح أن " سليمان باشا الخادم" تولى سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م). نص المصدرين والصفحة ويوجز عبد الكريم بن عبد الرحمن في استهلاله لولاية سليمان باشا الخادم، بالتالي: " كانت توليته في اليوم الثاني والعشرين من شعبان عام ٩٤١ وعودته ( يقصد من مصر إلى استنبول، في السابع عشر من شعبان عام ٩٣١ ومدة ولايته عشر سنوات. عبد الكريم عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره ورقة ١٨.

(٢٣٥) كانت الحملة إلى اليمن والهند لمحاربة البرتغاليين، انظر: انظر إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحر، ج ٢، القاهرة، ١٣١٤هـ، ص ١٩٥.

(٢٣٦) لم ينشئ " سليمان باشا الخادم" جامع سارية، وإنما قام بتجديده. أخبار الأول..، ص ١٦٥، أوضح الإشارات، حاشية ٥١، ص ١٠٧. وبنص قول عبد الكريم بن عبد الرحمن: " وقلعه عامره ده أولان شيخ ساريه نك مقامي وجامعنى انشا وتعمير ايلدي " بمعنى انشأ وجدد مقام وجامع الشيخ سارية الكائن في القلعة العامرة. عبد الكريم مصدر سبق ذكره، ورقة ٨ (أ). ومما ينبغي ذكره أن سليمان باشا الخادم أنشأ في بولاق جامعا حمل اسم هذا الجامع وأخذ شارع سليمان باشا الخادم في بولاق اسمه - حتى الآن - من اسم هذا الجامع، وقد سمي عبد الكريم ابن عبد الرحمن هذا الجامع باسم السلطانية.

(٢٣٧) وقد تولى سليمان باشا الخادم الصدارة العظمى من سنة ٩٤٧هـ إلى سنة ٩٥١هـ (١٥٤٠-١٥٤٤م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣١.

(٢٣٨) بنى داود باشا مدرسة بسوقفة صفية اللاله، وكانت لها أوقافا. انظر بتفصيل: أمال أحمد العمري: دراسات في وثائق داود باشا والى مصر، القاهرة، ١٩٨٦م.

(٢٣٩) ذكر الإسحاقى أن "داود باشا" توفي في ربيع الأول سنة ٩٥٥هـ (مايو ١٥٤٨م)، أما أحمد شلبي فيذكر سنة وفاته خطأ ٩٤٦هـ - ١٥٣٩م)، والصحيح أنه توفي سنة ٩٥٦هـ (١٥٤٩م) كما هو واضح من السياق التاريخي.

(٢٤٠) وقد تولى الصدارة العظمى من سنة ٩٦٨هـ إلى ٩٧٢هـ (١٥٦٠-١٥٦٤م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣١.

(٢٤١) الشهير " بدو قتركين زاده" في "أخبار الأول"، والشهير " بدو قيه كين" في "أوضح الإشارات".. ويرد اسمه في المصادر العثمانية على شكل "نوقه كين زاده وهو الصحيح، والكاف فيه فارسية.

(٢٤٢) تولى اسكندر باشا من سنة ٩٦٣هـ إلى سنة ٩٦٦هـ (١٥٥٦م - ١٥٥٩م).

(٢٤٣) الصحيح أن " على باشا الخادم" تولى من سنة ٩٦٦هـ إلى سنة ٩٦٨هـ (١٥٥٩-١٥٦٠م).

أخبار الأول..، ص ١٦٦؛ أوضح الإشارات..، ص ١١٣.

(٢٤٤) ولي " مصطفى باشا" في ربيع الأول سنة ٩٦٨هـ (نوفمبر سنة ١٥٦٠م). أخبار الأول..، ص ١٦٦؛ أوضح الإشارات..، ص ١١٤.

(٢٤٥) ويعرف " بكيلون" في "أوضح الإشارات".. وكذلك في عبد الكريم بن عبد الرحمن.

(٢٤٦) الصحيح " أبند محمود باشا بعلى باشا الصوفى".

(٢٤٧) الصواب " فجاء من الأستانة بموكب عظيم".

(٢٤٨) صحة الكلمة " صوباشي"، ومعناها: منبع، شحنة، من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان، وكليل المزرعة. الدراري اللامعات، ص ٢/٣٣٩.

والصوباشي ليس رئيس الجلادين كما يذكر المؤلف، وإنما هو الضابط الذي يقوم بمتابعة المخالفين للشرع والقانون والقبض عليهم، والكلمة في معناها الأصلي تعنى "رئيس الجند"، وهي مكونة من " صو" في اللغة القديمة بمعنى الجند، و" باش" بمعنى الرئيس، و" الباء" أداة الإضافة، ثم أصبحت

(٢٧٦) تولى "حسن باشا الخادم" الصدارة العظمى سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م)، لمدة ستة أشهر قبل أن يعدم. سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٣.

(٢٧٧) يتفق الإسحاقى وأحمد شلبى عبد الغنى فى سنة تولية يرايم باشا (١٩٩١هـ — ١٥٨٣م)، ولكنهما يختلفان فى سنة العزل. يحدد الإسحاقى شهر شوال سنة ٩٩٢هـ (أكتوبر سنة ١٥٨٤م)، ويذكر شلبى عبد الغنى للعاشر من شوال سنة ٩٩٣هـ (٥ من أكتوبر سنة ١٥٨٥م). أخبار الأول...، ص ١٦٨، ١٦٩، أوضح الإشارات...، ص ١٢٠. أما عبد الكرىم فيذكر: قدمه إلى مصر فى ٢٤ ربيع الآخر سنة ٩٩١هـ وعزله فى ١٢ شوال ٩٩٢هـ، عبد الكرىم بن عبد الرحمن ١٥٠.

(٢٧٨) يختلف الإسحاقى وشلبى عبد الغنى فى تاريخ ولاية وعزل "سنان باشا"، وربما يرجع ذلك إلى هروب "سنان باشا" عند مجئ "لويس باشا" للتحقيق فى مغبة مصر. يحدد الإسحاقى تاريخ التولية فى شوال سنة ٩٩٢هـ (أكتوبر سنة ١٥٨٤م)، والعزل فى ١٢ من ربيع الآخر سنة ٩٩٥هـ (١٢ من مارس سنة ١٥٨٧م). أما شلبى عبد الغنى فيذكر تاريخ التولية فى ١٢ من شوال سنة ٩٩٣هـ (٨ من أكتوبر سنة ١٥٨٥م)، والعزل فى ١٤ من ربيع الآخر سنة ٩٩٤هـ (٤ من أبريل سنة ١٥٨٦م). أخبار الأول...، ص ١٦٩؛ أوضح الإشارات...، ص ١٢١.

(٢٧٩) نتيجة للاختلاف السابق، اختلف الإسحاقى وشلبى عبد الغنى فى سنة تولية "لويس باشا"، فوحد الإسحاقى يوم الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٩٥هـ (٢١ من مايو سنة ١٥٨٧م)، بينما يذكر شلبى عبد الغنى يوم الثانى عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٩٤هـ (٣١ من مايو سنة ١٥٨٦م). أخبار الأول...، ص ١٦٩، ١٧٢، أوضح الإشارات...، ص ١٢١.

(٢٨٠) الصحيح "رهنًا".

(٢٨١) انظر تفاصيل ثورة الجند السباهية ضد "لويس باشا" فى: عبد الكرىم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره ورقة ١٧ أوب. وكذلك عفاف مسعد السيد للعبد: دور الحامية للعثمانية فى تاريخ مصر، ١٥٦٤-١٦٠٩م (٩٧١-١٠١٧هـ) رسالة ماجستير، كلية الأدب، جامعة الإسكندرية، ١٤٠٣هـ-

١٩٨٣م، ص ١٧٢-١٨٣.

(٢٨٢) توفي بالسكنة فجأة فى رجب سنة ٩٩٩هـ (أبريل ١٥٩١م) أخبار الأول...، ص ١٧٢؛ أوضح الإشارات...، ص ١٢١.

(٢٨٣) وقد تولى "حافظ أحمد باشا" الصدارة العظمى فى سلطنة مراد الرابع لمدة ١١ شهرا (١٠٣٤-١٠٣٥هـ). سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٦.

(٢٨٤) فى المخطوط صورة نقود السلطان مراد بن سليم.

(٢٨٥) الصحيح أن السلطان محمد الثالث تولى فى ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٠٠٣هـ (٢٧ من يناير سنة ١٥٩٥م) وتوفى فى ١٢ من رجب سنة ١٠١٢هـ (١٦ من ديسمبر سنة ١٦٠٣م). سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ١٢٤؛ سليم فارس: المرجع السابق، ص ١٣.

(٢٨٦) الصحيح أنه تولى السلطنة وهو فى التاسعة والعشرين، وهذا واضح من الفرق بين تاريخ الميلاد (٩٧٤هـ) وتاريخ التولية (١٠٠٣هـ).

(٢٨٧) الصحيح في كتابتها: "ومما يذكر له أن السلطانين السابقين (مراد وسليم الثاني)، كانوا قد تقاعدا عن قيادة الجند في ساحة الوغي".

(٢٨٨) في المخطوط صورة نقود السلطان مراد بن سليم .

(٢٨٩) هو "قودر باشا" في "أخبار الأول.."، و"قرط باشا" في "أوضح الإشارات..". وقد تولى في رمضان سنة ١٠٠٣هـ (مايو سنة ١٥٩٥م)، وعزل في رجب سنة ١٠٠٤هـ (مارس سنة ١٥٩٦م). أخبار الأول...، ص ١٧٣، أوضح الإشارات...، ص ١٢٣.

(٢٩٠) أما صحة اسمه بالعثمانية فيكتب على قورد كما كتبها عبد الكريم بن عبد الرحمن، ورقة ١٨٠ب.

(٢٩١) شوال سنة ١٠٠٤هـ (مايو سنة ١٥٩٦م).

(٢٩٢) انظر تفاصيل فتنة الجند السباهية في عهد "محمد باشا" في: عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ١٩٠ب، ٢٠٠ب. وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ١٨٤-١٩٢.

(٢٩٣) الصحيح: "إلا بشق الأنفس".

(٢٩٤) أصلها ولي: ومعناها: مجنون. معتوه. مجذوب. أوهج. أرعن. الداراري اللامعات، ص ١/٢٥٥. وقد أطلقت هذه الصفة على "الدلاء" أو "الأدلاء"، وهي فرقة من الخيالة الخفيفة تعمل في مقدمة الجيوش العثمانية، استحدثت في الروملي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. ولما كان هؤلاء من الشجاعة والجرارة بحيث كانوا يحملون على الأعداء بتهور غير مبالين بالموت ليمهدوا الطريق للجيش، فقد حرف اسمهم من "دليلر" إلى "دلير"، أي "المجانين". انظر: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى: مخطوطة "ضيانامه" للدارندلي، دراسة وترجمة جمال سعيد عبد الغني رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس، بإشراف الدكتور محمد حرب، طبعت في سلسلة تاريخ المصريين- ١٣٤، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٤٧٤.

(٢٩٥) الأصل: صوباشي.

(٢٩٦) في المخطوط صورة والي مصر في موكبها بالقرن العاشر للهجرة.

(٢٩٧) ١٧ من ذي الحجة سنة ١٠٠٦هـ (٢١ من يوليو سنة ١٥٩٨م).

(٢٩٨) الصحيح "استبدل خضر باشا بمحمد باشا".

(٢٩٩) ٢٠ من رمضان سنة ١٠٠٩هـ (٢٥ من مارس سنة ١٦٠١م).

(٣٠٠) انظر تفاصيل فتنة الجند السباهية في عهد "خضر باشا" في: عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ٢١ب، وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٢.

(٣٠١) عزّل "خضر باشا" في المحرم سنة ١٠١٠هـ (يولية سنة ١٦٠١م). أخبار الأول...، ص ١٧٤، أوضح الإشارات...، ص ١٢٦.

(٣٠٢) ذكر الإصحافي أن "على باشا" أرسل إلى الأستانة طالبا أن يستعفى بسبب المرض، فأذن له في ٦ من ربيع الأول سنة ١٠١٢هـ (٤ من أغسطس سنة ١٦٠٣م)، وقد تقلد "على باشا" الصدارة

(٢٧٦) تولى 'حسن باشا الخادم' للصدارة العظمى سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م)، لمدة ستة أشهر قبل أن يعدم. سالفنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٣.

(٢٧٧) يتفق الإسحاقى ولحمد شلبي عبد الغنى في سنة تولية يراهم باشا (٩٩١هـ — ١٥٨٣م)، ولكنهما يختلفان في سنة العزل. يحدد الإسحاقى شهر شوال سنة ٩٩٢هـ (أكتوبر سنة ١٥٨٤م)، ويذكر شلبي عبد الغنى للعاشر من شوال سنة ٩٩٣هـ (٥ من أكتوبر سنة ١٥٨٥م). أخبار الأول...، ص ١٦٨، ١٦٩، أوضح الإشارات...، ص ١٢٠. أما عبد الكريم فيذكر: فنومه إلى مصر في ٢٤ ربيع الآخر سنة ٩٩١هـ وعزله في ١٢ شوال ٩٩٢هـ، عبد الكريم بن عبد الرحمن ١٥ب.

(٢٧٨) يختلف الإسحاقى وشلبي عبد الغنى في تاريخ ولاية وعزل 'سنان باشا'، وربما يرجع ذلك إلى هروب 'سنان باشا' عند مجئ 'لويس باشا' للتحقيق في مائة مصر. يحدد الإسحاقى تاريخ التولية في شوال سنة ٩٩٢هـ (أكتوبر سنة ١٥٨٤م)، والعزل في ١٣ من ربيع الآخر سنة ٩٩٥هـ (١٣ من مارس سنة ١٥٨٧م). أما شلبي عبد الغنى فيذكر تاريخ التولية في ١٣ من شوال سنة ٩٩٣هـ (٨ من أكتوبر سنة ١٥٨٥م)، والعزل في ١٤ من ربيع الآخر سنة ٩٩٤هـ (٤ من أبريل سنة ١٥٨٦م). أخبار الأول...، ص ١٦٩؛ أوضح الإشارات...، ص ١٢١.

(٢٧٩) نتيجة للاختلاف السابق، اختلف الإسحاقى وشلبي عبد الغنى في سنة تولية 'لويس باشا'، فيحدد الإسحاقى يوم الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٩٥هـ (٢١ من مايو سنة ١٥٨٧م)، بينما يذكر شلبي عبد الغنى يوم الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٩٤هـ (٣١ من مايو سنة ١٥٨٦م). أخبار الأول...، ص ١٦٩، ١٧٢، أوضح الإشارات...، ص ١٢١.

(٢٨٠) 'الصحيح' رهنا.

(٢٨١) انظر تفاصيل ثورة الجند السباهية ضد 'لويس باشا' في: عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره ورقة ١٧ أوب. وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر، ١٥٦٤-١٦٠٩م (٩٧١-١٠١٧هـ) رسالة ماجستير، كلية الأدب، جامعة الإسكندرية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٧٢-١٨٣.

(٢٨٢) توفي بالسكنة فجأة في رجب سنة ٩٩٩هـ (أبريل ١٥٩١م) أخبار الأول...، ص ١٧٢؛ أوضح الإشارات...، ص ١٢١.

(٢٨٣) وقد تولى 'حافظ أحمد باشا' للصدارة العظمى في سلطنة مراد الرابع لمدة ١١ شهرا (١٠٣٤-١٠٣٥هـ). سالفنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٦.

(٢٨٤) في المخطوط صورة نقود السلطان مراد بن سليم.

(٢٨٥) 'الصحيح' أن السلطان محمد الثالث تولى في ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٠٠٣هـ (٢٧ من يناير سنة ١٥٩٥م) وتوفي في ١٢ من رجب سنة ١٠١٢هـ (١٦ من ديسمبر سنة ١٦٠٣م). سالفنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٤؛ سليم فارس: المرجع السابق، ص ١٣.

(٢٨٦) 'الصحيح' أنه تولى السلطنة وهو في التاسعة والعشرين، وهذا واضح من الفرق بين تاريخ الميلاد (٩٧٤هـ) وتاريخ التولية (١٠٠٣هـ).

- (٢٨٧) الصحيح في كتابتها: "ومما يذكر له أن السلطانين السابقين (مراد وسليم الثاني)، كائنا قد تقاعدا عن قيادة الجند في ساحة الوغى".
- (٢٨٨) في المخطوط صورة نقود السلطان مراد بن سليم .
- (٢٨٩) هو "قودر باشا" في "أخبار الأول.."، و"قرط باشا" في "أوضح الإشارات..". وقد تولى في رمضان سنة ١٠٠٣هـ (مايو سنة ١٥٩٥م)، وعزل في رجب سنة ١٠٠٤هـ (مارس سنة ١٥٩٦م). أخبار الأول..، ص ١٧٣، أوضح الإشارات..، ص ١٢٣.
- (٢٩٠) أما صحة اسمه بالعثمانية فيكتب على قورد كما كتبها عبد الكريم بن عبد الرحمن، ورقة ١٨ب.
- (٢٩١) ثوال سنة ١٠٠٤هـ (مايو سنة ١٥٩٦م).
- (٢٩٢) انظر تفاصيل فتنة الجند السباهية في عهد "محمد باشا" في: عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ١٩ ابو ١٢٠ب. وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ١٨٤-١٩٢.
- (٢٩٣) الصحيح: "إلا بشق الأنفس".
- (٢٩٤) أصلها ولي: ومعناها: مجنون. معتوه. مجذوب. أوهج. أرعن. الداراري اللامعات، ص ١/٢٥٥. وقد أطلقت هذه الصفة على "الدلاة" أو "الأدلاء"، وهي فرقة من الخيالة الخفيفة تعمل في مقدمة الجيوش العثمانية، استحدثت في الروملي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. ولما كان هؤلاء من الشجاعة والجسارة بحيث كانوا يحملون على الأعداء يتهور غير مبالين بالموت ليمهدوا الطريق للجيش، فقد حرف اسمهم من "دليلر" إلى "دليلر"، أي "المجانين". انظر: - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى: مخطوطة "ضيانامه" للدارندلي، دراسة وترجمة جمال سعيد عبد الغنى رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس، بإشراف الدكتور محمد حرب، طبعت في سلسلة تاريخ المصريين - ١٣٤، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٤٧٤.
- (٢٩٥) الأصل: صوباشي.
- (٢٩٦) في المخطوط صورة والي مصر في موكبه بالقرن العاشر للهجرة.
- (٢٩٧) ١٧ من ذي الحجة سنة ١٠٠٦هـ (٢١ من يوليو سنة ١٥٩٨م).
- (٢٩٨) الصحيح "استبدل خضر باشا بمحمد باشا".
- (٢٩٩) ٢٠ من رمضان سنة ١٠٠٩هـ (٢٥ من مارس سنة ١٦٠١م).
- (٣٠٠) انظر تفاصيل فتنة الجند السباهية في عهد "خضر باشا" في: عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ٢١ب، وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ١٩٢-١٩٦.
- (٣٠١) عَزِل "خضر باشا" في المحرم سنة ١٠١٠هـ (يولية سنة ١٦٠١م). أخبار الأول..، ص ١٧٤، أوضح الإشارات..، ص ١٢٦.
- (٣٠٢) نكر الإسحاقى أن "على باشا" أرسل إلى الآستانة طالبا أن يستعفى بسبب المرض، فأذن له في ٦ من ربيع الأول سنة ١٠١٢هـ (١٤ من أغسطس سنة ١٦٠٣م)، وقد تقلد "على باشا" الصدارة

للعلمى لمدة سبعة أشهر في سلطنة أحمد بن محمد. أخبار الأول...، ص ١٧٥، سالفئة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٤.

(٣٠٣)، (٣٠٤) بيرى بك: أمير الحج، تولى في ١٠ من ربيع الأول سنة ١٠١٢هـ (١٨ من أغسطس ١٦٠٣م). وتوفي في ١٦ من شعبان سنة ١٠١٢هـ (٩ من يناير سنة ١٦٠٤). عثمان بك: أمير اللواء، تولى لمدة ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. أخبار الأول...، ص ١٧٨.

(٣٠٥) ١٦ من رجب سنة ١٠١٢هـ (٢٠ من ديسمبر سنة ١٦٠٣م). (في المخطوط صورة نقود السلطان محمد بن مراد، وكتب المؤلف تحتها عبارة مطبوعة هي نقود السلطان محمد بن مراد ضربت في القاهرة سنة ١٠٠٢.

(٣٠٦) هناك رد على هذا الأمر في المقدمة.

(٣٠٧) كانت مدة ولايته أربعة أشهر وثمانية أيام (وعشرة ليالٍ في لحد شلبي). أخبار الأول...، ص ١٨١، أوضح الإشارات...، ص ١٢٩.

(٣٠٨) ربيع آخر سنة ١٠١٣هـ (أغسطس ١٦٠٤م).

(٣٠٩) لم يحدد المؤلف تاريخ اليوم السابق في الفقرة السابقة.

(٣١٠) وهو أول "باشا" يقتله الجند في مصر. ويختلف الإسحاقى وأحمد شلبي في تحديد تاريخ مقتله، ففي أخبار الأول... قتل يوم السبت الأول من جمادى الأولى سنة ١٠١٣هـ (٢٥ من سبتمبر سنة ١٦٠٤م)، بينما في أوضح الإشارات... يوم ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٠١٣هـ (١ من سبتمبر سنة ١٦٠٤م). أخبار الأول...، ص ١٨٠، أوضح الإشارات...، ص ١٢٩. وعن تفاصيل قتلة الجند السباهية وقتلهم "إبراهيم باشا"، انظر: عفاف مسعد السيد العبد: للمرجع السابق، ص ١٩٧-٢٠٦.

(٣١١) خُزِنُوا: بضم الخاء وسكون الميم وفتح اللراء وسكون اللو، هي كلمة فارسية الأصل واستخدمها الأتراك، وهي اسم علم، ولها معان.

(٣١٢) للصحيح" هذه "

(٣١٣) هكذا في الأصل.

(٣١٤) في "أخبار الأول... هو قاضي العسكر مصطفى أفندي عزمي زاده، وفي "لوضح الإشارات... هو عرب زاده.

(٣١٥) يختلف الإسحاقى وأحمد شلبي في أيام وشهور التولية والعزل: في الإسحاقى: من ١٧ من رجب سنة ١٠١٣هـ (٩ من ديسمبر سنة ١٦٠٤م) إلى ١٢ من ربيع الأول سنة ١٠١٤هـ (٢٨ من يوليو سنة ١٦٠٥م) وفي لحد شلبي: من ٢٥ من رجب سنة ١٠١٣هـ (١٧ من ديسمبر سنة ١٦٠٤م) إلى غرة جماد أول سنة ١٠١٤هـ (١٤ من أكتوبر سنة ١٦٠٥م) أخبار الأول...، ص ١٨١، أوضح الإشارات...، ص ١٣٠.

(٣١٦) قرا ميدان: وهو الميدان الممتد أسفل سور قلعة وكان يطلق عليه ميدان الرميطة، ومكانه الحالي منطقة المنشية وميدان صلاح الدين. أوضح الإشارات...، حاشية ١٧٤ص ١٢٢. في المخطوط صورة لجامع السلطان أحمد بالأمستة.

(٣١٧) للصحيح عنقيهما.

(٣١٨) وقد ولي " كرجي محمد باشا" الصدارة العظمى في سلطنة مصطفى خان لمدة أربعة أشهر سنة ١٠٣٢-١٠٣١هـ (١٦٢٢م). سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٥.

(٣١٩) بكار بكى أو بيلربى: أمير الأمراء أو الأمير على الصناجق. انظر: كريسلويس وبكر، مقدمة الدرر المصانعة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(٣٢٠) عزل " حسن باشا" في صفر سنة ١٠١٦هـ — (يونيو ١٦٠٧م). أخبار الأول...، ص ١٨١؛ أوضح الإشارات...، ص ١٣٠.

(٣٢١) وهو المعروف " بقول قران" أوضح الإشارات...، ١٣١.

(٣٢٢) ٧ من صفر سنة ١٠١٦هـ ( ٣ من يونية سنة ١٦٠٧م)

(٣٢٣) المتفرقة هنا لقب ولا تعنى ما تعنيه في العربية. وهي من كلمة فرق للعربية، والكلمة تعنى المنفصلين، وهم حرس كانوا يستخدمون في مهام " خاصة " أو مختلفة. وكان الكتاب الأجانب يشيرون إليهم على أنهم " حرس الشرف " ... انظر هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الإسلامى والغروب، ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ص ١٢٧-١٢٨ من الجزء الأول، القاهرة ١٩٧١.

(٣٢٤) ٩ من ذي الحجة سنة ١٠١٧هـ (١٦ من مارس سنة ١٦٠٩م)

(٣٢٥) يذكر أحمد شلبي عبد الغنى أن جملة من استسلموا ثلاثة عشر جريجيا ومائة من الجند، وتم نفي نحو ٤٠٠ من الجند إلى اليمن. أوضح الإشارات...، ص ١٣٢. انظر تفاصيل هذه الفتنة والعصيان ضد " محمد باشا" في : عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ٣٠ب-١٣٢. وكذلك عفاف مسعد العيد: المرجع السابق، ص ٢٠٧-٢٢٥.

(٣٢٦) وقد عُرف " محمد باشا" بمبطل مظلمة ضريبة الطلبة. وكان إبطال هذه المظلمة بتنبهه وتأكيد من السلطان وجهه إلى محمد باشا قبيل توجهه إلى مصر، لذلك كان إبطالها أول عمل له. انظر عبد الكريم بن عبد الرحمن، ورقة ٢٩ب-٢٩.

(٣٢٧) برح" محمد باشا" مصر في جمادي الآخرة سنة ١٠٢٠هـ (أغسطس سنة ١٦١١م) وكانت مدة ولايته أربع سنوات وأربعة أشهر ( وإثنى عشر يوما في الإسحاقى). وقد ولي الصدارة العظمى مدة سنة (١٠٢٨-١٠٢٩هـ) في سلطنة عثمان الثاني. أخبار الأول...، ص ١٨١-١٨٣؛ أوضح الإشارات...، ص ١٣١، سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٥.

(٣٢٨) شرح أحمد شلبي عبد الغنى هذه العلاقة فقال: " كان له رجلا يقال له يوسف أغا، وكان شهر حوالته ( جامع الاموال الأميرية)، وكان قد ألقى الله محبة ذلك الأغا في قلب الوزير. وكان يدلس عليه. وكان كل شئ شرع فيه الوزير يخالفه فيه ، ويدخل عيه بأمر لم يسع الوزير مخالفته. وكانت جميع الأمور مقاليدها بيده...". أوضح الإشارات...، ص ١٣٣.

(٣٢٩) لم يذكر المؤلف مصدره في ذلك، فلم يكن هؤلاء الجند حملة لإخماد ثورة شعبية في اليمن، وإنما هم مائة من جند الحرس السلطاني مع أتباعهم، وقع منهم طغيان فاحش وفساد كبير، فجهزهم الصدر الأعظم إلى مصر، ثم أرسل خطأ شريفا بنفيهم إلى اليمن، وعندما علم الجند بهذا الأمر ثاروا وأظهروا العصيان وطلبوا الإقامة في مصر ، حتى أجبروا على الرحيل بعد أن تسلموا المونة والذخيرة. انظر: أوضح الإشارات...، ص ١٣٣، ١٣٤.

- (٣٣٠) عزل محمد باشا الصوفي في ربيع الأول سنة ١٠٢٤هـ (أبريل ١٦١٥م). أخبار الأول... من ١٨٥؛ أوضح الإشارات... ص ١٣٣.
- (٣٣١) في المخطوط توجد صورة لمسيب السلطان أحمد بالاستانة .
- (٣٣٢) محرم سنة ١٠٢٥هـ (يناير من ١٦١٦م).
- (٣٣٣) ذكر أحمد شلبي عبد الغني ثلاث حملات أخرى جهزها أحمد باشا، وكانت لليمن والحيشة وأوجلة (ولحة في طرابلس الغرب). أوضح الإشارات... ص ١٣٥.
- (٣٣٤) ولي 'أحمد باشا' في ربيع الأول سنة ١٠٢٤هـ (أبريل سنة ١٦١٥م)، وعزل في صفر سنة ١٠٢٧هـ (يناير سنة ١٦١٨م). أخبار الأول... ص ١٨٥؛ أوضح الإشارات... ص ١٣٤.
- (٣٣٥) في المخطوط سلطنة.
- (٣٣٦) ولد السلطان مصطفى بن محمد في سنة ١٠٠١هـ (١٥٩٣م).
- (٣٣٧) خلع في ١٢ من ربيع الأول سنة ١٠٢٧هـ (٩ من مارس سنة ١٦١٨م). ساقطة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٤.
- (٣٣٨) قتل السلطان عثمان الثاني في ٩ من رجب سنة ١٠٣١هـ (٢٠ من مايو سنة ١٦٢٢).
- (٣٣٩) للصحيح: 'فاستبدل مصطفى كفكلي بواليتها أحمد باشا'.
- (٣٤٠) ٧ من شوال سنة ١٠٢٧هـ (٢٧ من سبتمبر سنة ١٦١٨م).
- (٣٤١) عزل 'مصطفى باشا' في صفر سنة ١٠٢٨هـ (فبراير سنة ١٦١٩م). أخبار الأول... ص ١٨٥.
- (٣٤٢) قدم 'جعفر باشا' إلى مصر في ٩ من ربيع الأول سنة ١٠٢٨هـ (٢٤ من فبراير سنة ١٦١٩م) وعزل في ١٤ من شعبان سنة ١٠٢٨هـ (٢٧ من يوليو سنة ١٦١٩م). أوضح الإشارات... ص ١٣٧.
- (٣٤٣) تولى مصطفى باشا في ١٠ من رمضان سنة ١٠٢٨هـ (٢١ من أغسطس سنة ١٦١٩م). أخبار الأول... ص ١٨٦.
- (٣٤٤) هو 'كفكلي مصطفى باشا' في 'أوضح الإشارات...'.  
(٣٤٥) تأثر المؤلف بأساليب الترجمة واضح، وفي الجملة خطأ في الاستبدال.
- (٣٤٦) عزل مصطفى باشا في ٣ من رمضان سنة ١٠٢٩هـ (٢ من أغسطس سنة ١٦٢٠م). أخبار الأول... ص ١٨٦؛ أوضح الإشارات... ص ١٣٧.
- (٣٤٧) طبقال 'أخبار الأول...'. عزل حسين باشا في ١٠ من ربيع الآخر سنة ١٠٣١هـ (٢٢ من فبراير ١٦٢٢م). وفي 'أوضح الإشارات...'. عزل في ٩ من ربيع الأول سنة ١٠٣١هـ (٢٢ من يناير ١٦٢٢م). أخبار الأول... ص ١٨٦؛ أوضح الإشارات... ص ١٣٨.
- (٣٤٨) تولى 'حسين باشا' الصدارة العظمى مرتان في سلطنة مصطفى الأول، الأولى سنة ١٠٣١هـ (١٦٢٢م) لمدة ٢٤ يوماً، والأخيرة سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٣م) لمدة سبعة أشهر. ساقطة ١٢٩٤هـ، ص ٣٥.
- (٣٤٩) للصحيح 'نبأ'.

- (٣٥٠) تولى "إبراهيم باشا" في شعبان سنة ١٠٣١هـ (يونية سنة ١٦٢٢م)، وعزل في ٧ من رمضان سنة ١٠٣٢هـ (٥ من يوليو سنة ١٦٢٣م). أخبار الأول... ص ١٨٨.
- (٣٥١) ٢٢ من رمضان سنة ١٠٣٢هـ (٢٠ من يوليو سنة ١٦٢٣م) ويذكر شلبي عبد الغني أن "مصطفى باشا" قدم إلى مصر في ٢٨ من رمضان سنة ١٠٣٢هـ (٢٦ من يولية سنة ١٦٢٣م)، وعزل في سنة ١٠٣٥هـ (١٦٢٦م). أوضح الإشارات... ص ١٣٩.
- (٣٥٢) يسرف المؤلف في استخدام حرف العطف "فأه" داخل الفقرات، وكذلك في بداياتها، وهذه الفقرة خير مثال على ذلك.
- (٣٥٣) تولى مراد الرابع السلطنة سنة ١٠٣٢هـ التي توافق سنة (١٦٢٣م).
- (٣٥٤) كان مراد الرابع في الرابعة عشر عندما تولى السلطنة.
- (٣٥٥) سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م).
- (٣٥٦) هكذا في الأصل، والصحيح: "أريوان"، وهو عاصمة أرمينيا وكان فتحها سنة ١٠٤٥هـ (١٦٣٥م).
- (٣٥٧) استرد الفرس أريوان في سنة ١٠٤٦هـ (١٦٣٦م). انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٨٤.
- (٣٥٨) وصحة كتابتها بلطجي وهي من التركية بلطجة جي وتعني: ناقل الفأس أو صاحبه. الدراري ١/١٠٦.
- (٣٥٩) ٢٠ من ربيع الآخر سنة ١٠٣٣هـ (١٠ من فبراير سنة ١٦٢٤م).
- (٣٦٠) أوائل ربيع أول سنة ١٠٣٥هـ (أوائل ديسمبر سنة ١٦٢٥م).
- (٣٦١) ومعناها اللغوي: عيد. قدم "بيرام باشا" إلى مصر في ٩ من شعبان سنة ١٠٣٥هـ (٦ من مايو سنة ١٦٢٦م)، وعزل في ٩ من المحرم سنة ١٠٣٨هـ (٨ من سبتمبر سنة ١٦٢٨م). أوضح الإشارات... ص ١٤١.
- (٣٦٢) وقد تولى "بيرام باشا" الصدارة العظمى بين عامي ١٠٤٦-١٠٤٨هـ، لمدة سنة ونصف. سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٦.
- (٣٦٣) قدم "محمد باشا طيان" إلى مصر في ١٤ من صفر سنة ١٠٣٨هـ (١٣ من أكتوبر سنة ١٦٢٨م) وعزل في آخر بيع الآخر سنة ١٠٤٠هـ (٥ من ديسمبر سنة ١٦٣٠م). أوضح الإشارات... ص ١٤٢. واسم ولقب الوالي في المصادر العثمانية: طيباني ياسي محمد باشا، عبد الكريم بن عبد الرحمن، ٤٢ب.
- (٣٦٤) الروملي: أصلها روم إيلي، وتعني لغويا، منطقة الروم، واصطلاحا، البلقان.
- (٣٦٥) محرم سنة ١٠٣٩هـ (أغسطس سنة ١٦٢٩م).
- (٣٦٦) ١٩ من شعبان سنة ١٠٣٩هـ (٣ من إبريل سنة ١٦٣٠م).
- (٣٦٧) هو الركن اليماني.
- (٣٦٨) من المؤلفات التي تناولت هذا الحدث:

- إعلام سائر الأنام بقصة السيل الذي سقطت من بيت الله الحرام\* لابن علان المكي المتوفي سنة ١٠٥٧هـ (١٦٤٧م).
- تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام\* لبرهان الدين الميموني المتوفي سنة ١٠٧٩هـ (١٦٦٩م).
- رسالة في إسعاد آل عثمان المكرم ببناء بيت الله الحرام\* لأبي الإخلاص الشرنبلالي الحنفي المتوفي سنة ١٠٦٩هـ (١٦٥٨م).
- (٣٦٩) تولى "محمد باشا" الصدارة العظمى من سنة ١٠٤١هـ إلى ١٠٤٦هـ (١٦٣١-١٦٣٦م).
- سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٦.
- (٣٧٠) تولى "موسى باشا" في جماد الآخر سنة ١٠٤٠هـ (يناير ١٦٣١م) وعزل بعد سبعة أشهر.
- أوضح الإشارات...، ص ١٤٢.
- (٣٧١) شعبان سنة ١٠٤٠هـ (مارس سنة ١٦٣١م).
- (٣٧٢) ٩ من ذي الحجة سنة ١٠٤٠هـ (٩ من يولية سنة ١٦٣١).
- (٣٧٣) وهو أول "باشا" يعزله الجند والصناجق. وقد عزل في ذي الحجة سنة ١٠٤٠هـ (يولية سنة ١٦٣١). أوضح الإشارات...، حاشية ٢٢١، ص ١٤٢.
- (٣٧٤) ربيع أول سنة ١٠٤١هـ (سبتمبر سنة ١٦٣١م).
- (٣٧٥) هو الشريف نامي بن عبد المطلب، وقد تولى الشرافة مائة يوما بعد قتل شريف مكة. أوضح الإشارات، حاشية ٢٢٥، ص ١٤٣.
- (٣٧٦) صفر سنة ١٠٤٢هـ (أغسطس سنة ١٦٣٢م).
- (٣٧٧) عزّل "خليل باشا" في ٢٢ من رمضان سنة ١٠٤٢هـ (٢ من إبريل سنة ١٦٣٣م). أوضح الإشارات...، ص ١٤٣.
- (٣٧٨) المقصود "يصدر".
- (٣٧٩) قدم "جرجي أحمد باشا" إلى مصر في سنة ١٠٤٢هـ (١٦٣٣م)، وعزل في ١٥ من جماد الأول سنة ١٠٤٥هـ (٢٧ من أكتوبر سنة ١٦٣٥م). أوضح الإشارات...، ص ١٤٥. وأصل لقبه بـ"جرجي" بمعنى النحاس وهو ما عرف به حتى بين الوزراء، عبد الكريم بن عبد الرحمن، ص ٤٦.
- (٣٨٠) صفر سنة ١٠٤٣هـ (أغسطس سنة ١٦٣٣م).
- (٣٨١) كان للدروز في لبنان قد خرجوا عن طاعة الدولة تحت قيادة الأمير فخر الدين المعنى، فتمكن الصدر الأعظم محمد باشا من إخضاعه وأسرّه، وقتل بعد ذلك إبراهيم حليم: التحفة العلمية في تاريخ الدولة العلية، ص ١٢٩.
- (٣٨٢) القنطار = ٤٤,٩٢٨ كيلو جرام.
- (٣٨٣) الدرهم: الاسم مشتق من الدرّاحة اليونانية، وكان الوزن الشرعي للدرهم ٢,٩٧ جم. وقد خضع وزنه وقيّمته بالنسبة للدينار لتغيرات كثيرة خلال العصور المختلفة. محمد شفيق غريبال الموسوعة العربية للموسرة ببيروت، دلو إحياء التراث، صورة طبعه ١٩٦٥، ص ٧٩١.

(٣٨٤) الدينار: من اللفظ اليوناني اللاتيني "ديناريوس أوريوس"، وكان الوزن الشرعي للدينار الذهبي الإسلامي ٤,٢٥ جم، وقد ظل الدينار يضرب في مصر إلى عهد الأشرف برسباي (١٤٢٢-١٤٣٨م) حين أُطلق على العملة الذهبية اسم الأثرفي. محمد شفيق غريال، المرجع نفسه، ص ٨٣٩.

(٣٨٥) بنديقي: نقد ذهب ينسب إلى مدينة البندقية، وتغلغل في مصر في العصر العثماني كوسيط للمبادلة في كل الأقاليم. وقد بلغ سعره ٨٠ نصف فضة (بارة). عبد الرحمن فهمي: النقود المتداولة أيام الجبرتي بحث في دراسات وبحوث، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص ٥٧٧.

(٣٨٦) المجر: نقد ذهب ذكره الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٣م، وقد بلغ سعره في عصر محمد علي ٨٠ نصف فضة (بارة). المرجع نفسه، ص ٥٧٩.

(٣٨٧) اللبتو: نقد فرنسي ذهبي وكان يسمى نابليون، وقد حددت الحكومة المصرية سعره ب٤٠/٦ ٧٧ قرشا سنة ١٨٨٨م. محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، ص ٤٠٨.

(٣٨٨) زر محبوب: نقد ذهب ذو عيار مرتفع، ضرب، في عهد السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣م) بوزن ٢,٦ جم، وقد انقص وزنه إلى ١,٦٢ جم في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م). وبطل ضربه سنة ١٨٤٤م، فاستعمل في حلي النساء. المرجع نفسه، ص ٩٢١، عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص ٥٧٥، ٥٧٦.

(٣٨٩) الصحيح " فأبدلت الأناصاف بالدرهم".

(٣٩٠) انظر التعريف بالبارة في نهاية المخطوط في مبحث النقود المصرية.

(٣٩١) ١٦ من ذي الحجة سنة ١٠٤٣هـ ( ١٣ من يونيو سنة ١٦٢٤م).

(٣٩٢) ولهذا أطلق على أحمد باشا "رامي النحاس". أوضح الإشارات...، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٣٩٣) تولى "حسين باشا الدالي" في ١٥ من رجب سنة ١٠٤٥هـ (٢٥ من ديسمبر ١٦٢٥م) وعزل في ١٥ جمادي الآخرة سنة ١٠٤٧هـ ( ٤ من نوفمبر سنة ١٦٢٧م). نفس المصدر، ص ١٤٦.

(٣٩٤) هو ابن أخت السلطان سليم الثاني، قدم إلى مصر في الثاني من رجب سنة ١٠٤٧هـ ( ٢٠ من نوفمبر سنة ١٦٢٧م)، وعزل في ١٢ من جماد الأول سنة ١٠٥٠هـ ( ٣٠ من أغسطس سنة ١٦٤٠م).

أوضح الإشارات...، ص ١٤٧.

(٣٩٥) شوال سنة ١٠٤٧هـ ( فبراير سنة ١٦٢٨م).

(٣٩٦) وهي الحملة التي قادها السلطان مراد الرابع، وتمكن من استرداد بغداد من أيدي الفرس في ٢٠ من شعبان سنة ١٠٤٨هـ ( ٢٧ من ديسمبر سنة ١٦٢٨م) محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٨٤، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٣٩٧) ذكر أحمد شلبي عبد الغني ان القيادة كانت لرضوان بك الشواربي. أوضح الإشارات...، ص ١٤٧.

(٣٩٨) محرم سنة ١٠٤٨هـ ( مايو سنة ١٦٢٨م).

- (٣٩٩) صفر سنة ١٠٤٩هـ (يونية سنة ١٦٣٩م). ويلاحظ أن للتاريخ الذي يذكره هو تاريخ عودة الفرقة للمصرية، فأسلوب للكاتب في تحديد للتاريخ قد يفهم منه أن بغداد قد استردت في صفر سنة ١٠٤٩هـ.
- (٤٠٠) للخميس ١٦ من شوال سنة ١٠٤٩هـ (٩ من فبراير سنة ١٦٤٠م).
- (٤٠١) في المخطوط صورة نقود للسلطان مراد الرابع بن أحمد.
- (٤٠٢) فتحت سنة ١٠٥٥هـ (١٦٤٥م).
- (٤٠٣) خلع السلطان إبراهيم بن أحمد في ١٧ من رجب سنة ١٠٥٨هـ (٧ من أغسطس ١٦٤٨م).
- سائنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥.
- (٤٠٤) جند السبأ: هم جند الفرسان.
- (٤٠٥) قتل للسلطان إبراهيم بن أحمد في ٢٩ من رجب سنة ١٠٥٨هـ (١٩ من أغسطس سنة ١٦٤٨م). سائنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥.
- (٤٠٦) قتل عثمان الثاني في ٩ من رجب سنة ١٠٣١هـ (٢٠ من مايو سنة ١٦٢٢م).
- (٤٠٧) الصحيح' ثم استبدل مصطفى باشا للملقب بالبيستانجي بمحمد باشا. وقد تولى مصطفى باشا ١٠ من جماد الآخر سنة ١٠٥٠هـ (٢٧ من سبتمبر سنة ١٦٤٠م) وعزل في ١٧ من رجب سنة ١٠٥٢هـ (١١ من أكتوبر سنة ١٦٤٢م). أوضح الإشارات... ص ١٤٨.
- (٤٠٨) شوال سنة ١٠٥١هـ (يناير سنة ١٦٤٢م).
- (٤٠٩) يذكر أحمد شلبي عبد الغني أن مقصود باشا قدم إلى مصر في ٨ من شعبان سنة ١٠٥٢هـ (الأول من نوفمبر سنة ١٦٤٢م) وعزل في ١٣ من صفر سنة ١٠٥٣هـ. ويلاحظ أنه يروي أحداثا بعد التاريخ المذكور على أنها وقعت في عهد مقصود باشا، ويبدو أن هناك خلط في أحداث فترة "مقصود باشا" لدى أحمد شلبي عبد الغني. أوضح الإشارات... ص ١٤٩، ١٥٠.
- (٤١٠) وهي آمد.
- (٤١١) أوائل شعبان سنة ١٠٥٢هـ (أواخر أكتوبر سنة ١٦٤٢م).
- (٤١٢) غالية صفر سنة ١٠٥٣هـ (١٩ من مايو سنة ١٦٤٣م).
- (٤١٣) للصحيح فيها "نفسا" لوقوعها تمييزا.
- (٤١٤) للكثثة : نوردجة [ معربة : نورده بفتح النون والواو وسكون الراء والمقصود منها : باقة الرياحين] تتخذ من آس وأغصان خلاف، ينفذ عليها الرياحين ثم تطوي. القلوس المحيط ٢٢٤.
- (٤١٥) ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٠٥٣هـ (٣٠ من يناير سنة ١٦٤٤م).
- (٤١٦) أسباب وأحداث تلك الواقعة كما وردت في " أوضح الإشارات": أن قبطلغا عمر مركباني للبحر وأراد أن ينزلها للبحر، فجمع النصاري الذين في المركب- وكتوا نحو لسمتانة- وفك جميع قيودهم لتزليل الغليون ( سفينة شراعية)، فانفرد منهم ثلاثمائة وكسروا باب الترسنة واخذوا السلاح، وبينما كان الناس في صلاة الجمعة، نهبا للبيوت والأسواق، ثم توجهوا إلى البحر وألقموا. أوضح الإشارات... ص ١٥٠.
- (٤١٧) هكذا في الأصل، والمقصود سنة ١٠٥٤هـ (١٦٤٤م).

- (٤١٨) من ٢٣ من ذي الحجة سنة ١٠٥٤هـ (٢٠ من فبراير سنة ١٦٤٥م).
- (٤١٩) قدم "أيوب باشا" إلى مصر في ٨ من ربيع الأول سنة ١٠٥٤هـ (١٥ من مايو سنة ١٦٤٤م)، وعزل في غرة ربيع الأول سنة ١٠٥٦هـ (١٧ من إبريل سنة ١٦٤٦م). أوضح الإشارات... ص ١٥١.
- (٤٢٠) للمابين: كلمة عربية استخدمها العثمانيون للدلالة على البلاط السلطاني. وتطلق على جناح في القصر السلطاني بين جناح الحريم والإدارات الخارجية. وكان السلاطين إذا لم يغادروا قصورهم، تضاوا وقتا فيه بعد الظهر، وبعد عهد السلطان محمود الثاني، كان ينظر في كل الشئون في (المابين). وقد أقام رجال الدولة العثمانية في قصورهم ال (مايين) ويسمى الحرمك والسلامك. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية مرجع سبق ذكره، ص ١٨١.
- (٤٢١) لا توجد معابد في الإسلام، فأماكن العبادة هي المساجد.
- (٤٢٢) قدم "محمد باشا حيدر" إلى مصر في ٦ من جمادي الأولى سنة ١٠٥٦هـ (٢٠ من يونيو سنة ١٦٤٦م)، وعزل في غرة ذي القعدة سنة ١٠٥٧هـ (٢٨ من نوفمبر سنة ١٦٤٧م). أوضح الإشارات... ص ١٥١.
- (٤٢٣) ١٠م رجب سنة ١٠٥٧هـ (١١ من أغسطس سنة ١٦٤٧م).
- (٤٢٤) "رضوان بك" و"على بك" من اللقارية.
- (٤٢٥) "قنصو بك" و"ماماي بك" من القاسمية. وقد مال "محمد باشا حيدر" إلى القاسمية، فكان يعمل بمشورة "قنصويك" لأنه كان قائما بعد عزل "أيوب باشا"، وقبل مجئ "محمد باشا". أوضح الإشارات... ص ١٥١.
- (٤٢٦) ٢١ من جمادي الأولى سنة ١٠٥٧هـ (٢٤ من يونيو سنة ١٦٤٧م).
- (٤٢٧) ٢٧ من جمادي الأولى سنة ١٠٥٧هـ (٣٠ من يونيو سنة ١٦٤٧م).
- (٤٢٨) ٨ من رمضان سنة ١٠٥٧هـ (٧ من أكتوبر سنة ١٦٤٧م).
- (٤٢٩) ١٩ من رمضان سنة ١٠٥٧هـ (١٨ من سبتمبر سنة ١٦٤٧هـ).
- (٤٣٠) هكذا في الأصل، والصحيح "مصالحتهما".
- (٤٣١) ٦ من ذي الحجة سنة ١٠٥٧هـ (٢ من يناير سنة ١٦٤٨م).
- (٤٣٢) ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٠٥٧هـ (٢٢ من يناير سنة ١٦٤٨م).
- (٤٣٣) هو "محمد باشا الشريف"، قدم إلى مصر في غرة صفر سنة ١٠٥٨هـ (٢٦ من فبراير سنة ١٦٤٨م)، وعزل في صفر سنة ١٠٥٩هـ (فبراير سنة ١٦٤٩م). أوضح الإشارات... ص ١٥٢.
- (٤٣٤) صورة نقود السلطان إبراهيم بن محمد.
- (٤٣٥) تولى "محمد باشا كوبريلي" الصدارة العظمى من سنة ١٠٦٧هـ إلى سنة ١٠٧٢هـ (١٦٥٧-١٦٦٢م). سنانمة سنة ١٢٩٤هـ، ص ١٨.
- (٤٣٦) تولى "لحمد باشا" في غرة ربيع الأول سنة ١٠٥٩هـ (١٥ من مارس سنة ١٦٤٩م) إلى غرة صفر سنة ١٠٦١هـ (٢٤ من يناير سنة ١٦٥١م). أوضح الإشارات... ص ١٥٣.
- (٤٣٧) ٦ من صفر سنة ١٠٦١هـ (٢٩ من يناير سنة ١٦٥١م).

- (٤٣٨) الأول من شوال سنة ١٠٦٢هـ (٥ من سبتمبر ١٦٥٢م).
- (٤٣٩) وهو الملقب بأبى النور، لأنه أمر بنظر المساجد بطلاء الزوايا والمساجد والربط والمشاهد. قدم إلى مصر في ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٠٦٣هـ (١٨ من إبريل سنة ١٠٥٢م)، وعزل في ٨ من شعبان سنة ١٠٦٦هـ (الأول من يونية ١٦٥٦م). لوضح الإشارات...، ص ١٥٤.
- (٤٤٠) ٥ من شوال سنة ١٠٦٢هـ (١٠ من سبتمبر سنة ١٦٥٢م).
- (٤٤١) ٨ من المحرم سنة ١٠٦٣هـ (٨ من ديسمبر سنة ١٦٥٢م).
- (٤٤٢) توالى على مصر بعد ذلك ثلاثة عشر واليا حتى بداية سلطنة سليمان الثاني (١٠٩٩هـ - ١٦٨٧م)، وهم، "مصطفى باشا" و"محمد باشا غازي" و"مصطفى باشا" و"إبراهيم باشا" و"عمر باشا" و"إبراهيم باشا البستانجي" و"على باشا قره قاش" و"إبراهيم باشا" و"حسين باشا جابلطاق" و"أحمد باشا القفتردار" و"عبد الرحمن باشا" و"عثمان باشا" و"حمزة باشا". لوضح الإشارات...، ص ١٥٦-١٨١.
- (٤٤٣) الصحيح أن السلطان محمد الرابع عزل في ٢ من المحرم سنة ١٠٩٩هـ (٨ من نوفمبر سنة ١٦٨٧م)، وتوفي في ٨ من ربيع الآخر سنة ١١٠٤هـ (١٧ من ديسمبر ١٦٩٢م). سالفات سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥، سليم فارس: المرجع السابق، ص ١٩؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٤٠٤.
- (٤٤٤) توفي السلطان سليمان الثاني في ٢٦ من رمضان سنة ١١٠٢هـ (٢٣ من يونية سنة ١٦٩١م). سالفات سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٠٦.
- (٤٤٥) توفي السلطان أحمد الثاني في ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١١٠٦هـ (٧ من فبراير سنة ١٦٩٥م). سالفات سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٠٧.
- (٤٤٦) الصحيح أن السلطان مصطفى الثاني توفي في ٢٢ من شعبان سنة ١١١٥هـ (٣١ من ديسمبر سنة ١٧٠٣م) بعد خمسة أشهر من عزله. سالفات سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥؛ سليم فارس: المرجع السابق، ص ٢٢؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣١١.
- (٤٤٧) الصحيح أنه توالى على مصر في هذه الفترة (١٠٩٩-١١١٥هـ / ١٦٨٧-١٧٠٣م) ستة ولاة، هم: "حسن باشا السلحدار" و"أحمد باشا" و"على باشا كالج" و"إسماعيل باشا" و"حسين باشا" و"قره محمد باشا". انظر: أوضح الإشارات...، ص ١٨٢-٢١٠، الجبرتي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣-٤١.
- (٤٤٨) المقصود "السلطنة".

(٤٤٩) هذه نظرة المؤلف للتاريخ الإسلامي، وهي خاصة به.

(٤٥٠) لم يهمل العثمانيون اللغة العربية، بل أكرموا هذه اللغة وأعلوا من قدرها، لأنها لغة الإسلام الذي هو دين العثمانيين. والمرء دوما يتحمس لكل ما هو أسس في عقيدته. بدلت علاقة العثمانيين باللغة العربية- رسميا- مع بدء الدولة العثمانية، إذ أن عثمان المؤسس للدولة العثمانية، أحاط نفسه بمجموعة من العلماء الذين أوكل لهم التخطيط للدولة العثمانية، وهؤلاء العلماء هم المشايخ حفظة القرآن الكريم ومحفظيه ومفسريه للناس وللطلاب. ولورخان بن عثمان هذا، أسس أول مدرسة وكلية متكاملة في الدولة العثمانية عام ١٣٢٧م كل منهاجها عربية وتقوم على أسس تدريس مصادر عربية

ليس فيها كتابا تركيا واحدا. من هذه المصادر العربية: " البخاري " ، و " مسلم " ، والترمذي وابن ماجه وابن داود والنسائي ومصابيح السنة للفراء البغوي. هذا في السنة والحديث النبوي، أما فسي للتفسير فكانت المقررات: تفسير الكشاف للزمخشري، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل وهو تفسير القاضي البيضاوي. واستمرت المدارس الدينية في الدولة العثمانية تعتمد اللغة العربية، لغة العلم والدين حتى نهايتها، ولم يقتصر انتشار اللغة العربية على المدارس الدينية العثمانية فقط بل تعداه إلى المدارس العسكرية والإدارية.

وألف العثمانيون باللغة العربية: تأليفات هامة، مثل كشف الظنون على أسماء الكتب والفنون لكتاب جليبي (= حاجي خليفة) ولهذا المؤلف الكبير كتابه القيم أيضا سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ولطاش كوبرلي زاده كتابه المعروف الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب نيل على ابن بطوطه: الأخية الفتيان التركية لمعلم جودت. ولم يتدخل العثمانيون في شئون الدراسة في العالم العربي أو في البلقان أو في داخل منطقة تركيا نفسها. ولما حكمت الدولة العثمانية أوروبا احترمت اللغات المحلية هناك، وكانت تعتمد اللغات البلقانية أساس الدارس واللغتين العربية والتركية اختياريتين. كانت اللغة العربية هي أساس العلم والفقه وتنظيم شئون الناس في الدولة العثمانية من بداية الدولة عام ١٢٩٩م إلى سيطرة حزب الاتحاد والترقي على شئون الدولة بانقلاب ١٩٠٨م وهو حزب علماني قومي، أراح جزءا هاما من سيطرة اللغة العربية على وجدان العثمانيين، ولما جاء مصطفى كمال أتاتورك مبدأ تحويل تركيا إلى اللحاق بالحضارة الأوروبية، لفظ تسلط اللغة العربية على الأتراك، أخو أنفاسه، خاصة بعد أوامر أتاتورك بتشكيل المجمع اللغوي التركي الذي كانت مهمته الأولى تنقية اللغة التركية من الألفاظ والمصطلحات العربية التي كانت تجم بها . وأخيرا قامت في البلدان العربية دراسات حديثة تناولت موقع اللغة العربية في الدولة العثمانية، وبالتالي رأي الباحث العربي مدى إكرام العثمانيين للغة العربية: في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى :

- عبد السلام فهمي، اللغة العربية في الأناضول، نسخة مخطوطة بمركز بحوث المعالم التركي بالقاهرة.
- محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، الطبعة الثانية ، دار القلم دمشق ١٩٩٩.
- ماجدة مخلوف، تأثير فن المقامة العربية في أدب الأتراك، القاهرة ١٩٩٠.
- محمد عزة دروزه: تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف بيروت ١٩٤٦.
- هدى درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، نموذج الإمام سليمان حلمي، دار الأفاق العربية، القاهرة ١٩٩٨. وهي في الأصل رسالة ماجستير من جامعة الزقازيق بإشراف الدكتور محمد حرب. أما الأتراك فقد أسهموا في هذا الموضوع مثل:
- أكمل الدين إحسان: (إشراف) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي ، استانبول ١٩٩٩.
- سليم نزهت، تاريخ الطباعة في تركيا، ترجمة سهيل صابان، مكتبة الملك فهد، الرياض ١٩٩٣.
- الغريب أن جورجى زيدان يتحدث عن هذا الإهمال، في حين أورد في كتابه هذا جزءا من حياة اللغة العربية في مصر العثمانية.

- (٤٥١) ناقش الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى هذه الفكرة في كتابه حركات التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث. للقاهرة ١٩٧١. وكان يرى غير ما يرى جرجى زيدان، ضمنا.
- (٤٥٢) حياة أداب اللغة العربية فى مصر فى العهد العثماني لا يصيبها النشاط من حب وال لو أكثر للغة العربية، وإنما كان نشاط اللغة العربية فى مصر وفى غيرها من الولايات العثمانية، نظام دولة، وطالما أن هذا النظام سار، طالما كانت اللغة العربية نشيطة وهو ما حدث طوال عهد الدولة العثمانية، لأن نظامها- كان- الإسلام، ولم يعرف العثمانيون للتفريط فى العربية، إلا مع دخول النخبة للمستغربة واستيلائتها على الحكم عام ١٩٠٨. وكان النظام الإداري للدولة يمنع تدخلها فى شئون تعليم الولايات، قبل ثورة الاتحاد والترقي ضد الحكم العثماني. وجرجى زيدان مفرط- كأى مثقف نهل من الفكر الغربى- فى تصديه لكل ما هو عثماني، بدليل أنه أخذ موقف التأييد المفرط لانقلاب ضباط الاتحاد والترقى- الذين نهلوا من الفكر الغربى- وكان الانقلاب موجها ضد: السلاطة العثمانية - الدين الإسلامى- للغة العربية وحروفها. انظر فى هذه الفكرة: محمد حرب، المثقف وتغيير نظام الحكم، حالة أتاتورك، مركز بحوث آسيا، لقرقازيق، ٢٠٠٠.
- (٤٥٣) يقصد المؤلف هنا العصر العثماني وليس العباسي كما كتب.
- (٤٥٤) هذا العهد الذي عاش فيه المؤلف.
- (٤٥٥) ومن آثارها: "فيض الفضل" والمورد الأهنأ فى المولد الاسنى" و"مولد النبي".
- جرجى زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية، ج٣، ص ٢٧٤، كارل بروكلمان: تاريخ الأذب العربى، العصر العثماني، القسم الثامن، ص ١١، يوسف إياس سرخيس: معجم المطبوعات العربية والمصرية، ج١، القاهرة ١٩٢٨، ص ٥١٩.
- (٤٥٦) وله شعر فى مدح ملك الأمراء خير بك- مخطوط بمكتبة برلين.
- كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص ١٢.
- (٤٥٧) طبع سنة ١٣١٣هـ- (١٨٩٥م).
- (٤٥٨) وله كذلك "الكوكب المنير فى خصائص البشر".
- (٤٥٩) ومن آثاره: "اللائى والدرر" وطرح المندر وحل اللأى والدرر- بروكلمان ٨ ص ٣٠.
- (٤٦٠) مكتبة جوتا.
- (٤٦١) "نشق الأزهار فى عجائب الأقطار" وهو كتاب فى الفلك وتركيب الكون وأثر مصر للفرعونية وملوكها.
- (٤٦٢) ولابن إياس كتب أخرى هي:
- " عقود الجمال فى وقايح الأزمان" و" جواهر السلوك" و" منتظم بدء الدنيا وتاريخ الأمم" و" الجواهر للفريدة والنوادر المفيدة". انظر ببليوجرافيا بأصمال ابن إياس ومخطوطته فى:
- محمد حرب: حملة السلطان سليم الأول على مصر والشام (باللغة التركية)، دار آسيا، استانبول، ١٩٨٦م، ص ٥٢. انظر قائمة المراجع للتركية فى نهاية الكتاب.
- (٤٦٣) للنسخة الموجودة بمكتبة بلدية الإسكندرية بخط المؤلف برقم ٢٥٩١ تاريخ بعلسون\* الفريض للمديد فى أخبار النيل للسعيد\*.

- (٤٦٤) يقصد ميونخ ، في ألمانيا، أما ليند فالمعروف أنها في هولندا.
- (٤٦٥) في بروكلمان: كتب سنة ١٩٦٠هـ (١٥٥٣م).
- (٤٦٦) ومن آثاره: "مختارات شعرية" و"بسط العذار عن حل العذار" و"الفتح في الصبح" و"الزین في العين". بروكلمان: ٨٧/٨ و ٨٨.
- (٤٦٧) هكذا في الأصل ، والصحيح " عبد الواحد البرجي". كارل بروكلمان: ٨٨/٨.
- (٤٦٨) هكذا في الأصل، والصحيح" لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول".
- ويسمى كذلك " دوحة الأزهار فيمن ولي الديار المصرية". بروكلمان ٨٩/٨.
- (٤٦٩) هناك اختلاف في تاريخ وفاته، فيذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ١٠٨٧هـ (١٦٧٦م)، انظر:
- محمد أنيس : مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٣؛ جمال الدين الشیال: التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٦.
- (٤٧٠) هو: " درر الأعالي الجليلة".
- (٤٧١) وللبكري مؤلفات أخرى هي: " التحفة البهية فيتملك آل عثمان الديار المصرية" و" الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة" و" كطف الأزهار من الخطط والآثار" و" سمر الأصحاب ونزهة ذوي الألباب" و" رسالة في ربع المقنطرات". - كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص ٩٥،٩٤.
- (٤٧٢) في بروكلمان: أتم في ١٦ رجب ١٠٧١هـ ( ١٦٦١م) كتابه " تراجم الصواعق.. ٩٨/٨.
- (٤٧٣) وللعوفي مخطوط آخر بعنوان: " حدائق العيون الباصرة في أحوال الطاعون والآخرة".
- (٤٧٤) هو " عبد البر عبد القادر بن محمد الفيومي العوفي الحنفي". المحبى: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة ، المطبعة الوهيبية، ١٢٢٤هـ، ٢٩/٢.
- (٤٧٥) وله كذلك : " قررة عيون ذوي الأفهام" و" حاشية على أوضح المسالك" و" حاشية على الشافية" و" شرح الأجرومية". كارل بروكلمان: ٥٢/٨.
- (٤٧٦) " خبايا الزوليا فيما في الرجال من البقايا". كارل بروكلمان: ٥٦/٨.
- (٤٧٧) وقد ألفه بمناسبة ما بلغه عن وجود جامع في جبل الطور استولى عليه الرهبان وسدوا بابيه الأصلي وفتحوا إليه بابا من ديرهم. منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية في ٢٢ صفحة. جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٢٩١.
- (٤٧٨) " تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف".
- (٤٧٩) للمناوي تصانيف كثيرة، منها: " الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية" و" الجواهر المضية في الأحكام السلطانية" و" شرح خطبة القاموس" و" آداب الأكل والشرب" و" قررة عين الأسمان بذكر أسماء الحيوان" و" غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد" و" الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود" و" بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج" و" بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين ". انظر، المحبى: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٢، ص ٤١٣-
- ٤٤١٥؛ جرجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٣٢٢ و ٣٣٣؛ بروكلمان: ١١٨/٨-١٢٢.

- (٤٨٠) وللحلبى آثار أخرى، منها: "النفحة العلوية من الأجوبة الحلبية" و"اللطائف من عوارف المعارف" و"رسالة في التصوف"، وله كثير من الشروح والحواشي. المجيبى: ١٢٢/٣-١٢٣.
- (٤٨١) ومن آثاره: "بيان ما يسقط من الحقوق بالإسقاط" و"بيان المعاصي" و"رسالة في الرشوة وأقسامها" و"في الفرق بين رأس المال والربا" و"في مسألة الجبايات والمربتات" و"البحر الرائق في شرح كنز الدقائق" و"رسالة في الكنائس المصرية" و"رسالة في بيان طوائع الملوك والسلاطين الماضية". كارل بروكلمان: ١٤١/٨-١٤٩.
- (٤٨٢) وللتترتاشي مؤلفان أخرى، منها: "معين المفتى على جواب المستفتى" و"مسند الحكم على الأحكام" و"الوصول إلى قواعد الأصول" و"رسالة في النفود" و"رسالة للفتاوى في أحكام الكنائس" و"رسالة في الدرر والأرفاض". المجيبى: ١٨/٤-٢٠.
- (٤٨٣) منها: "الفتاوى" و"خيرية للنظار" و"الشمعة في أحكام الجمعة" و"ردع الراسب عن صلاة الرغائب" و"بغية المرتاد لتصحيح الضاد" و"شرح نظم الكنز" و"شرح الأشباه والنظائر"؛ المجيبى: ١٨٠/٣-١٨٥، كارل بروكلمان: ١٥٥/٨ و١٥٦.
- (٤٨٤) ومن تصانيف الشرنبلالي: "بتحاف ذوي الإتيان بحكم الزمان" و"حاشية على كتاب للفرر والدرر" و"مراقي الفلاح لإمداد الفتاح" و"مراقي السعادات في التوحيد والعبادات" و"نور الإيضاح ونجاة الأرواح" المجيبى: ٢، ص ٣٨ و٣٩؛ كارل بروكلمان: ص ١٥٨-١٦٣؛ يوسف البيان سركيس: ٢، ص ١١٧ و١١٨.
- (٤٨٥) ومن آثاره: "لدرة المنيفة في فقه أبي حنيفة". المجيبى: ٢٢٠/٣.
- (٤٨٦) ومن هذه المؤلفات "الرسالة المختارة في مناهي الزيارة" و"حقيق الفردوس في حكم الرشق والهوس". كارل بروكلمان: ١٦٩/٨ و١٧٠.
- (٤٨٧) ذكر بروكلمان تاريخ الوفاة ٩٣٩هـ (١٥٣٢م).
- (٤٨٨) ذكر المجيبى أنه توفي سنة ١٠١٩هـ (١٦١٠م).
- (٤٨٩) ومن آثاره: "الدرر النفائس في شأن الكنائس" و"شرح الموطن" و"شرح التهنيت" و"توضيح الديباج وحلية الابتهاج" و"لقول للمائوس". المجيبى: ٢٥٨/٤-٢٦٣؛ كارل بروكلمان: ١٧٥/٨ و١٧٦.
- (٤٩٠) هكذا في الأصل، ولم يذكر بروكلمان تاريخ الوفاة، وذكر أنه كتب سنة ١٠١٠هـ (١٦٠١م)، ومن آثاره: "القول المرتضى في أحكام القضاء". بروكلمان: ١٧٦/٨.
- (٤٩١) ومن آثاره الأخرى: "قضاء الوطر في نزعة للنظر في توضيح نخبة الأئمة" و"نصيحة الإخوان باجتنب شرب الدخان" و"إجمال الوسائل وبهجة المحافل" و"عقد الجمان في مسائل الضمان" و"شرح التقريب والتيسير" و"المسند في بيان حجج أهل النفي والرشد". المجيبى: المصدر السابق؛ ج ١ ص ٦-٩؛ كارل بروكلمان: للمرجع السابق، ص ١٧٩ و١٨٠.
- (٤٩٢) ومنها: "منظومة في الدين" و"شرح لفية بن مالك" و"الزهرة الوردية من فتاوى الشيخ الأجهوري" و"رسالة في فضائل القهوة ومنافعها". المجيبى: ١٥٧/٣-١٦٠؛ كارل بروكلمان: ١٨٠/٨-١٨٢.

- (٤٩٨) مثل: "تسهيل الهداية وتحصيل الكفاية" و"شرح زبدة العلوم" و"فتح الجواد بشرح منظومة ابن ماد" و"شرح الأجرومية" بروكلمان: ٨/١٨٩ و١٩٠.
- (٤٩٩) في الأصل القاهرة والصحيح "القاهري".
- (٤٩٥) منها: "مقدمة في أصول الدين" و"سواطع الحكم" و"الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع" و"للمواعظ الصفية على المنابر العلية" و"شرح على كتاب غاية التفریب". كارل بروكلمان ٨/١٩٠ و١٩١ يوسف إلیان سرکيس: ٢/١١٠٨ و١١٠٩.
- (٤٩٦) ومن آثار: "جوامع الإعراب وهوامع الآداب" وتظم القطر في علم النحو" و"ناشئة الليل ونظم الارتشاف". المحبی: ٣/٢٢١-٢٢٢.
- (٤٩٧) نسبة إلى بدة "شبراملس". ومن آثاره: "الدرر البهية في وضع بسائط فضل الدائسر بطريق الهندسية" و"حاشية على المواهب اللدنية" و"حاشية على شرح الشاميل" المحبی: ٣/١٧٤-١٧٧.
- بروكلمان ٨/١٩٨.
- (٤٩٨) ومن آثاره: "التحفة السنوية بأجوبة الأسئلة المرضية" بروكلمان ٨/١٩٩.
- (٤٩٩) لم يذكر المؤلف السنة.
- (٥٠٠) وقد أحصى بروكلمان له ٦٧ مؤلفا. بروكلمان: ٨/٢٥٥-٢٦٥.
- (٥٠١) الصحيح "سبط". والمؤلف كتبها مسبوط توفي سنة ٩٣٤هـ (١٥٢٧م). المرجع نفسه، ص ٣٢٤.
- (٥٠٢) من هذه المؤلفات: "التحفة المنصورية في معرفة الأوقات الشرعية" و"تعريفات ما يجب في الرياضة" و"المطلب في العمل بالربع المجيب" و"تدريب العامل بالربع الكامل". بروكلمان: ٨/٣٢٤ و٣٢٥.
- (٥٠٣) في بروكلمان: كتب سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م).
- (٥٠٤) في بروكلمان: نحو سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م).
- (٥٠٥) للقوصوني (بالصاد): وكتبها المؤلف بالسين، كان رئيسا للأطباء في مصر، ومن آثاره أيضا: "ريحان الأغياب وريحان الشباب". المحبی: ٤/٣٣٣ و٣٣٤.
- (٥٠٦) ذكر بروكلمان له ٢٥ مؤلفا، منها: "الفوائد الطبية الموافقة لطب البرية" و"الهداية من الضلالة في معرفة الوقت والقيلة بغير آلة" و"المجريات" و"رسالة في فضائل مكة والمدينة والبيوت الحرام المقدسي". بروكلمان: ٨/٣٥٤-٣٥٧.
- (٥٠٧) "تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب".
- (٥٠٨) ومن أهم هذه الآثار: "قلائد العيقان في فضائل سلاطين آل عثمان" و"نزهة الناظرين في تأريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين" و"ليقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين" و"بهجة الناظرين في آيات المستقلين" و"ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون" و"نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين" و"مسبوك الذهب في فضل العرب" و"غاية المنتهي في اللغز" و"مقدمة الخصائص في علم الفرائض" و"أصول اللغات في تأويل الصفات" و"الآيات للحكمات والمتشابهات". المحبی: ٤/٣٥٨-٣٦١؛ بروكلمان: ٨/٣٧٠-٣٧٠.

(٥٠٩) لعله نسي حرف "إلى".

(٥١٠) هكذا في الأصل ن والمؤلف يقصد سنة ١١٧٧هـ، وهي السنة التي تمكن فيها على بك الكبير من استلام مشيخة البلد.

(٥١١) الواقع أن العثمانيين هموا مصر إلى أربعة عشرة ولاية، سبع منها في كل ولاية (بحري- قبلي)، انظر: حسين أفندي للروزنامجى: للمصدر السابق، ص ٣٣.

(٥١٢) لعل المؤلف نسي حرف الجر ( إلى ) فأثبتتها.

(٥١٣) شيخ الإسلام فيض الله أفندي: ١١٠٦-١١١٥هـ (١٦٩٤-١٧٠٣م) في عهد السلطان مصطفى الثاني.

(٥١٤) بطرس الأكبر: ١٦٧٢-١٧٢٥م.

(٥١٥) هكذا في الأصل والصحيح: شارل الثاني عشر ملك السويد للمولود سنة ١٦٨٢م؛ تولى سنة ١٦٩٧م وتوفى سنة ١٧١٨م. وقد انتصر عليه بطرس الأكبر في واقعة "يولتالوا" سنة ١٧٠٩م.

واسوج هي السويد. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣١٢-٣١٣.

(٥١٦) محمد باشا البلطجي: تولى للصدارة مرتين في عهد السلطان أحمد الثالث وعزل سنة ١١٢٣هـ (١٧١١م). سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٤١، ٤٠.

(٥١٧) للصحيح لغلبا على أمرهما وسلما.

(٥١٨) كاترينا الأولى: توجت سنة ١٧٢٤م إمبراطورة، وخلفت زوجها سنة ١٧٢٥م، وتوفيت سنة ١٧٢٧م.

(٥١٩) هي معاهدة "فلكرت" في ٩ من جمادى الآخرة سنة ١١٢٣هـ (٢٥ من يوليو سنة ١٧١١م) وبمقتضاها أخلى قيصر روسيا مدينة آزاق، وتعهد فيها بعدم التداخل في شئون القوزاق، وعدم التعرض لشارل الثاني عشر عند عودته إلى بلاده. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢١٤، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(٥٢٠) عن تأسيس دار للطباعة في الأمتانة سنة ١١٢٩هـ (١٧١٢م) انظر: أحمد جودت: تاريخ جودت، ج ١ ترجمة عبد القادر الدنا، بيروت، ١٣٠٨هـ، ص ٨٢. وسليم نزهت، مرجع سابق ص ٢/٤١.

(٥٢١) هو "حسين باشا" في الجبرتي، وهو "حسن باشا السلحدار" والي مصر السابق في "لوضح الإشارات...". قدم إلى مصر في ٢٥ شعبان سنة ١١١٩هـ (٢١ من نوفمبر سنة ١٧٠٧م) وعزل في ٩ من رمضان سنة ١١٢١هـ (١٢ من نوفمبر ١٧٠٩م). الجبرتي: ٤٥/١؛ لوضح الإشارات... ص ٢١٤. ويذكر عبد الكريم عبد الرحمن أن السلحدار حسن باشا، تولى حكم مصر مرتان الأولى علم ١٠٩٩-١١٠٠هـ والثانية ١١١٩-١١٢١، ورقة (١١٢٠).

(٥٢٢) وقد ذكر أحمد شلبي عبد الغنى هذه القصة قبل الجبرتي. انظر: لوضح الإشارات... ص ٢٨٣، ٢٨٤؛ الجبرتي: للمصدر السابق، ج ١، ص ٣١-٣٣.

(٥٢٣) الصحيح أن الاسم الذي ذكرته المصادر المعاصرة هو قاسم بك الدفتردار الذي ينسبون إليه فرق القاسمية، وذو الفقار بك رأس فرقة الفقارية. أما إضافة اسم عيواظ ( عوض: كما تذكره الوثائق ولكنه ينطق عيواظ حسب نطق الأتراك) فقد أوقع المؤلف في خطأ تخطي معه فترة طويلة من تاريخ مصر العثمانى فقامم بك الدفتردار حسب رواية الجبرتي كان سنة ١٠٥٠هـ (١٦٤٠م) أما الخط الذي وقع فيه للمؤلف بين شخصية قاسم الدفتردار وشخصية بك ملوك قاسمي وهو عيواظ بك الذي قتل إبان ثورة إفرنج أحمد سنة ١٧١١م، فليس هناك علاقة بين قاسم الدفتردار و عيواظ بك سوى إنهما قاسميان.

(٥٢٤) دامت الحرب سبعين يوماً. انظر: على بن محمد الشاذلي الفراء: ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة القاهرة، ( ١١٢٣-١٧١١م) تحقيق عبد القادر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٨م، ص ٣١٩-٤٠١، ص ٣٢٢.

(٥٢٥) لم يذكر المؤلف مصدره في هذا، فقد كانت الفتنة بشعة، وانقطع عن الناس أرزاقهم، وضاعت بهم سبل العيش.

(٥٢٦) انظر ترجمته في: الجبرتي: ١٥٢/١-١٦٢.

(٥٢٧) هو " ولي باشا" قدم إلى مصر في ٢٧ من رجب سنة ١١٢٣هـ (١٠ سبتمبر سنة ١٧١١م)، وعزل في ١٢ من شوال سنة ١١٢٦هـ (٢١ من أكتوبر سنة ١٧١٤م). أوضح الإشارات ...، ص ٢١٥-١٦٥. وعبد الكريم بن عبد الرحمن، ١٤٧-١٥٢ وأحمد الدمرداش كتخدًا غربيان، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨-١٨٦.

(٥٢٨) هكذا في الأصل.

(٥٢٩) قصة الرجل النجار الأمي مع إسماعيل بك أورد هذه القصة إسماعيل الخشاب في مخطوطته تاريخ المماليك في القاهرة (محفوظ بدار الكتب المصرية (٢١٤٨ تاريخ طلعت).

(٥٣٠) توالى على حكم مصر في تلك الفترة:

ولي باشا: ١١٢٣-١١٢٦هـ (١٧١١-١٧١٤)

عابدي باشا: ١١٢٩-١١٢٦هـ (١٧١٤-١٧١٧م)

على باشا: ١١٢٩-١١٣٢هـ (١٧١٧-١٧٢٠م)

رجب باشا: ١١٣٢-١١٣٣هـ (١٧٢٠-١٧٢١م)

محمد باشا النشاجي: ١١٣٣-١١٣٨هـ (١٧٢٠-١٧٢٦). أوضح الإشارات ...، ص ٢٥١-٣٢١.

(٥٣١) في " أوضح الإشارات.. هو زين الفقار تابع عمر آغا، آغا الجراكسة.

(٥٣٢) لم يقتل كل من كان في النيوان من رجال إسماعيل بك بن ايواظ كما يذكر المؤلف؛ وإنما قتل إسماعيل بك صننق جرجا الذي حاول الإمساك بزین الفقار قطعن من الخلف. أوضح الإشارات ...، ص ٣٨٣.

(٥٣٣) انظر تفاصيل مقتل إسماعيل بك بن ايواظ في الديوان يوم الخميس ١٩ من صفر سنة ١١٣٦هـ (١٨ من نوفمبر سنة ١٧٢٣م) في " أوضح الإشارات.. حيث كان أحمد شلبي عبد الغني شاهدا عيانا: المصدر نفسه ، ص ٣٨٣-٣٨٦.

- (٥٢٤) انظر ترجمة "جرمس بك" في: الجبرتي: ١٦٧/١-١٧٣.
- (٥٢٥) جرت هذه الواقعة يوم السبت السابع من جماد الآخر سنة ١١٣٨هـ (١٠ فبراير سنة ١٧٢٦م). انظر لوضح الإشارات ... ص ٤٢٥ و الجبرتي ٨١/١.
- (٥٢٦) هو "زين الفقار بك" في "لوضح الإشارات".
- (٥٢٧) ذكر أحمد شلبي عبد الغنى "لجزاير". لوضح الإشارات ... ص ٤٧٨.
- (٥٢٨) الصحيح أنه قتل قبل "محمد جرمس بك" بخمسة أيام، فقد قتل نو الفقار بك يوم الخميس ٢٥ من رمضان سنة ١١٤٢هـ (١٣ أبريل سنة ١٧٣٠م) وقتل محمد جرمس بك يوم الثلاثاء ٣٠ من رمضان سنة ١١٤٢هـ (١٨ أبريل سنة ١٧٣٠م). لوضح الإشارات ... ص ٥٦٥-٥٦٨؛ الجبرتي: المصدر السابق، ج ١ ص ٨٤.
- (٥٢٩) خلع السلطان أحمد الثالث في ١٥ من ربيع الأول سنة ١١٤٣هـ (٢٨ من سبتمبر سنة ١٧٣٠م)، وكلفت مدة حكمه ٢٧ سنة و١١ شهرا، وقد توفي سنة ١١٤٩هـ (١٧٣٦). سلسلة ١٢٩٤-٢٥، محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣١٨، ٣١٩.
- (٥٤٠) نادر شاه: ١٦٨٨-١٧٤٧، كان شاها لإيران في الفترة من ١٧٣٦-١٧٤٧.
- (٥٤١) هكذا في الأصل، والصحيح "بها".
- (٥٤٢) هكذا في الأصل، والصحيح "فعارض"، ذلك أن الشاه طهماسب طلب الصلح، فتم في سنة ١١٤٤هـ (١٧٣٢م) على أن تترك فارس للدولة العثمانية كل ما فتحه ماعدا تبريز وأردهان وهمذان وبقي إقليم لورستان، فعارض نادرشاه، وعزل الشاه، وحاصر بخداد، وجرت المعارك بين الدولتين، فطلبت الدولة العثمانية للصلح، فوقع في سنة ١١٤٩هـ (١٧٣٦م)، وفيه اتفق على أن ترد الدولة العثمانية ما أخذته من فارس، ونودي بنادر شاه ملكا على فارس. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٢٠، ٣٢١.
- (٥٤٣) "أسف عليه العثمانيون" أما "أسفه" بمعنى أغضبه.
- (٥٤٤) المقصود بالعار السابق "معاهدة بساروفت" سنة ١١٣٠هـ (١٧١٨م). وبموجب معاهدة بلخواد سنة ١١٥٢هـ (١٧٣٩م) تنازلت النمسا للدولة عن بلغراد وما أعطي لها من الصرب والأقالق بموجب معاهدة بساروفت، وتمهدت روسيا بهدم قلاع ميناء أزق، وبعدم إنشاء سفن البحر الأسود، وأن تكون تجارتها على سفن أجنبية، وأن ترد للدولة ما أخذته من الأقاليم والبلدان. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٢١-٣٢٣.
- (٥٤٥) انظر ترجمته في: الجبرتي: ٢٣٢/١-٢٤١.
- (٥٤٦) وهو اللواء المعروف "بطاعون كو" ومات به كثير من الأعيان وغيرهم. انظر: الجبرتي: ١٩٥/١.
- (٥٤٧) ولي "عثمان بك" بورصة عدة سنين ثم رجع إلى الأستنة واستمر بها إلى أن توفي في حدود سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م). الجبرتي: ٢٤١/١.
- (٥٤٨) يذكر الجبرتي أنه لعظم شأن "عثمان بك" جعل أهل مصر سنة خروجه منها (١١٥٦هـ-١٧٤٣م) تاريخا لأخبارهم ووقائعهم ومواليدهم. الجبرتي، ٢٣٢/١.

(٥٤٩) هو " أحمد باشا كور " ١١٦٢-١١٦٣هـ (١٧٤٨-١٧٥٠م). وسبب تلقبه بذلك أنه كان بعينه بعض حول. الجبرتي: ١/٢٤٣.

(٥٥٠) هو " الشريف عبد الله باشا " : ١١٦٤-١١٦٦هـ (١٧٥٠-١٧٥٣م) والمؤلف كتبها هنا خطأ. انظر الجبرتي ١/٢٤٥. ويذكر أحمد الدمرداش كتبخدا عزبان ولايته بين ١١٦٤-١١٦٥ انظر: الدرّة المصنّاة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٧.

(٥٥١) محمد راغب باشا: حضر إلى مصر واليا في سنة ١١٥٩هـ (١٧٤٦م) وعزل سنة ١١٦١هـ (١٧٤٨م)، وقد تولى الصدارة في سلطنة عثمان الثالث من سنة ١١٧٠هـ (١٧٥٧م) إلى أن توفي في سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٣م). وكان من أفاضل العلماء والحكام، ألف رسالة في العروض، وله ثلاثة دواوين تركي وفارسي وعربي، وله "سفيانة الراغب ودفينة الطالب" وهي أشهر تأليفه. الجبرتي: ١/٣٣٥؛ سالنامه سنة ١٢٩٤هـ؛ ص ٤٤،٤٣.

(٥٥٢) الكاشف: هو الذي يتولى إدارة كاشفية. والكاشفية القسم الإداري الأكل من الولاية، وقد وجد في مصر ٢٤ كاشفية. ليلي عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص ٤٥٣. (٥٥٣) الصحيح: اثنتانها.

(٥٥٤) وهو المعروف بـ " حسين بك الصابونجي "، انظر ترجمته في: الجبرتي: ١/٢٦٩-٢٧١.

(٥٥٥) وكان قتله في شهر صفر سنة ١١٧١هـ (١٧٥٧م). الجبرتي: ١/٢٧٠.

(٥٥٦) الصحيح أن السلطان مصطفى الثالث توفي في ٨ من ربيع الأول سنة ١١٨٧هـ (٣١ من مايو سنة ١٧٧٣م). سالنامه سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٦.

(٥٥٧) الصحيح أن السلطان مصطفى الثالث تولى الملك وسنة ٤٢ سنة. فقد ولد سنة ١١٢٩هـ (١٧١٧م)، وتولى سنة ١١٧١هـ (١٧٥٧م). نفس المصدر السابق والصفحة.

(٥٥٨) تولى محمد راغب باشا للصدارة سنة ١١٧٠هـ (١٧٥٦م) في عهد السلطان عثمان الثالث، واستمر في عهد السلطان مصطفى الثالث حتى توفي سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٣م) نفس المصدر السابق، ص ٤٤،٤٣.

(٥٥٩) كاترينة الثانية: ولدت سنة ١٧٢٩م، وتولت العرش سنة ١٧٦٢م، وتوفيت سنة ١٧٩٦م.

(٥٦٠) هي السويد.

(٥٦١) شارل الثاني عشر: ملك السويد: ١٦٩٧-١٧١٨. انظر ما سبق.

(٥٦٢) ينظر إلى هذه الحادثة في أدبيات التاريخ العثماني على أنها خيانة وعصيان وبالمفهوم المعاصر حركة انفصالية لتقسيم الوطن الواحد. إذ أن مصر -وقتها- كانت عنصرا من عناصر الدولة العثمانية.

(٥٦٣) هو حسين كشكش القازدغلي، وكان من ممالك إبراهيم كتبخدا، وقد تقلد إمارة الحج أربع مرات، آخرها سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٢م). انظر ترجمته في: الجبرتي: ١/٤١١.

(٥٦٤) هو الأمير صالح بيك القاسمي من ممالك مصطفى بك المعروف بالفرد، تقلد إمارة الحج في سنة ١١٧٢هـ (١٧٥٨م). انظر ترجمته في: الجبرتي: ١/٤١١،٤١٢.

(٥٦٥) يجب ملاحظة أن أحداث هذه الواقعة جرت سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) كما نكرها للجبرتي، لأن المؤلف يرويها على أنها حدثت سنة ١١٧٧هـ (١٧٦٣م). انظر الصفحة التالية.  
(٥٦٦) كتبها المؤلف ١١٧٧-١١٨٥هـ لو من ١٧٦٣-١٧٦٤م لكن الصحيح: من سنة ١١٧٧-١١٨٧هـ لو من سنة ١٧٦٣-١٧٧٣م.

(٥٦٧) هذا الانتصار الذي يذكره المؤلف سنة ١١٧٧هـ (١٧٦٣م) حدث سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م).  
نظر: الجبرتي: ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٠، ٤١١.

(٥٦٨) الشيخ ضاهر العمر: (١٦٩٥-١٧٨٢) شيخ بنى زيدان في بلاد صنف. نظر ملته في المنجد في الأعلام، ٣/٤٤١.  
(٥٦٩) وهو الأناضول.

(٥٧٠) للصحيح أن "محمد راجب باشا" توفي سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٣م). الجبرتي: ج ١/٣٣٥، سالنامه سنة ١٢٩٤هـ ص ٤٤، إبراهيم حليم: المرجع السابق، ص ١٦٩؛ حسين مجيب المصري: مرجع سبق نكره، ص ٩٨. وهذا الخطأ وقع فيه محمد مختار باشا، فذكر في أحداث شهر رمضان سنة ١١٧٩هـ (فبراير ١٧٦٦م) أن علي بك فر إلى اليمن عندما رأى أن منصبه في المشيخة مهدد لعدم وجود من يسنده في الأستانة بعد وفاة راجب باشا، الذي كان واليا على مصر، وتولى الصدارة العظمى في الأستانة. انظر: محمد مختار باشا: للتوفيقات الإلهامية...، ص ٥٩٠.

(٥٧١) لم يذكر المؤلف مصدره في مقتل "صالح بك" على يد إبراهيم كاشف، فقد روي للجبرتي تفاصيل مقتل "صالح بك" يوم الأحد ١٨ من ربيع الآخر سنة ١١٨٢هـ (٢ من سبتمبر سنة ١٧٦٨م)، وذكر مملوك على بك للذين اشتروا في اغتياله، وهم: محمد بك أبي الذهب، ولؤيب بك، ورضوان بك، وأحمد بك يوشناق (الجزار)، وحسن بك الجدوي، وعلى بك الجدوي. انظر: الجبرتي: ١/٣٩٦.  
(٥٧٢) للمؤلف يكتبها هذين والصواب: هذا. ويضع المؤلف صورة ختم سليمان كخيا بجوار الجدول المذكور.

(٥٧٣) يقف جرجى زيدان موقفا واضحا ضد محمد بك أبي الذهب، ويعتبره كما لورد. أما كتب التاريخ العثماني فترى العكس، إذ أن الأمر كان، بالنسبة لأيدولوجية ذلك العهد كما يلي:

- ١- أقدم على بك على التعاون مع دولة أجنبية غريبة غير مسلمة من أجل استقلاله بمصر وهي روسيا. ومع ضاهر العمر في لبنان ضد الدولة.
- ٢- خان على بك دولة الخلافة الإسلامية وهي العثمانية وبالتالي فقد خان دولة الإسلام.
- ٣- خان على بك وحدة الدولة العثمانية الواحدة، وهي دولة لم تنقسم وهذا أحد صفاتها. وكفنت، تمثل قوة للمسلمين وقتها.
- ٤- وبالتالي فإن محمد بك أبو الذهب، قد قام بولجبه الديني والوطني والإداري في نظرية عصره، عندما كتبت للفكرة الدينية هي أساس نظام للمالم في ذلك العهد.

(٥٧٤) محمد باشا: ١١٨٢-١٧٦٨م. وقد توفي في علم ١١٨٣هـ (١٧٦٩م)، انظر الجبرتي: ٤٣٦/١.

(٥٧٥) هو "أحمد باشا": ١١٨٣هـ-١٧٦٩م.

(٥٧٦) الصحيح "من".

(٥٧٧) القاييجي باشي: رئيس البوابين، وهي وظيفة قديمة في الدولة، وكان في الأصل واحدا ثم صار أربعة ثم بلغ عددهم عشرة، حتى بلغ ١٥٠، وكونوا فرقة أنشئ لها منصب قائد يسمى باش قاييجي باشي أو رئيس كبار البوابين. وقد أصبحوا بعد ذلك يوظفون بصفتهم تشريفية في حفلات الاستقبال التي تجري بالقصر والبعثات ذات الأهمية الخاصة والسرية بوجه خاص مما كان يوفد إلى الولايات. وكان اثنا عشر منهم يصاحبون السلطان في ذهابه إلى المسجد في أيام الجمعة. انظر: على همت يركي الأسيكي: المرجع السابق، ص ١٧٨، هاملتون جب وهارولد بوون: مرجع سابق ذكره، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٥٧٨) كان على بك يتحدث بالتركية ولم يكن يعرف العربية.

(٥٧٩) في الجبرتي: قبض على بك، على المعلم اسحق اليهودي معلم الديوان ببسلاق، وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب وضربه حتى مات. الجبرتي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٩. وقد أعطى على بك التزام الجمارك في مصر إلى سوري اسمه حنا فخر. هاملتون جب وهارولد بوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢، حاشية (٥)، ص ١٦٣.

(٥٨٠) الكلمة تركية ومعناها الوصول إلى السحاب، وذلك لطول قامته على بك، ويترجم هولت هذه العبارة بمعنى "قباض الغمام" وفي رد هاروس بمعنى السحاب وهي ما يمكن ترجمتها: حاجز السحاب أو "قباض الغمام".

(٥٨١) الصحيح هنا الشيخ همام شيخ الهوارة: انظر دراسة ليلي عبد اللطيف: الصعيد في عهد شيخ العرب همام: الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٧.

(٥٨٢) وهي أسوان.

(٥٨٣) يبدو أن خيال المؤلف الروائي يلعب دوره في هذه القصة، وذلك لأن أحمد بك الجزائر كان قد فر بعد مقتل "صالح بك" سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨). انظر الجبرتي ١/٣٩٦-٣٩٧ وج ٢ ص ٤٦٧-٤٧٠ وسيمعاد ذكر ذلك.

(٥٨٤) فرند: السيف (بكسرتين) وإفرنده: بكسر الهمزة والراء ربهه ووشيه.

(٥٨٥) روى الجبرتي قصة فرار أحمد بك (الجزار)، ضمن روايته لمقتل "صالح بك" في أحداث سنة ١١٨٢هـ (١٨٦٨م)، فقد كان "أحمد بك" مع المماليك الذين اشتركوا في قتل صالح بك، إلا أنه لم يستل سيفه ليضربه به، وذلك لأنه ذهب للحج معه سنة ١١٧١هـ عندما كان صالح بك أميرا للحج. وقد وشوا به إلى "على بك"، فاضطر أن يقسم له أنه اشترك في قتل صالح بك بسيفه، إلا أنه اتخذ قراره بالفرار، فخرج إلى الإسكندرية بعد أن أوصى حريمه بكتمان أمره، ومنها إلى الأسكندرية. وقد رجع إلى البحيرة، وأقام بحرب الهنادي وتزوج هناك، وحارب معهم ضد "على بك"، ثم سار إلى بلاد الشام، إلى أن تولى عكا. انظر: الجبرتي ١/٣٩٦، ٣٩٧، ٤٦٧/٢-٤٧٠.

(٥٨٦) كانت تجريدة مكة بقيادة محمد بك أبو الذهب، وقد تكلفت ٢٦ مليون فرنك واستطاعت دخول مكة المكرمة في ربيع الآخر سنة ١١٨٤هـ (يوليو ١٧٧٠م). الجبرتي ١/٤٥٦، محمد مختار باشا: المصدر السابق، ص ٥٩٢.

(٥٨٧) مما رواه الجبرتي في أحداث شهر رمضان ١١٨٣هـ (يناير ١٧٧٠م) أن علي بك صلي الجمعة بجامع الداودية فخطب للشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلي بك، فأحضر الخطيب بعد الصلاة وعنفه على ذلك وأمر بضربه لأنه دعا باسمه في الخطبة. ينظر الجبرتي: ٤٣٩/١.

(٥٨٨) ويقدر فولني مجموع الجيش الذي أرسل إلى سوريا بحوالي ٤٠,٠٠٠ رجل ويعطي المرادي العدد نفسه. انظر: هملتون جب وهارولد بوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢، حاشية (٤) ص ٤٥٤٤.

(٥٨٩) هو كارلو روستي Carlo Rosetti الذي كان قنصلا للبندقية والنمسا في القاهرة. جب وبوون، نفس المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٥٩٠) في المخطوط صورة كاترينا الثانية.

(٥٩١) من ذو الحجة سنة ١١٨٥هـ (٣ من إبريل سنة ١٧٧٢م).

(٥٩٢) من إبريل سنة ١٧٧٢م.

(٥٩٣) الأول من فبراير سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٤) من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٥) من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٦) من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٧) من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٨) وكلفت وافته في ١٥ صفر سنة ١١٨٧هـ (٩ من مايو سنة ١٧٧٣م) للجبرتي: ٤٩٤/١.

(٥٩٩)، (٦٠٠) ينقل المؤلف مناقب علي بك ومآثره من الجبرتي. انظر الجبرتي: ج ١/٥٠١، ٥٠٢.

(٦٠١) في المخطوط، صورة "نقود السلطان مصطفى بن أحمد وعلى بك" وصورة "نقود السلطان مصطفى بن أحمد وعلى بك".

(٦٠٢) الصحيح "لو من".

(٦٠٣) صوابها "سلطانين".

(٦٠٤) كان القتال قد استؤنف بين الدولة العثمانية وروسيا بعد رفض الدولة العثمانية لشروط الصلح التي قدمتها روسيا في سنة ١١٨٦هـ - ١٧٧٣م، فانهزم الروس في بلاد الطونة أمام مدينة روستجوق

وأمام مدينة سلمستيريا التي حاولوا الاستيلاء عليها في ٣٠ من مايو سنة ١٧٧٣م، بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف جندي، واضطروا إلى التقهقر. ونتيجة لنضوب الخزينة أُلغيت عادة منحة جلوس السلطان

عن العرش. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٨. وإسماعيل حقي دانشمند تقويم التاريخ العثماني، مرجع سبق ذكره، مجلد ٤، ص ٥٧. I.H.D.C.4,5.57.

(٦٠٥) وهو نهر الدانوب.

(٦٠٦) هي معاهدة "كوجوك تينارجه"، وهي أقسى المعاهدات في التاريخ العثماني، وكانت الأساس الذي بنيت عليه المعاهدات التي عقدتها الدولة مع روسيا. وهي تتكون من ثمانية وعشرين مادة،

أهمها: استقلال شبه جزيرة القرم مع حفظ سيادة سلطان الدولة العثمانية فيما يتعلق بالمشئون الدينية، على تتر القرم بصفتها خليفة المسلمين، وتسليم كافة البلاد والأقاليم التي احتلتها روسيا إلى خان القرم،

ورد ما أخذ من أملاك الدولة بالأفلاق واللبندان، وأن يكون السفن الروسية حرة الملاحة فى البحر الأسود والمتوسط، وأن تبني روسيا كنيسة بقسم بيريا بالآستانة، ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين للتابعين لها من رعيا الدولة، وأن تكون كافة المعاهدات السابقة لاجية، وأن تدفع الدولة لى روسيا غرامة حربية على ثلاثة أقساط. انظر نص المعاهدة فى : أحمد جودت: تاريخ جودت، ج ١ مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٨-٤١٣.

(٦٠٧) الأصل أن مصر كانت ولاية عثمانية ذات وضع متميز ولا يرسل إليها إلا الولاة المتميزون. (٦٠٨) فى المخطوط صورة أبو طبق فى موكبه.

(٦٠٩) أن ما ذكره المؤلف بشأن طريقة إقالة الباشا من منصبه لم تكن طريقة ابتدعتها الدولة للعثمانية، بل إن الدولة حينما تريد عزل واليها- الباشا- تصدر له فرمانا بالعزل ويعين بدلا منه قائمقام يتولى مهامه إلى حين وصول الباشا الجديد. لكن ما ذكر المؤلف عن تلك الطريقة كان من ابتداع كبار الأمراء المماليك فى القرن ١٨ حينما أصبحوا هم أصحاب النفوذ على شئون البلاد ولا دخل للدولة العثمانية فى ذلك والتي كانت سلطتها على مصر فى تلك الفترة ضعيفة إلى حد ما.

(٦١٠) توفي " محمد أبو الذهب" فى ٨ من ربيع الثانى سنة ١١٨٩هـ (٩ من يونية سنة ١٧٧٥م)، وقد وصلت جثته إلى مصر فى ٢٤ من ربيع الثانى، ودفن فى مدرسته تجاه الأزهر. الجيرى: ٥٤٦/١، ٥٤٧.

(٦١١) لم يلقب محمد بك أبو الذهب بلقب الخائن، ولم يحمل هذا اللقب فى تاريخ مصر العثمانية إلا أحمد باشا الخائن، أما المصادر العثمانية فتزيد على هذا، محمد على باشا رأس العائلة العلوية فى مصر.

(٦١٢) " نظرائه".

(٦١٣) هو البحر الأحمر.

(٦١٤) للصحيح فيها كثيرين.

(٦١٥) حلوان: المال الذي يدفع عند الحلول محل ملتزم آخر لوفاته وانحلال التزامه عنه، وهناك حلوان الوظائف بمعنى أن الموظف الجديد كان يدفع حلوانا أي مبلغا من المال نظير حصوله على منصبه. ليلى عبد اللطيف: الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، ص ٤٤٥.

(٦١٦) لختيارية: المسنون أو المجربون إحدى وظائف الرياسة فى الأوجاقات. ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٤٣٨.

(٦١٧) فى المخطوط صورة مراد بك.

(٦١٨) ٢٣ من يونية سنة ١٧٨٦م.

(٦١٩) الصحيح " للشيخ" وأن كتبها المؤلف " شيخ".

(٦٢٠) فى المخطوط صورة الشيخ محمد المهدي للكبير.

(٦٢١) سلطاتم بمعنى سلطاني، والميم فيها ملكية للمتكلم فى اللغة التركية.

(٦٢٢) فى المخطوط صورة للشيخ أبو الأنوار السادات.

(٦٢٣) يولية سنة ١٧٨٦م.

- (١٢٤) هو "عابدي باشا". وفي المصادر العثمانية "عبدى". تولى في السبت ١٢ من المحرم سنة ١٢٠١هـ (٤ من نوفمبر ١٧٨٦م). الجبرتي: ١٩١/٢.
- (١٢٥) في المخطوط صورة: نقود السلطان عبد الحميد الأول
- (١٢٦) في المخطوط صورة للسلطان سليم الثالث.
- (١٢٧) في المخطوط صورة نقود السلطان سليم بن مصطفى.
- (١٢٨) ويعرف أيضا باسم "إجماع الإيلاس من اللوثوق بالناس". وقد استشهد للجبرتي بالكثير من اشعار الحسن البدي في تعليقه على الأحداث والوقائع. انظر ترجمته وبعض اشعاره في الجبرتي: ١١١-٩٩/١.
- (١٢٩) يرتاغ: يطلب ويريد.
- (١٣٠) انظر نص للقصيدية في: الجبرتي: ج ١٠١/١-١٠٤.
- (١٣١) كان الشبراوي أستاذًا في الأزهر ثم أصبح شيخا له سنة ١١٣٧هـ (١٧٢٤م) وقد توفي سنة ١١٧٢هـ (١٧٥٨م). المرادى محمد خليل، ملك الدرر في أعين القرن الثاني عشر، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ ١٠٧/٣؛ الجبرتي: ٢٧١/١-١٧٣؛ بروكلمان ٤٠/٨.
- (١٣٢) "الإتحاف بحب الأشراف".
- (١٣٣) "شرح الصدر بغزوة بدر" وهي رسالة ألفها بإشارة على باشا ابن الحكيم وذكر في آخرها نبذة من تاريخ ولاية مصر إلى وقت صاحب الإشارة. الجبرتي: ٢٧٢/١.
- (١٣٤) ومن آثار الشبراوي الأخرى: "تلخيص العقيدة" و"العقد الفريد" في استنباط العقائد من كلمات التوحيد" و"المنظومة الشبراوية" في النحو. بروكلمان ٤١/٨، ٤٢.
- (١٣٥) انظر، الجبرتي: للمصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٨.
- (١٣٦) "الفوائح للجانية في المدائح الرضوانية" وقد جمع فيه ما مدح به الأمير رضوان كتحدا من قصائد ولطائف وتواشيع. الجبرتي: نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥٢.
- (١٣٧) "هداية للمتهمين في كذب المنجمين" الجبرتي: نفس المصدر، ج ١، ص ٤٥٨.
- (١٣٨) مكتبة جوتا.
- (١٣٩) "للمقامة القمزية في المجون" الجبرتي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٨.
- (١٤٠) ومن آثاره الأخرى: "حسن الدعوة للإجابة عن القهوة" وترويح لولى اللماعة بمنقلى الكتب الثلاثة. بروكلمان: ٤٦/٨.
- (١٤١) وله من التصانيف: "السيرة النبوية" في ١٢ بيتا، و"شرح جواهر الكلام" و"حاشية على الدر المختار". المرادى: ٣٧/١-٣٩.
- (١٤٢) الصحيح: السيد مرتضى الحسيني الزبيدي، صاحب كتاب تاج العروس.
- (١٤٣) منها: "تحقيق الوسائل لمعرفة المكتبات والرسائل" و"إتحاف السادة المتقين" و"سفينة النجاة محتوية على بضاعة مزجاة من الفوائد المنتقاة" و"تحفة للقماويل في مدح شيخ العرب إسماعيل" و"القول المبتوت في تحقيق لفظ تابوت" و"رسالة في أحاديث يوم عاشوراء" و"المواد السنينة فيما يتعلق

بطريقة السادة النقشبندية". جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٢٨٩، بروكلمان: ٦٤-٦٢/٨.

(٦٤٤) هكذا في الأصل والصحيح شيخ زاده.

(٦٤٥) وله أيضا: " زاد الأشراف في وقف القاف" بروكلمان: ٩٩/٨.

(٦٤٦) الاسم للصحيح هو الأمير أحمد الدمرداش كتحدا عزبان. وقد نشر هذا المخطوط بمعرفة: عبد الرحيم عبد الرحمن: لدره المصانعة في أخبار الكنانة، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨٩م؛ وأيضا عبد الوهاب بكر ودانيال كريسييلوس: صفحات من تاريخ مصر العثمانية في القرن الثامن عشر، مخطوطة الدره المصانعة في أخبار الكنانة، مرجع سبق ذكره، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م.

(٦٤٧) ومن آثاره: " كنز السعادات في الكرامات بعد الممات" و" العقد الثمين فيما يتعلق بآيات الموازين" و" رسالة في فن القرآن" بروكلمان: ٨٢/٨.

(٦٤٨) هو " أبو الحسن على الصعودي العدوي المالكي". المرادي: ٣٢/٤؛ بروكلمان: ١٨٦/٨.

(٦٤٩) " غاية للمرام فيما يتعلق بآئحة الأنام".

(٦٥٠) يقصد كتاب" المجربات" المسمى " فتح الملك المجيد لنفع العبيد". بروكلمان: ٢٠٣/٨.

(٦٥١) وله أيضا: " مزيد النعمة لجمع أفعال الأئمة" و" الإقصاد عن عقد النكاح" و" كشف الأسرار" و" فتح رب البرية على متن السخاوية" في الرياضة. كارل بروكلمان: ٢٠٤/٨، يوسف سركريس ١٦٢٤/٢، ١٦٢٥.

(٦٥٢) انظر " عيسى بن أحمد البرواي". في المرادي: ٢٧٣/٣.

(٦٥٣) " أحمد السجاعي" ومن آثاره: " نظم أصول الأوقاف" و" فتح المنان" و" الفوائد الجليلة لمن أراد الخلاص من كل بلية". بروكلمان: ٢٠٦/٨-٢٠٨.

(٦٥٤) عن " أبو السعود أحمد بن عمر الأسقاطي" انظر المرادي: ١٤٩/١.

(٦٥٥) منها: " للتعليق على وصية الأدب" و" تحفة الأكياس" و" الأجوبة الجليلة عن المسائل الخفية" و" مشكاة الأنوار في لطائف الأخبار". بروكلمان: ٢٨٥/٨.

(٦٥٦) ومن آثاره: " العرف العاطر في معرفة الخواطر" وديوان شعر سماه " ترويح البال وتسييح اللبالب". المرادي: ٣٢٨/٢، ٣٢٩.

(٦٥٧) كان شيخا للأزهر، وله من التصانيف: " رسالة في أصول القرآن" و" الآداب السننية لمريد سلوك طريق السادة للخلوتية" ومنظومة في علم الفلك وشرحها. المرادي: ١٢٢/٤.

(٦٥٨) " تحفة السالكين ودلالة الساترين لمنهج المقربين".

(٦٥٩) طبع سنة ١٢٨١هـ (١٨٦٤م).

(٦٦٠) هو " سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهرى الجمل".

(٦٦١) ومن مؤلفاته: " رسالة في المنحرفات" و" رسالة في الأسطحة" و" حقائق الدقائق" و" العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين" و" الأموال المعربة عن أحوال الأشرية". الجبرتي: ج ١، ص ٥٠٦-

١٥٢٢ بروكلمان: ٣٣٧/٨، ٣٣٨.

(١٦٢) هو "أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري".

(١٦٣) كان للدمنهوري عالما بالمذاهب الأربعة، وله اليد الطولى في سائر العلوم كالكيمياء والحكمة والطب، وقد تولى مشيخة الأزهر، ومن آثاره: "عين الحياة في علم استنباط المياه" و"كشف اللثام عن مخدرات الأفيام" و"إرشاد الماهر إلى كنز الجواهر" و"الكلام البشير في علاج المقعدة واليوسير" و"منتهى التصريح بمضمون القول الصريح في علم التشريح". المرادي: ١/١١٧؛ الجبرتي: ٢/ص ٣٢-٣٥؛ بروكلمان: ٨/٣٧٩-٣٨١.

(١٦٤) ما ذكره المؤلف عن ظلم المرأة وتحطاط وضعها في العصر العثماني ليس هناك ما يؤكد بلى العكس هو الصحيح، فوثائق المحاكم الشرعية تفيض بالوثائق الخاصة بقضايا الأسرة والمرأة. فطلى سبيل المثال فلن وثائق محكمة الباب العالي للخاص بقضايا الزواج أو الطلاق شواهد صدق على علو مكانة المرأة في مصر العثمانية. انظر سوسن سليمان يحي قضايا المرأة في مصر العثمانية (مجلة كلية الآداب عدد خاص ٥٧) ص ١٩٩-٢٢٥.

(١٦٥) تناول المخدرات لم يكن بالظاهرة التي يصورها المؤلف وكثفتها عادة يومية عند الناس فما ذكرته المصادر المعاصرة، هو انتشار عادة التدخين لكنها كانت للقادرين فقط. انظر الجبرتي: ج ١، ص ٤١ مطبعة الأنوار المحمدية د.ت.

(١٦٦) كان جمرک دمياط يضم إليه جمرک البرلس الذي يقع في جنوب دمياط، والذي كانت تمر فيه البضائع والمنتجات القادمة من الوجه البحري والواردة من شمال إفريقية عن طريق البحر. عراقي يوسف محمد الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص ٢٧٧.

(١٦٧) كان جمرک مصر القديمة وبولاق جمرکا واحدا منذ بداية العصر العثماني، وكان يدار في البداية بمعرفة الباشا العثماني، ثم انتقل إلى أوجاق مستحفظان حتى سنة ١٧٧٢م بعد أن استحوذ البكوات للمماليك على إيرادته، التي بلغت في سنة ١٧٩٨م حوالي ٣,٥١٥,٤٣٧ بارة. عراقي يوسف، المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٦٨) المقصود هنا نظام الالتزام في الجمارك، حيث كان تباع رسوم الجمارك إلى الملتزمين، الذين يشرفون على تحصيلها ويوردونها إلى خزانة للوزنانية مع قيمة من المال في نظير ذلك.

(١٦٩) للصحيح "الريال أبو طاقة"، وهو الريال النمساوي (التالي ٩ لورين) لورين مارييا تريزا، الذي ضرب سنة ١٧٥١م. وقد سمي في مصر بهذا الاسم نسبة للنافذة أو الطاعة المرسومة على صدر للنسر المصور على أحد وجهي الريال. وقد سمي الريال الهولندي "ريال أبو كلب"، والإسباني "ريال أبو منفع". وتراوح أسعار هذه الريالات ما بين ١٩ و٣٤ قرشا. محمد شفيق غريال، مرجع سبق ذكره، ص ٩٠٥، عبد الرحمن فهمي: للمرجع السابق، ص ٥٧٨.

(١٧٠) للصحيح "كثرتها" ولو أن المؤلف كتبها "أكثر".

(١٧١) الصحيح "حل".

(١٧٢) الإصناف أو اللبارة: أصغر عملة نقدية تركية، وتساوي ٤٠/١ من القرش، وأقدم إشارة إليها في سنة ١٥٣٥م في "لوضح الإشارات"، وقد ضربت أولا من القضة، وكان وزنها ١٦ كحة

(١٠١١ ج)، وانخفض إلى ربع ذلك في أوائل القرن ١٩م. وفي سنة ١٨٤٤م أصبحت قطعة صغيرة من النحاس. ويرادف اسم البارة في مصر " نصف فضة" و" مؤيدي" أو " الميدي". أوضح الإشارات..، حاشية ٥٥، ص ١٠٨؛ محمد شفيق غربال، الموسوعة .. مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠٦؛ عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص ٥٧٣

(١٧٣) محمد على باشا: مؤسس الأسرة العلوية بمصر.

(١٧٤) القرش: نقد اشتق اسمه من الألمانية ( جروشن)، وأطلق على العملة الفضية التي ضربت لأول مرة في تركيا في عهد السلطان سليمان الثاني ( ١٦٨٧ - ١٦٩١م)؛ وفي مصر في عهد على بك الكبير ( ١٧٦٩م). وكان القرش يزن ٢٤٨ حبة وقيمته أربعون بارة. وهناك نوعان من القروش: قروش صاغ وقيمته أربعون بارة؛ وقرش بربع هذه القيمة. وكان للقرش أجزاء أهمها العشرون فضة أي نصف القرش إشارة إلى القطعة المعدنية التي تساوي عشرين بارة. محمد شفيق غربال الموسوعة..، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٧٥؛ عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص ٥٧٤-٥٧٥.